مدخل إلى الإعلام الإسلامي كامل

المـقدمــة ٢
منطلقات عامة للتأصيل النظري: ٣
الفصل الأول ١١
تعريف الاعلام الاسلامي ١١
حواشي الفصل الأول ٢٦
الفصل الثاني ٢٩
هل هناك اعلام اسلامي؟ ٢٩
مقدمة: ٢٩
حواشي الفصل الثاني ٤٢
الفصل الثالث ٤٣
نموذج للعملية الاتصالية ٤٣
حواشي الفصل الثالث ٦٠
الفصل الرابع ٦٢
المصدر في العملية الاتصالية ٦٢
حواشي الفصل الرابع ١٧٨
الفصل الخامس ٨٠
توثيق المصدر ٨٠
حواشي الفصل الخامس ٩٣
الفصل السادس ٩٦
منشأ اللغة ٩٦
حواشي الفصل السادس ١٠٦
الفصل السابع ١٠٨
المنظورالاسلامي للأخبار ١٠٨
الفصل الثامن ١٢٩
أساليب الاقناع في القرآن الكريم ١٢٩
حواشي الفصل الثامن ١٤٤
الفصل التاسع ١٤٧
مستقبل الرسالة ١٤٧
قائمة المراجع العربية ١٥٣

المـقدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين

وبعد:-

عندما كنت أدرس الاعلام في مرحلة الماجستير بجامعة كاليفورنيا ستيت بمدينة تشيكو بالولايات المتحدة الأمريكية خطر في ذهني فكرة الاستفادة من ثقافتي الاسلامية وما كنت أدرسه عن الاعلام. وجاءت الفرصة لتحقيق هذه الرغبة عندما سجلت عددا من الساعات للبحث الحر، وكان ذلك في عام 1399 هجرية. وخرجت الدراسة شاملة غير أنها سطحية تغطي باختصار شديد عناصر العملية الاتصالية من منظور القرآن الكريم والسنة النبوية. كما كانت تتسم بالأسلوب الدعوي الحماسي، وكان عنوانها: "المباديء الاسلامية للاتصال" The Islamic Principles of Communication.

ثم أتيحت لي الفرصة على فترات متباعدة لتقليب النظر في موضوعاتها، ولاسيما بعد انتهائي من مهمة الحصول على رخصة السواقة في مسارات التدريس بالمرحلة الجامعية، أي شهادة الدكتوراه.

حينئذ وجدت فرصة لتنمية بعض فصول هذا الكتاب في هيئة أبحاث مستقلة. وعقب تحرري من مشاغل رئاسة قسم الاعلام تمكنت من الشروع في تجميع فصول الكتاب. ورب ضارة نافعة؛ فقد نفعته اجازة نصف العام التي امتدت بسبب الحرب في الخليج حيث تمكنت من وضع الكتاب في صيغتها المنشورة.

ويهدف هذا العمل المتواضع الى محاولة الكشف عن تصور المصادر الاسلامية للعملية الاتصالية.

ومع أني أؤيد القول بأن الاتصال الاسلامي هو كل مجهود يبذل في في هذا المجال، لا يخالف التعاليم الاسلامية، فقد اقتصرت في هذا الكتاب على ال تناول العملية الاتصالية من منظور المصادر الاسلامية، ولاسيما القرآن والسنة.

وقد أجزت لنفسي تسميته: "مدخل الى الاعلام الاسلامي" وكان الأولى تسميته بالاتصال الاسلامي لأسباب منها:

1 - لكلمة "اعلام" جاذبية لاتتوفر لكلمة "اتصال"، وعناوين الكتب تحتاج الى نوع من الجاذبية لتلقى رواجا.

2 - العنوان ينطبق تماما على الفصلين: الأول والثاني، ويجوز اطلاق اسم الجزء على الكل، مالم يكن اصطلاحا، أو يكون الكل في المستيات التفصيلية مثل فصل أو مبحث أو فقرة. وذلك لأنه في حالة الاصطلاح تحريف للمعنى، وفي المستويات التفصيلية خداع، الا أن ينبه الكاتب في مقدمة الفصل أو المبحث أو الفقرة الى ذلك.

والكتاب في صورته هذه عبارة عن مجموعة من الدراسات المستقلة تم تطويرها عن الدراسة المبكرة. ويتضمن الفصل الأول والثاني منها مناقشة لمفهوم "الاعلام الاسلامي"، تمهيدا للفصول التي تتبعها. كما يتضمن الفصل الثالث نظرة شاملة للعملية الاتصالية، يتبعها الفصل الرابع والخامس اللذان يقومان بدور اللقطة المقربة للمصدر أو المرسل. أما الفصل السادس والسابع والثامن فتشتمل على لقطات مقربة لبعض جوانب الرسالة. وكانت مهمة الفصل التاسع هو القاء نظرة مقربة على طبيعة الجمهور.

وقد استفاد الكاتب في وضع هذا التصور من نتائج الدراسات العلمية ومناهجها، في مجال غلم الاتصال، بصرف النظر عن كون تلك الدراسات من مساهمات المسلمين أو غيرهم. وذلك لأن المعرفة العلمية ذات طبيعة تراكمية على مستوى المجتمع البشري بأكمله. إضافة الى ذلك فان الكاتب استفاد بشكل أو آخر من كل كتاب قرأه في الموضوع.

وان كان في الكتاب ايجابيات وما يستحق الثناء فالفضل كله لله سبحانه وتعالى ثم لكل من قرأ له شيئا في الموضوع، أو ناقشه في بعض نقاطه، أو راجع ما كتبه وأبدى بعض الملاحظات عليه، أو أسهم بأي شكل من ألأشكال في انجازه. ويسأل الله أن يجزل لهم الأجر والثواب، كل بما هو أفضل من نيته.

ويقدم المؤلف على نشر هذا الكتاب وهو ليس راض عنه الرضى الكامل. ولكن يدفعه الى نشره الحاح الطلاب الذين قام بتدريسهم مواد "الاعلام الاسلامي" طوال أربع سنوات. كما يدفعه الى نشره أنه قرأ بعناية أكثر من خمسين كتابا أو بحثا أو مقالة، في الموضوع، فلم يجد ما كتبه أسوأها.

وهو يطمع من كل قاريء يطلع عليه أن لا يبخل على الكاتب بانتقاداته البناءة، المؤيدة بالأدلة، وله من الكاتب خالص الدعاء وعميق الشكر.

وقد انطلق المؤلف في عمله هذا من منطلقات عامة للتأصيل الاسلامي يثبتها هنا. كما وضع لنفسه منهجا عاما عند وضع فصول الكتاب يثبتها في المقدمة أيضا، ويترك المنهج الخاص بكل فصله في مكانه.

منطلقات عامة للتأصيل النظري:

لعل من المستحسن قبل التحدث عن المنهج العام الذي اعتمده الكاتب لدراساته استعراض بعض المباديء العامة التي يراها الكاتب ضرورية لأي عملية تأصيل أو أسلمة للعلوم الدنيوية، ومنها علم الاتصال، هي تتمثل فيما يلي:

1- أن يكون منطلق الباحث المسلم هو نشدان رضا الله بخدمة الاسلام في مجالات العلوم الضرورية لرقي الأمة الاسلامية وعزتها. وهذا الشرط ليس ضروريا لكل جهد يسهم بقصد أو بغير قصد في التأصيل. فلابد من ملاحظة الفرق بين شروط الباحث المسلم، وشروط الجهد التأصيلي الذي قد يسهم فيه غير المسلم.

وكم من كافر أسهم في اثراء العلوم الاسلامية، وكم من مسلم أسهم في تشويه التراث المعرفي للاسلام، بقصد أو بغير قصد. فالعبرة بمستوى المساهمة نفسها، فان كانت المساهمة جيدة ولا تتعارض مع الاسلام فما المانع من الاستفادة منها؟ وحتى اذا كان بالمساهمة شوائب وقصور فما المانع من الاستفادة منها بعد تنقيتها من الشوائب. وما دام المنهج في العادة محايدا فما المانع من الاستفادة من المنهج على الأقل؟

وعموما لايمكن تحديد درجة صلاحية منهج أي دراسة ونتائجها الا بالالمام المتعمق بتفاصيلها وليس بالالمام السطحي لها أو بتجاهلها.

2 - أن يكون العمل ضمن الاطار الاسلامي للفكر الحر، الذي يسمح بالاجتهاد في مجالات الحياة كافة واستثمار العقل البشري الى أقصى حدوده ضمن اطار التعاليم الاسلامية.

من حيث النية هناك فرق واضح بين نية المسلم ونية العلماني . فالمسلم، وقد أخبره القرآن بكثير من الغيبيات فانه يؤمن بوجودها، دونما حاجة الى اثباتها بالتجارب العلمية المحسوسة. وحتى لو قام الباحث المسلم بأبحاث علمية لاثباتها فانما يقوم بذلك شكليا لأغراض البحث العلمي الذي يفترض فيه عدم التأثر بالانتماءات العقدية أو العنصرية أو السياسية... وهو غالبا ما يقوم بذلك لاثبات حقيقة ما يعتقده لغير المؤمنين بها. ولو جاءت نتائج البحث على غير ما يؤمن به فأول خطوة يخطوها هي التفتيش عن الخلل في منهج البحث.

وهو يقوم بمثل هذه الأبحاث في اطار يقيده ايمانه بأن كفة النقل الموثق الصريح ترجح على فهم كثير من العقول البشرية. وذلك لأن امكانات الادراك عند الانسان مقيدة بقيود كثيرة، ومحدودة بقصور حواس الادراك عنده.

ولكي تكون لأبحاث المسلم قيمة عالمية فانه مطالب باجراء أبحاث تتوفر فيهاالموضوعية المشروطة في الابحاث العلمية، وتعتمد على مناهج ذات قيمة عالمية، وتستثمر نعمة العقل التي يجب أن يسخرها الانسان في التدبر والتفكر في الواقع المحسوس.

ومن شروط المنهج العالمي الدرجة العالية لمصداقية وسائل البحث، وثبات نتائجها، ووضوح معالمها بحيث يمكن لغير الباحث الأول استعمالها دون اختلاف في النتائج غير مقبول علميا.

والقرآن قدوة في استخدام هذا المدخل وهو الابتداء الحوار (أو البحث) بفرضية محايدة لتكون أكثر اقناعا للآخرين بما هو ثابت أصلا ومؤكد. وانظر قوله تعالى: ((قل من يرزقكم من السموات والأرض، قل الله، وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين.))(1)

وأما الباحث العلماني فانه اذا قام بالبحث في الموضوع فانه-غالبا- يفترض ذلك من باب الاعتقاد بعدم وجود هذه الغيبيات حتى تثبت له نتائج الأبحاث المتكررة غير ذلك.

3 - تجنب التكلف في نسبة نظريات اتصالية الى المصادر الاسلامية مالم ترد فيها اشارات كافية. فعدم اشارة المصادر الاسلامية الى كثير من قواعد الاتصال، لاينقص من قدرها. ونسبة أشياء ليست فيها، هي من الاجتهادات البشرية، لايزيدها شرفا. وذلك لأن المصادر الأساسية في الاسلام ليست كتبا متخصصة في علم الاتصال. كما ان الظروف البيئية التي يزاول فيها الانسان أنشطته، ويتفاعل معها متغيرة، حتى مع ثبات الأسس المحورية. ومن جهة ثالثة فان كثيرا مما نسميه بالنظريات الاعلامية لم ترق بعد الى درجة الحقائق الكونية، فهي لاتزال موضع دراسة وتمحيص.

وهذا لايمنع أن يكون في القرآن والسنة النبوية بعض القواعد الصريحة التي يجب علينا الاستفادة منها. اضافة الى ذلك، لقد ورد فيهما بعض الأساليب الربانية والاشارات الى ممارسات اتصالية قام بها الأنبياء، ويمكننا استثمارها لاستنتاج بعض القواعد الاتصالية.

4 - عدم اقتصار جهود الأسلمة أو التأصيل على نطاق الاستنباط من الأدلة النقلية، دون ربط نتائج ذلك الاستنباط بالواقع لاختبار صلاحيتها، ولاسيما أن الاستنباط قد يخطأ كما يصيب. وعليه أن يخوض مجال الاستقراء من الواقع الذي يعيش فيه، امتثالا لأوامر الله بالتدبر والتفكر في صنع الله.(2)

فالاقتصار على عملية الاستنباط، تشبه عملية الاقتصار على تركيب أدوية من مواد ذات فعالية مؤكدة، دون ربط تلك المركبات بأمراض موجودة في الواقع، ولكن لأمراض افتراضية. ومن جهة أخرى تشبه عملية الاقتصار على اجراء أبحاث بالاستنباط من الحقائق العامة عملية وصف أدوية مضمونة الفعالية لعلاج أمراض محددة دون تشخيص المرض الذي يوصف له الدواء.

فالمفروض أن يكون الطبيب ملما بحقيقة المرض قبل أن يبادر في وصف الدواء، وأن يكون الباحث ملما بالواقع قبل عملية الاستنباط للوصول الى قواعد ذات فعالية.

5 - أن يدرك المسلم بأنه مع وجود قيود على البحث في بعض المجالات، مثل الغيبيات، فان مجال التدبر والتفكر أكثر مما يتوقع كثير من المسلمين. فلابد من ارتيادها حتى يتوصل الى معلومات ذات فائدة تطبيقية، تقلل من اعتماد المسلمين على الانتاج الفكري الذي ينشأ فسي بيئات غير اسلامية وتوابعها من الانتاج المادي.

وعلى المؤصل أن يدرك بأن الاقتصار على ترديد الحقائق العامة المشتركة بين العلوم المختلفة، أو ترديد المعلومات العامة في مجال التخصص لا يفيد كثيرا. ويجب أن تتم المعالجة عن معرفة متعمقة في مجال التخصص الذي يكتب فيه.

6 - أن يكون الجهد المبذول مرتبطا بالجهود المختلفة في مجاله سواء كانت علوما طبيعية أو علوما انسانية. ولا يعني الارتباط التبعية ولكن الارتباط التراكمي، أي تضيف الى الجهود السابقة أو تقوم بتعديلها أو بالغائها بالأدلة القوية التي لاتتأثر بالاختلافات العقدية أو السياسية أو الفكرية.

ولا يمنع هذا الارتباط من تحديد موقع الجهود السابقة من الاطار الاسلامي للفكر. هل هو من المرفوض أو الذي يحتاج الى تنقية أو من المقبول الذي ينسجم مع الفكر الاسلامي.

فهذا يجنب المأصل ضياع مجهوداته في عمل مكرر وضعيف، لا فائدة منه غير الدعوى بأن هناك شيئا "اسلاميا". فكل بحث يتوقع منه الاتيان بشيء جديد أو تصحيح مفهوم خاطيء أو نظرية أو نقضها أو تأكيدها.

7 - أن لايكون التأصيل مبنيا على رفض كل ما ليس من انتاج المسلمين في نظر المؤصل أو لأنه غير مستنبط من المصادر الاسلامية، وذلك لأن "الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذ بها" كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.(3)

فالنظريات التي توصل اليها البشر بالاستقراء من الواقع ليست سوى تأملات وتدبر وتفكر في صنع الله ولكن بطريقة منهجية مقننة وحسب معايير تتدرج من حيث القوة والثبات والوضوح.

والأصل -في حالة الرفض- أن نقتدي بالقرآن الكريم، نقارع الحجة بالحجة، مستخدمين أدلة ومناهج محايدة علمية في البحث، نثبت بها قصور ذلك الانتاج الفكري الذي نرفضه.

وان مما يثير الألم والسخرية أن يرفض المسلم المتخصص التعرف بدقة على حقيقة المنجازات الفكرية لغير المسلمين ويقبل بشراهة على وسائل الرفاهية التي انجبتها تلك المنتجات الفكرية. وبهذا يزيد من القوة الاقتصادية للشعوب الكافرة، بدلا من اقتباس معرفتهم وتطويعها ليستغني المسلون عن بعض المنتجات المادية للكافرين.

8 - أن لا يكون عملا متكلفا كالاتيان بتعريفات بديلة لمجرد المخالفة، بينما التعريفات القائمة أصدق تصويرا للواقع وأكثر شمولا. وذلك لمجرد التبرير لاستخدام كلمة "اسلامي" أو مشتقاتها، كالقول بأن الجمهور المستقبل للرسالة في مفهوم الاعلام الاسلامي لا يكون جمهورا الا اذا كان من المسلمين أو أن يكونوا من المسلمين الملتزمين. فهذه عملية فرز محضة للجمهور المسلم عن بقية أنواع الجماهير، وليست عملية تأصيل الا أن يكون القول بأنه في المفهوم الاسلامي لا تكون المخلوقات مخلوقات الا اذا كانت تدين بالاسلام. فالتأصيل الصحيح هو القول بأن هناك أنواعا من المخلوقات، مخلوقات مكلفة تدين بالاسلام، وأخرى لا تدين بالاسلام، وثالثة غير مكلفة وغير مطالبة بالانتماء الى أي دين.

9 - أن لا يقتصر التأصيل الاسلامي للاعلام مثلا على استبدال مفردات ومصطلحات اعلامية بغيرها فقط وحشو مؤلفات الدعوة والتفسير وشروحات الأحاديث والسيرة والتاريخ الاسلامي بمثل هذه المصطلحات الاعلامية بسبب مقبول وغير مقبول. فهذا النوع من "التأصيل" يعطي القاريء شعورا بأنه يقرأ كتابات في التفسير والسيرة والدعوة بدلا من الاعلام.

وهذه العملية أشبه بعملية تغيير الأسماء والعناوين مع بقاء المضمون كما هي تقريبا. أما التأصيل الحقيقي فانه -رغم اعتماده على الحقائق المشتركة كمادة

أساسية- يأتي بمركب جديد اسمه الاعلام مثلا. وعندما يقرأه الانسان يشعر بأنه يقرأ شيئا عن الاعلام.

وخطر الاقتصار على عملية الاستبدال الشكلي غير الحذرة تتمثل في الخلط بين معاني الكلمات ذات المدلولات المختلفة في اللغة العربية. وذلك باعتبار هذه المفردات مترادفات، ومثال ذلك القول بأن رسل الله هم رجال اعلام على اطلاقه.

والحقيقة أن رسل الله "هم دعاة حق" فقط، وهناك دعاة حق وهناك دعاة باطل؛ وكلمة "الدعوة" المطلقة أكثر شمولا من كلمة "الدعوة الى الحق". ومن حيث المضمون كلمة "الاعلام" أكثر شمولا من كلمة "الدعوة المطلقة"، لأن "الاعلام" (الاتصال الجماهيري) قد يحتوي على رسالة اقناعية أي دعوة الى رأي أو موقف أو عقيدة، وقد يحتوي على أخبار يراد نشرها.

10 - ملاحظة أن عملية التأصيل لا تقتصر على اصدار أحكام فقهيه حول بعض قواعد ونظريات الاعلام و والأصول الفنية للممارسات الاتصالية الجماهيرية. ومن يريد أن يتصدى للفتوى في حكم هذه الأشياء لا بد له من الالمام بها الماما كافيا. ولا يكفيه التعرف السطحي عليها من خلال المختصرات المعرضة للتشويه، عند التلخيص وعند الترجمة، الا أن تكفي الأدلة السطحية لاثبات التهمة.

11 - ضرورة التمييز بين النصوص التي تتضمن قواعد وسنن كونية وبين النصوص التي تتضمن نماذج ربانية من الاتصال أو تتضمن اشارات الى نماذج بشرية من الاتصال.

ومثال الأولى قوله تعالى بصيغة الأمر: ((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتيي هي أحسن.)) (4) أو ((ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.))(5)

ومثال الثانية ما يرد من أساليب في القرآن أو في السنة سواء كانت من ممارسيات الأنبياء أو غيرهم.

ومن جهة أخري فانه يجب التمييز بين الممارسات التي وردت فى القرآن مقرونة بالثناء أو السنة النبوية والسيرة المحققة، من جهة، والممارسات غير المحققة في كتب السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي. وذلك لأن النصوص التي ترد في صيغة الأمر أو في صيغة الاخبار عن سنة كونية لا تحتاج الى بحث يؤكد مصداقيتها، مادامت صريحة ومفصلة على واقع موجود. وهي بخلاف غيرها من النصوص والروايات التاريخية فانها تحتاج الى التحقق من مصداقيتها، قبل الاستنتاج منها. وذلك لأنها من انتاج الاجتهاد البشري، غير المعصوم من الخطأ.

وكذلك الحال اذا كانت النصوص التي تتضمن سننا كونية غير مفصلة بحيث تحتمل أكثر من تفسير تطبيقي فان الأمر يحتاج الى مزيد من الجهود البشرية لمعرفة أي التفسيرات هي التي تنطبق عليها السنة الكونية.

12 - ملاحظة التمييز بين الحديث عن الاسلام بما يتصف به من كمال وثبات، والحديث عن "المسلمين" بما يتصفون به من نقص ومن تأرجح في مستوى الالتزام. فلا نفترض بأن كل ما ينجزه المسلمون كامل ومتفوق على انتاج غيرهم.

وبعبارة أخرى، ملاحظة التمييز بين الحديث عن المعرفة الربانية التي ورثها البشر عن الأنبياء والحديث عن المعرفة التي اكتسبتها البشرية عبر العصور باستثمارهم المواهب التي منحها الله لهم. فلا نخلع صفات الكمال على المعرفة المكتسبة ولو بحجة أنها اهتدت بالمعرفة المنقولة.

المنهج العام للدراسات:

اعتمد الكاتب مستوين من المناهج: المستوى العام الذي ينطبق على معظم الدراسات المضكمنة في الكتاب، ومنهج خاص بالبحث الوارد في كل فصل. وفيما يلي النقاط الرئيسة للمنهج العام.

1 - لقد كان الهدف الأساس لهذه الدراسات هو كشف بعص الأصول العامة، للعملية الاتصالية، مستندا الى المصادر الاسلامية، لهذا لم يحرص الكاتب على تناول كثير من التفاصيل.

2 - قام الباحث باستعراض أبرز الدراسات السابقة المتصلة بالموضوع قبل الحديث عن التصور المستمد من المصادر الاسلامية. وقد اشتمل الاستعراض الجهود العامة، والجهود الاسلامية. وذلك في محاولة لربط هذا التصور بالجهود السابقة في مجال البحث. ويجب أن يكون واضحا بأن المعلومات المضمنة في هذا الاستعراض لايكفي لأن يعتمد عليه باحث آخر فلا بد من الرجوع الى المصادر الأصلية نفسها للاقتباس منها. فعملية الاختصار الشديد، حتى مع الحرص الشديد، عرضة لتشويه المعلومات الأصلية، سواء بطريقة ايجابية أو سلبية.

3 - الاقتصار عند الاستعراض على ماهو ضروري، دون الخوض في التفاصيلها أو التقويم الا في حدود الضرورة. وتم اقتصار وظيفة الدراسات السابقة على التمهيد للتصور المقترح الا في حالة الاقتباس منها، أو عرضها ضمن النتائج.

4 -انتقى الباحث الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتضمن قواعد بصيغة الأمر أو الاخبار، ثم درس مدلولاتها المختلفة في كتب التفسير وشروحات الحديث. ثم استنتج منها عناصر التصور الاسلامي للعملية الاتصالية. ولجأ أحيانا الى التشريعات الاسلامية وأحداث السيرة أو التاريخ الاسلامي للاستقراء منها. وذلك ليرى ان كانت هذه النصوص تشير الى ما يؤكد بعض النظريات الاعلامية السائدة أو تضيف اليها أو تقوم بتعديلها أو بنقضها.

ومع أن مصادر الدراسات الأسلامية هي الأساس فقد اعتمد المؤلف أيضا على بعض الحقائق الجزئية في المصادر الأخرى. وتم ذلك غالبا لمعالجة بعض المفاهيم والأفكار التفصيلية. وربما تمت الاستعانة بالأدلة العقلية احيانا.

5 - لم يكن من أهداف هذه الدراسات حصر جميع الأدلة النقلية أو المادة العلمية الأساسية التي تتصل بالموضوع. لهذا فقد تم الاقتصار فقط على نماذج من الأدلة القرآنية والحديثية، والمصادر الثانوية عند الحديث عن المنظور الاسلامي. وربما أشار الى الأدلة الاضافية في الحاشية.

6 - حرص الباحث على عدم الخروج عن التصنيفات الشائعة للمفاهيم الاتصالية، تحقيقا لمبدأ تراكمية المعرفة في المجال المحدد، وتيسيرا لعملية المقارنة بين نتائج الجهود المتعدة، التي تستند الى مصادر أو مادة علمية مختلفة.

7 - ولما كان الحديث فقط عن التصور الاسلامي **للعملية الاتصالية** فقد حاول الباحث تجنب اقحام المعلومات التي لا تمت بصلة وثيقة الى الموضوع مثل المعلومات التفصيلية التي تندرج تحت علم التفسير، والحديث، والفقه، والسيرة والتاريخ، والثقافة الاسلامية، والنفس، والاجتماع... فتلك المعلومات مكانها الطبيعي الكتب المتخصصة فيها.

8 - ولما كان بعض المعلومات مثل هناك صلوات خمس وصلاة جمعة وعيدين وحج... معلومات عامة، يعرفها كل مسلم ومن يعيش في المجتمعات الاسلامية فان الباحث لم يحرص على توثيقها.

9 - عند الاستشهاد بالأحاديث تم الرجوع الى كتب الحديث الأساسية مثل صحيح البخاري ومسلم ... ولكن الباحث عمد أحيانا الى المراجع الثانوية مثل مصنفات النووي وأمثاله للاستفادة من تحقيق المحققين وجمع الجامعين للأحاديث المنتقاة في الباب الواحد المتصل بموضوع الدراسة. واقتصر عند التوثيق على الاشارة الى جزء من عنوان الكتاب والباب المتفرع عنه.

وعند العودة الى مصادر الحديث غير المحققة قام الباحث ببيان درجة الحديث، مستندا الى ما كتبه ألمختصون في ذلك.

10 - حاول الباحث تبسيط بعض المصطلحات الاسلامية والاتصالية حتي يتيسر فهمها لغير المختصين. ومع هذا فقد ترد بعض المصطلحات التي قد يصعب فهمها على غير ذوي الاختصاص، مما لايمكن تبسيطه ويكون مألوفا شائعا في مجال الاختصاص.

11 - ولكون هذا البحث في مجال علم الاتصال، وليس في مجال الفقه فقد حرص الباحث على عدم الخوص في المسائل الفقهية المتشعبة الا بقدر الحاجة. ويقترح الكاتب على القاريء أن يعود فيها الى كتب الفقه وغيرها من كتب التشريع. وما ينطبق على المسائل الفقهية ينطبق أيضا على المسائل العقدية.

12 - لقد كان واضحا في ذهن الكاتب بأن هناك فرقا بين استنباط أحكام شرعية من القرآن والسنة، تتصل بالممارسات الاتصالية بين البشر، وبين استنتاج قواعد وأصول في الاتصال بين البشر. فالأولى مهمتها تحديد ماهو مسموح به من الممارسات ومماليس بمسموح. أما الثانية فمهمتها تحديد أو اكتشاف أكثر أنواع الممارسات الاتصالية فعالية والقواعد التي تحكمها.

13 - أثبت الكاتب جميع المراجع التي استفاد منها -بشكل أو آخر- في قائمة المراجع. وهذا لايعني أن الكاتب لم يستفد من مراجع أخرى لم يثبتها في قائمة المراجع. فالانسان لايولد عالما، وم، يجمعه من معرفة في حياته انما سبقه اليها انسان آخر بالتفكير فيها أو بوضع أساسها أو توفير جزء من المادة العلمية اللازمة لها.

وعموما ينتج اغفال اثبات المرجع -مع الحرص على حقوق الآخرين- لعدد من الأسباب. ومن هذهمعنى المقصود برضى الله فيقول ان رضا الله يتمثل في اجتياز الامتحان العسير يوم القيامة، وفي السعادة في هذه الدنيا والسعادة في الدار الآخرة خاصة وفي النجاة من العقاب الأبدي.

وما ينطبق على المسلم من حيث أثر الدوافع النفسية، المتمثلة في اشباع الحاجات الشخصية أو الحرمان منها، والرغبة في المكافأة والرهبة من العقوبة ينطبق على بني البشر جميعا. فكل انسان لديه ما يكرهه ولديه ما يحبه؛ وعنده ما يعتبره مكافأة وعنده ما يعتبره عقوبة.

ويمكن تقسيم هذه الأساليب الى نوعين أيضا: قولية وعملية.

العاطفية القولية:

ومن نماذجها ما يلي:

1 - المديح: وهي مكافاة يستحقها الانسان لعمل يقوم به أو لالتزام يوفي بشروطه. وكثيرا ما يأخذ الثناء في القرآن الكريم صيغة النعت العام بالمرغوب فيه مثل: هم مسلمون (50)، المتقين (51)، لقوم يعلمون، (52)، قوم عابدين(53)، قوم يعقلون (54)، قوم يتفكرون(55)، قوم يذكرون (56)، لقوم يؤمنون.(57)

كما يأتي الثناء أحيانا محددا للصفة الممدوحة كقوله تعالى: ((...فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين.))(58) وقوله تعالى: ((والذين تبوءو الدار والايمن من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.))(59)

2 - التقريع: وقد يأتي في صيغة النعت العام الممقوت مثل: كانوا ظالمين، مفسدين، الكافرون، الخاسرون(60)، قوما مجرمين(61)، قوما فاسقين (62)، المقبوحين(63)، قوما طاغين(64)، القوم الظالمين.(65)

كما يأتي التقريع بصيغة محددة مثل قوله تعالى: ((والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردتا الا الحسنى والله يشهد انهم لكذبون.))(66)

3 - الوعد: ويأتي الوعد وبدأت الدراسات التمتخصصة في الاتصال الجماهيري (الاعلام) في الغرب مع اختراعهم لوسائلها قبل أن يتم نقل تلك الوسائل الى العالم الاسلامي.

لقد تم تجميع أجزاء الكتاب في 21 شوال عام 1411 هـ، بعون الله وأسال تعالى أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه عز وجل، وأن يجعله نافعا؛ والحمد لله رب العالمين.

التوقيع
سعيد اسماعيل صيني

الفصل الأول
تعريف الاعلام الاسلامي

مقدمــة:

كثر الحديث عن الاعلام الاسلامي -في العقد الأخير- كما كثرت الكتابات التي تحمل هذا العنوان. بل ان البعض قد ذهب الى أكثر من ذلك فأطلق الاسم ليس على مقالة أو كتاب فحسب ولكن على قسم تعليمي بمرحلة الدراسات الجامعية. وتبنى البعض رعاية هذا المسمى عمايا بدون العنوان. فماالاعلام الاسلامي؟ وما مفهومه؟

هناك اجابات كثيرة على هذا السؤال، بعضها مباشر، وبعضها غير مباشر ومتناثر في كتابات عديدة، ويحتاج القاريء الى استنتاجها. وقد يتبني الكاتب الواحد أكثر من اتجاه في المؤلف الواحد أو في مؤلفاته المتفرقة، ومن تلك الاتجاهات:

1 - الاعلام الاسلامي هو الممارسات **الاتصالية** التي قام بها مسلمون، أو تمت في البلاد الاسلامية، أو هو كل مجهود علمي في مجال **الاتصال** يقوم به مسلمون متحمسون للاسلام، ولاسيما اذا كان الحماس عاطفيا، جياشا. (1) ويفترض هذا الاتجاه -نظريا- أن كل ما ينتجه غير المسلمين من انتاج فكري ومادي مرفوض. والملاحظ أن هذا الافتراض مرفوض - عمليا- حتى في حياة اؤلئك الذين يتبنون مثل هذا الاتجاه. فهم كغيرهم لايستغنوون عن المنتجات الفكرية والمادية لغير المسلمين.

2 - واتجاه آخر يجعل من الاعلام الاسلامي ما يمكن استنباطه من النصوص القرآنية والحديثية مما يبدو أن له صلة بالعملية الاتصالية، أو أنه عملية تصنيف لآيات القرآن الكريم، بصفتها أخبار أو أساليب.(2) وهذا الاتجاه يفترض أن القرآن الكريم والسنة النبوية يزودنا بكل ما نحتاجه من قواعد وأصول لانتاج المادة الاعلامية. وهذا غير صحيح لأن وسائل الاتصال الحديثة لم تعرف الا في العصر الحديث.

3 - واتجاه ثالث يكاد يحصر الاعلام الاسلامي في الممارسات الاتصالية الدعوية في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وفي عهد الخلفاء الراشدين وبعض

العصور الاسلامية التالية لها. وهذا يتضمن تقريبا جميع أحداث السيرة باعتبارها ممارسات اعلامية.(3) ولسان حال هذا الاتجاه يقول بأن الاعلام كل نشاط بشري، أو كل ممارسة اتصالية، سواء كانت لغوية أو غير لغوية، وسواء كان اتصالا شخصيا أو جمعيا أو جماهيريا. ويتبنى كل من كتب عن الاعلام الاسلامي الجزء الأخير من التوجه المذكور، حتى يمكن القول بأن الاعلام الاسلامي موجود في العهد النبوي وفي عصور الأنبياء السابقين.

ومشكلة هذا الاتجاه أنه لا يبقى نشاط بشري الا ويعتبر اعلاما، وأن كل الممارسات الاتصالية المنضبطة بالتعاليم الربانية من عهد آدم عليه السلام الى يومنا هي اعلام اسلامي. وبعبارة أخرى فانه لا حاجة الى التفريعات العلمية المتنامية في العدد؛ بل يجب أن تبقى جميع الأنشطة البشرية تحت فرع واحد من فروع المعرفة المعروفة.

ويتصل بهذا المفهوم اتجاه يفترض في الاعلام الاسلامي أن يكون مثاليا من حيث أنضباطه بالتعاليم الاسلامية ومثاليا من حيث مستواه الفني، دائما. ومثل هذا الافتراض يتعارض مع الواقع ويستحيل تحقيقه.(4)

4 - واتجاه رابع يقول بأن أي عملية اعلامية متكاملة أو أي عنصر من عناصرها لا يخالف التعاليم الاسلامية فهو اعلام اسلامي.(5) ولكن هذا الاتجاه الذي يأتي في معية الاتجاهات المختلفة لاتفرق بين أنواع الاتصال، أحيانا كغيره من الاتجاهات. فالاعلام يشمل كل أنواع الاتصال.

وهكذا يبدو واضحا أن هذه الاتجاهات لا تصور الواقع الذي نعيشه اليوم ولا توليه العناية المطلوبة، وينقصها الوضوح في تعريف كلمة "اعلام" أو كلمة "اسلامي"، اضافة الى عجزها عن توفير قواعد متسقة ومطردة لتأصيل الاعلام اسلاميا.

مشكلة الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة الى الخروج بتعريف يتسم بالشمول من جهة وبوضوح المعالم من جهة أخرى. ولعل أفضل وسيلة لتعريف الاعلام الاسلامي هي تحديد مدلول كلمة "اعلام"، ثم تحديد مدلول كلمة "اسلامي" مضافة الى كلمة "اعلام"، ثم استنتاج العناصر المقترحة للتأصيل الاسلامي للاعلام.

منهج الدراسة:

بالاضافة الى المنهج العام سوف يعتمد الباحث على الخطوات التالية:

1 - استعراض معنى كلمة "اعلام" في مؤلفات من كتبوا عن الاعلام الاسلامي، وفي أمهات الكتب الاعلامية المترجمة وفي لغاتها الأصلية.2 - تتبع أصل كلمة "اعلام" والوقوف على التعريفات المختلفة لها ثم ترجيح واحد منها.

3 - الاستفادة من مدلول كلمة "اسلامي" في الكتابات المختلفة التي نسبت هذه الكلمة الى فروع أخرى من الفنون والمعرفة مثل: تشريع اسلامي، وفن معماري اسلامي، واقتصاد اسلامي، وأدب اسلامي ثم الاعتماد على التعريف الأرجح.

4 - الاستفادة من مدلول كلمة "اسلامي" في ظل كتب أصول الفقه والفتاوى الفقهية المتصلة بالأنشطة الاعلامية.

نتائج الدراسة:

سيتم فيما يتبع عرض المعنى الراجح لكلمة "اعلام" بشقيها: الممارسات الاعلامية أو المواد الاعلامية وعناصرها، والدراسات الاعلامية. ويتبع ذلك استعراض لمعنى كلمة "اسلامي" والسمات العامة للفتاوى الضابطة للكلمة. ثم ينتهي الفصل بعرض العناصر المقترحة للتأصيل النظري والتطبيقي.

كلمــة "الاعلام":

يميز المؤلفون في الاعلام بين "الاعلام" و"الاتصال"، باعتبار كلمة اتصال أكثر شمولا.(6). فالاتصال قد يكون بين الانسان وأخيه الانسان أو بينه وبين الحيوانات، والجمادات، وقد يكون بين هذه الاصناف الثلاثة. فاشكال الاتصال لنقل المعلومات والحصول عليها بين الانسان والحيوان عرفته البشرية منذ أن كانت هناك مجموعة بشرية. والانسان وهو يقود السيارة يقوم بعملية اتصال بينه وبين الآلات الصماء.

والاتصال البشري قد يكون ذاتيا بين الانسان ونفسه، وقد يكون شخصيا، وقد يكون جمعيا، وقد يكون جماهيريا. وهذه الحالة الأخيرة وحدها نسميها "الاعلام" mass communication. ومن عناصر الاتصال الجماهيري التعقيد في التنظيم والتكرار في العناصر.(7) فالمرسل في الاتصال الجماهيري ليس واحدا، بل طاقما متكاملا، والوسيلة ليست شيئا واحدا ولكن مجموعة معقدة من الاجهزة. كما أن الرسالة تظهر في هيئة مجموعة من الرموز المتنوعة أو المؤثرات الصوتية أو المرئية، لاتقتصر على اللغة بمفردها. أما الجمهور فهو مجموعة من الناس متناثرة على مساحة جغرافية وزمانية واسعة، قد لايمع بينها شيء سوى الاشتراط في التعرض الى رسالة بعينها كما هي. والاتصال قد يكون باللمس والصوت والنظر و... أما الاعلام فلا يكون باللمس، الا أن ندخل في حسابنا طريقة برايل للمكفوفين.

وهناك فرق بين كلمة "اعلام" (معلومات أو استعلامات) التي يقابلها في اللغات الأوربية بما في ذلك الألمانية والفرنسية والانجليزية information. وهذه تستخدم في لغاتها مع الوزارات (وزارة الاعلام) أو الاقسام (قسم أو طاولة الاستعلامات information desk أو مركز المعلومات information center). ويتطلب من هذه المؤسسات أو الاقسام تقديم معلومات واقعية صادقة. وهنا فقط تتفق كلمة "اعلام" المشتقة من مادة "أعلم" في قواميس اللغة العربية.

وبعبارة أخرى، فان كلمة "اعلام" بهذا المعنى الأخير لا تتساوي مع كلمة "اعلام" بمعنى الاتصال الجماهيري. فالأخيرة تشمل البرامج الاخبارية اضافة الى

البرامج الاقناعية (الدعوية) والترفيهية، التي تتميز بكونها محاولة لتغير الواقع بدلا من وصفه وبكونها أعمالا ابداعية وخيالية.

ولو نظرنا الى كلمة "اعلام" بمعنى الاتصال الجماهيري، واستعمالاتها في اللغات التي نشأ فيها علم الاعلام ولا يزال مزدهرا فيها لوجدناهاتتكون من العناصر الرئيسة التالية: الممارسات الاعلامية أو المواد الاعلامية، والأبحاث الاعلامية.

الممارسات أوالمواد الاعلامية:

لقد بدأت الممارسات الاعلامية في هيئة ممارسات اتصالية، بطريقة تلقائية استجابة للحاجات الآنية التي يكتسبها البعض بالتقليد الفطري. ثم ظهرت أشكال من الممارسات تحتاج الى مهارات خاصة، يتطلب اكتسابها تدريبا خاصا. ومن هنا كانت الحاجة الى التخصص في دراستها، واكتسابها، والتخطيط لها، وتنفيذها.

وكانت هذه الممارسات تنتهي بانتهاء العملية الاتصالية الا أن تحفظ في الذاكرة. ومع اختراع وسائل الحفظ السمعية والبصرية أمكن حفظها في هيئة مطبوعات ساكنة، أو مسموعات أو مسموعات مرئيات تمتليء بالحياة. كما أصبح في الامكان استعمالها مرارا وتكرارا دون حاجة لتكرار الممارسة الاتصالية نفسها، في الواقع بتكاليفها المادية والزمانية والجهدية. كما مكنت هذه المخترعات الاعلامي من نقل الممارسة الاعلامية من مكان الى مكان، ومن زمان الى زمان، دون حاجة الى نقل العناصر البشرية، والآلية التي أنتجتها. وبهذا أصبح لدينا ما نسميه بالاعلام أو الاتصال الجماهيري. وقد أسهمت هذه المخترعات في حل مشكلة الممارسات الاعلامية المتقنة التي لاتتجاوز مدة عرضها الساعة والساعتين وتحتاج الى أسابيع أو أشهر أو سنوات لاعدادها.

ولم تظهر هذه الممارسات الاتصالية، على هيئة مواد اعلامية ، في شكلها المطبوع الا بعد زمن طويل من ظهور الممارسات الاتصالية الشفهية. أما الشكل المسموع، والمرئي المسموع فلم يظهر الا منذ حوالي مئة عام فقط في هيئة الاسطوانات والافلام الصامتة ثم الأفلام الناطقة، ثم ظهرت الأشرطة الممغنطة الصوتية، والصوتية المرئية (الفديو). وكما زادت آلات الطباعة والاستنساخ من رقعة انتشار المواد الاعلامية فقد زادت أجهزة الاتصال اللاسلكية والسلكية من رقعة انتشار المواد الاعلامية بشكل لم يسبق له مثيل. فقد مكنت أجهزة الفاكس العاملين في الصحف مثلا من طباعة الصحيفة في مواقع عديدة من العالم، وفي وقت واحد.

ويسهم عدد من العناصر -بطريقة مباشرة- في صنع الممارسة أو المادة الاعلامية، ويمكن تصنيف أبرزها فيما يلي:

1 - العناصر البشرية: وهي عناصر تحتاجها العملية الاعلامية أو الممارسة الاعلامية سواء لاعداد المضمون، أو تقديمه، أو استثمار الوسائل الآلية لخدمة هذا المضمون في مرحلة الانتاج، والحفظ، والارسال، أو التوزيع والنشر.

2 - الاطار الفكري أو العقدي: وهذا الاطار قد يكون دينا أو فلسفة أو مذهبا. ويدخل هذا الاطار في الممارسة الاعلامية بشكل تلقائي بسبب انتماء العناصر البشرية أو معظمها، او أكثرها أهمية، الى اطار فكري او عقدي معين. وهو يظهر في هيئة مباديء و ضوابط يؤمن بها الاعلامي ويلتزم بها، أو ضوابط مفروضة من جهات خارجية ذات سلطة. ويدخل بسابق تصميم او تدبير، (مثل انتاج المادة الاعلامية لغرض دعوي محدد يقوم باملائه المنتج) وقد لا يدخل الاطار الفكري (مثل كثير من المواد العلمية البحته). كما يدخل الاطار العقدي في المضمون بطريقة صريحة أو ملتوية.

3 - المضمون: وهو ما يراد ايصاله من رسائل الى الآخرين اما بهدف دعوتهم الى مساندته أو اعتناقه، وتطبيقه، واما لمجرد اخبار الآخرين للاحاطة به.

4 - الآلات والاجهزة: وهذه أصبحت جزء يصعب فصله عن الممارسات الاتصالية بعد أن تطورت هذه الممارسات وتطورت الوسائل من الصوت البشري الجهوري (في الخطب) الى مكبرات الصوت وأجهزة الراديو والتلفاز، والسينما والفديو، وآلات الطباعة،...

وبعد أن أمكن حفظ الممارسات الاتصالية بالصوت والصورة، وأمكن نقلها بوسائل النقل كافة مثل: البريد، والبرق، والاسلاك الزوجية، والاسلاك المحورية، والاسلاك الضوئية، ومحطات التقوية اللاسلكية والاقمار الصناعية. وطبيعي أن هذه الوسائل الآلية لا تعمل لوحدها فهي تحتاج الى من لديهم المعرفة والمهارة الفنية لاستثمارها الى أقصى حدود طاقاتها.

5 - المهارة الاعلامية: كانت المهارة الاتصالية قدرات بدائية، تلقائية، محدودة ثم بدأت تتطور في اتجاه التنظيم والتعقيد. ولعل أكثر ما أسهم في تعقيدها سباق المخترعين لتوفير وسائل ذات قدرة كبيرة على الاتصال، بشكل أوضح صوتا وصورة، بجماهير أكثر، تتوزع على مساحات أكبر.

ويلاحظ هنا أن المهارة المطلوبة لاستثمار هذه الوسائل ظلت متخلفة عن ركب الاختراع الذي يسير بخطى حثيثة. وهذه الحقيقة تنطبق حتى على الشعوب التي اخترع ابناؤها هذه الوسائل ولا يزالون يعملون على تطويرها. وهذا النوع من التخلف -لاشك- أكثر بروزا بين الشعوب التي تمكنت من الحصول على هذه الوسائل بالشراء أو الهبة.

وهذه المهارات قد تكون طبيعية مثل حسن الصوت... أو تكون مكتسبة. وهي نوع من الوسائل المعنوية التي تسهم في انتاج المواد الاعلامية. وقد يسهم الجمهور في صناعة القرارات المتصلة بانتاج المادة الاعلامية ولكنه -في الغالب- لايسهم بصورة مباشرة.

الأبحاث الاعلامية:

وتتناول هذه الابحاث بالدراسة العناصر السابقة جميعها مضافا اليها هدف الممارسات الاعلامية، والجمهور الاعلامي. اذ تقوم هذه الدراسات غالبا بما يلي:

1 - ملاحظة الممارسات الاعلامية أو الاتصالية، وتسجيلها.
2 - أو القيام بما سبق مضافا اليه الفحص، والتحليل، والتشخيص، واستخلاص الفرضيات أو النظريات أو القواعد والأصول التي تحكم عناصر العملية الاتصالية. وذلك للعمل على تطوير بعضها والرفع من كفاياتها والزيادة في فعالياتها، أو للتحكم في بعضها الآخر والسيطرة عليها، كما هو الحال بالنسبة للجمهور.
3 - تسجيل الضوابط التي يفرضها الاطار الفكري والعقدي والسياسي والاقتصادي... ومحاولة تحديد معالمها وتطويرها أو تفسيرها لتكون جاهزة للنقد أو التعديل أو التطبيق.

فالاعلام اذن هو الممارسات الاعلامية أو المواد الاعلامية، والعناصر البشرية التي تحتاجها العملية الاعلامية، والآلات والاجهزة الاعلامية، والمهارات اللازمة لتنفيذ العمليات الاعلامية أو انتاج المواد الاعلامية. كما تشمل الجمهور الذي تهدف العملية الاعلامية الى اجتذابه والتأثير فيه، والدراسات الاعلامية التي تعمل على تسجيل هذه الممارسات الاعلامية أو المواد الاعلامية وتطويرها.

هذا مايتصل بكلمة "اعلام" فماذا عن كلمة "اسلامي"؟

ويلاحظ مالم تتم العملية الاتصالية مستثمرة وسائل الاتصال الجماهيرية فلا تكون العملية الاتصالية اعلاما ولكن اتصالا شخصيا أو جمعيا. وهذا ينطبق على جميع الأنشطة الاتصالية: الدعوي أو الدعاية أو الاعلان أو العلاقات العامة... (يضاف في الطبعة الجديدة)

كلمة "اسلامي":

عند مراجعة الكتابات التي استعملت الكلمة نفسها مع ميادين أخرى من المعرفة والفنون نجد أن الاستعمال مقترن بشرط الاستنباط من الكتاب والسنة في حالة التشريع الاسلامي، والاقتصاد الاسلامي. أما في الحالات الأخرى مثل الفن المعماري الاسلامي والأدب الاسلامي فهي مقترنة بشرط الانضباط أو عدم المخالفة للاسلام.(8)

وقد أكد من كتبوا في "الاعلام الاسلامي" على هذا الشرط بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ودون التعمق في تفاصيل مفهوم الانضباط. وهذا الرأي يتفق تماما مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذ بها(9) ويتسق مع القول بأن الاسلام دين الفطرة، الناس مشتركون في أمور الفطرة، ومن أمور الفطرة الممارسات الاتصالية. والانسان اذا تحول من الكفر الى الاسلام لايصبح نوعا جديدا من المخلوقات، تختلف تكويناته العضوية والنفسية والروحية والأخلاقية في كل شيء أو حتى في معظمه.

اذا ليس المهم: ما أصل الفكرة ـ مالم تكن عقيدة وتشريعا ـ لانه عندما نحكم على الاشياء فيما سوى ذلك من الامور مثل المواد الاعلامية والدراسات الاعلامية يجب ان لا يقتصر فحصنا على المصدر، بل يجب ان يشمل الشكل والمضمون.

ولايصح أن نحكم بفساد المضمون لمجرد كون الشكل فيه شيء من الفساد، لأن من الممكن الاستفادة من أحدهما مستقلا عن الآخر. أما في حالة تأثر المضمون بالشكل الفاسد فان المضمون نفسه لم يبق سليما ونحكم عليه بالفساد، لفساده ذاته، ليس لأن الشكل، فقط، فيه شيء من الفساد.

فالمهم هو أن نفحص كل عنصر على حدة، ثم ننظر هل يمكن الاستفادة من هذا العنصر بمفرده دون مخالفة لتعاليم ديننا؟ اذا كانت الاجابة بنعم. فنقول: اذا هذا الجزء سليم شرعا. أما اذا كانت الاجابة بلا. فنقول: هذا الجزء فيه مخالفة لتعاليم ديننا.

ثم ننظر الى مجموعة العناصر التي تتألف منها العملية الاعلامية، فننظر الى نسبة الاجزاء الفاسدة منها الى الاجزاء الصالحة. هنا فقط نتمكن من اصدار حكم عام على العملية الاعلامية بصفتها وحدة متكاملة.

بعبارة أخرى. قبل أن نصدر حكما على مجلة مثلا: أهي اسلامية أم غير اسلامية، يجب أن ننظر الى مكوناتها: الصور، والاشكال، والمضمون أو الافكار التي تتحدث عنها كل مقالة لنحدد موقف الاسلام منها. ثم ننظر الي نسبة المضمونات، والاشكال المشروعة الى غير المشروعة. ثم نصدر حكما عاما على هذه المجلة.

وهذا لا يكفي فيجب أن لا يقتصر هذا التحليل على عدد واحد أو اعداد منتقاة لوجود نسبة عالية من الامور المرفوضة شرعا فيها، بل يجب أن نراعي التنوع.

وهذا لايكفي أيضا فعندما نتفحص النسبة يجب أن نضع نصب أعيننا أن درجات الحكم الرئيسة- واؤكد على "الرئيسة" - في الاسلام تتراوح - حسب رأي معظم الفقهاء - بين الواجب، والسنة، والمباح، والمكروه، والمحرم.(10) والمباح أكثر مما نتصور.

كما يجب أن لاننسى بأن هناك مسائل تتصل بالعقيدة وأخرى بالتشريع، وثالثة تتصل بأمور الحياة العامة مثل: تأبير النخل،(11) وعادات الاكل والملبس... وغير ذلك مما سكت عنه الشرع أو لم يتدخل فيه بشكل جازم.(12) ومنها ما يخرج من الملة ومنها مالا يخرج من الملة.

وهذا لايكفي أيضا فيجب أن ينتبه المسلم الى أن كثيرا من الامور تخضع لاجتهادات تستند الى أدلة ظنية الدلالة(13)، أي انها تحتمل أكثر من رأي صائب، وأن كثيرا من هذه الاجتهادات ترتبط بقواعد شرعية عامة، وضعها الشارع ولا تأخذ صيغتها النهائية التطبيقية الا بعد مزجها بالواقع أو الظروف البيئية التي يتم فيها تطبيق تلك القواعد العامة. فقد يجتهد العالم في ظروف مكانية معينة فيفتي برأي فقهي معين ثم تتغير الظروف المكانية أو الملابسات فيغير من فتواه مستندا الى القواعد التشريعية نفسها، حسب ضوابط ثابتة.(14) ولتغير الظروف الزمانية الأثر نفسه، فقد لا يكون التصوير الفوتوقرافي -في عصر ما- ضرورة من ضرورات الحياة، او

ضرورة من ضروريات الدعوة الى الاسلام، ولكن في عصر تال قد يصبح من ضروریاتها ومستلزماتها.

وهناك أمثلة كثيرة لتأثر الاحكام الشرعية بالظروف الآنية، منها: أداء الصلاة قصرا، وفطر رمضان في السفر، حتى يكون القصر والفطر أرجح من الاتمام والصيام في بعض الاقوال الفقهية الثابتة.(15)

اذا يجب على المسلم أن لا يتسرع بالحكم الشرعي قبل أن يحيط بالامر احاطة تبرأ بها ذمته أمام الله.

ومن الخطر الجسيم أن يقول المسلم مثلا:" الصحف والمجلات أو برامج الاذاعة أو التلفاز :كلها- واؤكد على كلمة "كلها"- مفسدة للاخلاق، وتنشر الرذيلة وتحارب الفضيلة.."الى آخر ذلك القول. وهو في قوله هذا، وتعميمه هذا انما يشير-في حقيقة الامر- الى بعض...بعض تجاربه الشخصية أو معظم تجاربه الشخصية المحدودة جدا.

وأخطر من هذا أن يبدو الانسان ملتزما بالتعاليم الاسلامية وأن يعتبره الناس فقيها، يقوم يتدريس الناس أمور دينهم، فيردد الاحكام نفسها، بالمبالغة نفسها، والحماسة نفسها، ثم تسأله: كم صحيفة تقرأ أو مجلة أو ساعة تستمع فيها الى برامج الاذاعة أو تشاهد فيها برامج التلفاز المختلفة؟ فيرد عليك غاضبا: أعوذ بالله. هل أدخل -أنا- بؤرة الفساد في منزلي ؟"

فلا تملك، ويعتصر الألم قلبك على هذا الفهم للاسلام، الا أن تسأله: هل يجوز -في الاسلام- الحكم في قضية لم تحط بوقائعها ولم تستمع فيها الى دعاوى الطرفين، وبمجرد الظن والتكهن ؟"

فيبادرك بقوله " كل الناس يقولون أن هذه الاجهزة مفسدة للاخلاق". فيقال له ألا يجب أن يتحقق المسلم من صحة أقوال الناس، امتثالا لامر الله بالتبين؟(16) اذ يقول تعالى: ((ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهلة فتصبحوا على مافعلتم ندمين.))

ومامعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كفي بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع ."؟(17) وأنت لا تكتفي بالتحدث بكل ما تسمع، بل تستند اليه في اصدار حكم شرعي؟"

العناصر الاعلامية وكلمة اسلامي:

ولو سلمنا بأن عناصر الممارسات الاعلامية التي لا تخالف الشريعة الاسلامية هي التي تمثل الاعلام الاسلامي فهل نضع ايدينا على معالم الاعلام الاسلامي؟ قد يبدو الامر كذلك. ولكن دعونا نستعرض عناصر كلمة "اعلام" منضبطة بالشريعة الاسلامية لنرى ماهي النتيجة عموما. وسيكون الحديث على التوالى عن: العناصر البشرية، والاطار العقدي، والمضمون، الآلات، والمهارات، والدراسات الاعلامية.

أ - العناصر البشرية: يدخل ضمن هذه الفئة: معدو البرامج، والمخرجون، ومهندسو الصوت والصورة والديكور والاضاءة، ومصممو الملابس، والرسامون، والمصورون، ومقدمو البرامج، والممثلون، والمعنونن والموسيقيون...

ويلاحظ ان مهارات بعض هذه الفئات ومهنهم هي موضع تساءل الضوابط الاسلامية. ومن هذه الفئات: المغنون والموسيقيون والممثلون، والمصورون والرسامون، والعنصر النسائي من جوانب متعددة. هذا مع أن القدرات البشرية باشكالها المختلفة في طبيعتها محايدة من حيث قدرتها على خدمة الخير والشر. وهذه القاعدة تسري حتى على القدرة الغنائية، واستعمال الآلات الموسيقية بمهارة.

ب - المنطلق العقدي أو الاطار الفكري: وهو بالنسبة للاعلام الاسلامي لاشك هو الاسلام بتعاليمه العقدية والتشريعية، والاخلاقية التي يجب أن لا تخالفها الممارسة الاعلامية.

ويبرز هذا العنصر أكثر مايبرز في مضمون المادة المراد ايصالها الى الآخرين، وقد يظهر في الطرق التي يتم بموجبها استثمار العناصر البشرية وقدراتها، أو استثمار الآلات والاجهزة الصماء، أو استثمار الدراسات والابحاث العلمية النظرية والتطبيقية.

ولا أظن أن هناك اطارا فلسفيا أو فكريا أو عقديا أكثر وضوحا وثباتا من الاسلام. فعندما نقارن الاسلام بالفكر السلطوي، أو الحر، أو بفكرالمسؤلية الاجتماعية أو الشيوعي نجد أنه لا وجه للمقارنة بينها وبين غيرها في الوضوح والثبات.

فكل هذه الفلسفات عرضة للتغيير شبه الجذري مع الزمان، وعرضة للاختلاف شبه الجذري باختلاف المكان. وهي فوق ذلك تتأثر باختلاف القائمين على تطبيقها الى درجة التناقض. فهذه الأطر الفكرية تتأرجح بين الصور الخيالية التي لا تقبل التطبيق وبين الصور التي تقبل التطبيق.

ج - مضمون الرسالة الاعلامية الاسلامية: قد يخدم المضمون الاسلام بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، أو لا يخدمه، بيد أنه يجب أن لا يخالفه. والمضمون في معظم الحلات ليس من صنع الاعلامي ومع هذا فان حسن اختيار المضمون من أكبر مسئولياته الأساسية.

د - الآلات والاجهزة أو الوسائل المادية: وهذه تدخل في عملية أداء الممارسة الاعلامية أو انتاجها، وعملية نشرها وتوزيعها أو ارسالها، أو استقبالها من قبل الجمهور.

ويبدو جليا أن هذه الآلات (عدا بعض الآلات الموسيقية) هي معدات محايدة من حيث المخالفة للشريعة الاسلامية أو عدم المخالفة. وذلك على الرغم من كونها من انتاج الفكر العلماني، المادي، الالحادي. ولو ألحقناها بالفكر الذي هي من انتاجه لاضطررنا الى رفض جميع وسائل الراحة التى لاغنى لنا عنها مثل الكهرباء و الاجهزة الكهربائيية المنزلية والسيارات وغيرها من سبل المواصلات، بل وسبل الدفاع عن الاسلام.. فهي وكثيرات غيرها أيضا من انتاج الفكر المادي.

هـ- المهارات الاعلامية التي يحتاجها العنصر البشري في التعامل مع الاطار الفكري او المضمون أو آلات الانتاج. وقد يدخل بعضها في نطاق المحظور، ولكن في النطاق المسموح به فسحة لمن لديه مهارة عالية، وعقل مبدع.

وهناك ضرورة للتفريق بين المهارة الفطرية أو المكتسبة وبين طرق استثمارها أو ظروف استعمالها. فالمهارة الفطرية في الغناء -مثلا- يمكن أن تستخدم في التغني بمضمونات محرمة فتصبح بذلك محرمة. والمهارة نفسها بالنسبة للمرأة يمكن أن تستخدم للترفيه عن غير المحارم من الرجال فتصبح محرمة. وفي الوقت نفسه يمكن أن تستخدم في التغني بالقرآن أو الترويح عن الطفل أو الزوج فلا يكون محظورا.

و - الدراسات والابحاث الاعلامية وماتنتجه من نظريات أو قواعد وأصول - فيما يظهر- هي محايدة حياد اللغة وقواعدها ومفرداتها فهي قابلة للتسخير في صالح الخير أو الشر.

نستخلص من هذا أن كلمة "اسلامي" أو الهوية الاسلامية هي مسألة معقدة وليست مسألة بسيطة كما يتبادر للاذهان، ولا ينبغي اطلاقها على العلوم أو اضافتها الى المهارات وميادين المعرفة جزافا وكأنه شيء بدهي، أو لاقيمة كبيرة لها.

وفيما يخص مجال الاعلام فان كلمة "اسلامي" تستمد جذورها من الفقه الاسلامي وليس من "الحضارة الاسلامية" أو الثقافة الاسلامية بمعناها الواسع. ولهذا لايمكن تحديد كلمة الاعلام الاسلامي تحديدا لا يتسم بالسطحية الا بعد القاء نظرة على الآراء او الفتاوى الفقهية المتصلة بجزيئيات المادة الاعلامية الجاهزة، التي تجسد مساهمات العناصر المختلفة للعملية الاعلامية.

السمات العامة للفتاوى:

لا يهدف هذا الفصل المختصر الى تناول الاجتهادات الفقهية، المتصلة بالممارسات الاعلامية والدراسات تناولا يفيه حقه الوافي. فموضوع الاجتهادات لوحده يحتاج الى العديد من الدراسات. لهذا سوف اكتفي بالقاء بعض الاضواء على هذه الفتاوى، وبشكل مختصر مع شيء من الشمول يغطي: التصوير الثابت والمتحرك والرسم، والتمثيل، والموسيقى، والغناء، والمرأة.

أ - التصوير. من العلماء من ميز بين تحريم الصور او الرسوم المجسمة لذوات الارواح واجازة الصور غير المجسمة الثابتة والمتحركة. ومنهم من رفض هذا التمييز فجعل الجميع محرما مالم يرد نص صريح يجيز بعض اشكاله. كما ان بعض العلماء أجاز التصوير الفوتوقرافي لذوات الارواح دون الرسوم.(18)

ب - التمثيل. أجاز بعض العلماء التمثيل وحرمه آخرون حتى بدون اشتراك العنصر النسائي ، ولم ير البعض بأسا في ظهور المرأة تمثل دور الخنساء مثلا.(19)

جـ- الموسيقى والغناء. حرم معظم العلماء الموسيقى وآلاته مع استثناء للدف وقيدوه بمناسبات العرس والعيد وبعض المناسبات السارة، و أجازه البعض بدون هذه القيود.(20)

ويلحق بالموسيقى الغناء فقد اختلفت الآراء الفقهية حولها، اذ اجازها البعض بشروط. وحرمها البعض الا ما أثر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرها.(21)

وحتى لايؤدي هذا الاستعراض المقتضب الى تشويه الحقائق فانه لابد من القول بأن هذه الفتاوى هي ترجيحات للادلة النقلية والعقلية التي جمعها وتوصل اليها علماء المسلمين. لهذا يجوز الاختلاف في بعض نقاطها، ويجوز فيها تتعدد وجهات النظر، بشرط أن تكون مقيدة بالقواعد الثابتة لأصول الاستنباط.(22) وهي عموما تتسم بمايلي:

1 - من يحرم قد يسمح في بعض الحالات للضرورة، ومن يجيز فانما يجيز بقيود مثل سلامة المضمون، وسلامة الاساليب، أى خلوها من الصور المحرمة أو الاختلاط المحرم مثلا، وغير ذلك من الضوابط الشرعية العامة التي لا تقتصر على انتاج المواد الاعلامية.

2 - يبدو أن الضرورة سبب رئيس في تغير الفتاوى من التحريم الى الاجازة وذلك حسب مايثبت لصاحب الفتوى.

3 - لا تزال الفتاوى في هذا المجال تتسم بالتحفظ والتردد، وتسير في فلك اجتهادات السلف الصالح، التي لم يصلنا منها الا أشياء منتقاة، لا تغطي كل الموضوع بتفاصيله الدقيقة، والمرهونة بظروف العصور التي عاشوها. ولا أقصد بهذا القول تقليلا من شأن هذه الفتاوى وهذه المناهل التي حفظت لنا الاسلام ورعته وقامت بتنميته... ولكني أقول بأن كثيرا من وسائل الاعلام المادية (الأجهزةمثلا) كثيرة قد استجدت، وكثيرا من وسائل الاعلام المعنوية (أساليب فنية) استجدت. وهذه كلها في حاجة الى فتاوى، تنبع من واقعها.

4 - كثير من هذه الاجتهادات تعتمد على ترجيح بعض الأدلة النقلية أو العقلية على بعضها، أي أنها لا تستند على أدلة قطعية الدلالة، لاتقبل النقاش. بعبارة أخرى لا تستند الى أدلة نقلية قطعية الدلالة.

5 - الاجتهادات الفقهية -في الأصل وبصفة عامة- لا تقتصر على عملية الاستنباط المباشر من الكتاب والسنة، بل تعتمد أحيانا على الترجيح بين المصالح المرسلة والمفاسد المحتملة، والموازنة بين ضرورة اتقاء الشبهات والأصل في الأشياء الاباحة والضرورة تبيح المحرمات، وبين التيسير والتعسير، والتطرف والوسطية. أي أن هذه الفتاوي قد تعتمد بدرجة كبيرة على الدليل العقلي، الى جانب الدليل النقلي. بيد أن الملاحظ على كثير منها الأخذ بالاحوط.

6 - درجة الدقة في تشخيص الواقع، المراد معرفة حكمه يؤثر كثيرا في درجة صواب الحكم الشرعي في المسألة.

7 - تتسم هذه الفتاوى بكونها قواعد عامة أكثر من كونها أحكاما لممارسات اعلامية محددة باللقطات، أو بالمقاطع الفنية...

ويظهر مما سبق أن هناك حاجة ماسة الى ضوابط أكثر وضوحا وتفصيلا لعناصر الممارسات الاعلامية، وأكثر واقعية، في حدود القواعد الثابتة الربانية. واذا كان هذا مايقصده عبد القادر طاش من عدم اكتمال الاطار الفلسفي العام للاعلام الاسلامي نظريا فأنا معه في رأيه.(23)

وفي الحقيقة هناك نداءات كثيرة حول تأصيل الاعلام اسلاميا، ولكن تنقص هذه النداءات الرؤية الواضحة. و بعبارة أخرى فان هذه النداءات تظهر في هيئة جهود متناثرة، ولكن حتى كتابة هذه الصفحات ليس هناك نقاط محددة، واضحة المعالم فما العناصر المقترحة للتأصيل؟

العناصر المقترحة للتأصيل:

عند الحديث عن التأصيل الاسلامي للاعلام لا بد من تناول الموضوع على مستويين: النظري والتطبيقي.

التأصيل النظري للاعلام:

هناك من يرى أن التأصيل يعني اثبات قصب السبق للاسلام في كل مجال من مجالات المعرفة، وأن نحشر القرآن والسنة في كل شيء، حتى تفاصيل الأنشطة البشرية. ويرى هذا الفريق انه لابد من استعادة التراث وبناء العلوم، جميعها، على أسس اسلامية أصيلة وراسخة.(24)

وقد أدى مثل هذا التوجه الى تغيير مصطلح "الاعلام" بحيث أصبح مختلفا عن أصله المترجم (أي الاتصال الجماهيري) ومختلفا عن معناه في اللغة العربية المستمد من "أعلم"، "يعلم". فكلمة "اعلام" من أعلم لغويا لا تتضمن الترفيه أو الاقناع. بينما الاستعمالات الشائعة في كتب الاعلام الاسلامي تجعله يشمل ذلك و يشمل جميع الممارسات الاتصالية والدعوية بصفة خاصة، في العهد النبوي والخلفاء الراشدين. كما يحتفظ في الوقت نفسه بالمعنى الأصلي المترجم عن كلمة mass communication، التي تعني الاتصال الجماهيري بتعقيداته المتميزة، التي تضم الصحافة والاذاعة والتلفاز. بل نجد المؤلف الواحد يتحدث عن الاتصال فيقسمها الى: شخصي، وجمعي، وجماهيري ويجعل الاعلام مكان الأخير، ولكنه يعود عند الحديث عن الاعلام الشفهي.(25) كما أدى هذا التوجه الى أن ذهبت بعض هذه الجهود الى اعتبار الانشطة الاجتماعية والحربية والسياسية نوعا من الانشطة الاعلامية.(26) ووصل الافراط بأحد أصحاب هذا الاتجاه الى درجة رفض علم الاعلام الغربي المنشأ، لأنه يعتمد على دراسات نفسية واجتماعية مستخلصة من بحوث تجريبية على حيوانات أو عينات من البشر لا تختلف عن الحيوانات.(27)

وكما سبقت الاشارة هناك توجه في عملية التأصيل اقتصرت التأصيل على عملية الفرز. فهذه نظريات أو دراسات تستند الى الكتاب والسنة أو قام بها مسلمون فهي اسلامية. ودراسات لم تقم بالاستنتاج من مصادر اسلامية أو لم تقم بالاستقراء من ممارسات المسلمين أو لم يقم بها مسلم فهي ليست اسلامية.(28)

ولعل من الواضح أن نتائج الدراسات بأنواعها محايدة، يمكن تسخيرها للخير أو الشر. وذلك بصرف النظر عن الذين قاموا بتلك الدراسات ومصادر المادة العلمية التي قامت عليها تلك الدراسات، ما دامت تلك الدراسات علمية.

لهذا فان التأصيل الاسلامي لعلم الاعلام(29) يتمثل في التالي:

1 - قبل كل شيء يجب تحديد مدلول كلمة "اعلام"، تحديدا ينعدم معه اللبس. ويتم ذلك اما باعتبارها كلمة مرادفة لكلة "اتصال" وفي هذه الحالة لا تقتصر على الاتصال الموضوعي بل تشمل الخيالي (الأعمال الدرامية)، والدعوية (التوجيه والدعاية والاعلان) والترفيهي (ومنها البرامج الرياضية والمسابقات...). وبالتالي تخرج عن مدلولها الأصلي في اللغة العربية.

والحل الآخر هو اقتصار كلمة اعلام على مدلولها اللغوي في قواميس اللغة العربية واستعمالها فيما يتناسب مع ترجمة كلمة information أي عملية تزويد الآخرين بالمعلومات التي يتوخى فيها الصدق ومطابقة الواقع. ثم استخدام عبارة "اتصال جماهيري" لتشمل المطبوعات والمواد الاذاعية والتلفازية وما شابهها، حيث تنعدم المواجهة الشخصية بين المرسل وجمهوره الضخم.

2 - اجراء دراسات فقهية لمعرفة الضوابط التفصيلية لأنواع الممارسات الاعلامية المختلفة وعناصرها. وينبغي أن يتوفر لمن يقوم بها معرفة كافية بأصول استنباط الأحكام الشرعية، ومعرفة كافية بتفاصيل الممارسات الاعلامية، وهو أمر يصعب توفيره. ولهذا من الأفضل أن يقوم بهذه الدراسات اثنان أو أكثر بالتعاون بحيث تتوفر هذه الشروط فيهم مجتمعين.

وبدون مثل هذه الدراسات فان الاطار العقدي أو الفكري الاسلامي لن تتضح معالمه، وبالتالي يصعب تحديد درجة اسلامية الممارسة الاعلامية.

3 - البحث في الكتاب والسنة عن القواعد الاعلامية الخاصة أو الشاملة لكافة أنواع الاتصال البشري. وذلك باعتبارها قواعد مصدرها رباني، دون تكلف ولي لعنق الآيات القرآنية والنصوص الحديثية. ويراعى عند البحث عن هذه القواعد أنها تأخذ صيغة تدل على أنها حقائق كونية، وليس تسجيلا لممارسات. مثال ذلك قوله تعالى: ((ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.))(30).

ويمكن بعد ذلك عقد مقارنات بين هذه القواعد وما يقابلها من النظريات الاعلامية القائمة، التي تم التوصل اليها بالدراسات الاستقرائية. وذلك في محاولة لاخراج هذه القواعد من حيز الفائدة المحلية (عالم المؤمنين بالقرآن والسنة) الى نطاق القبول عالميا، بصفتها جهود وحقائق علمية، ذات قيمة عالمية.

وهنا يجب التنبه الى أن الممارسات الاعلامية (الاتصال الجماهيري) لم تعرف الا مع اختراع الكتابة والطباعة والسينما والراديو والتلفاز، وما يتصل بها.

ولكن هذا لايمنع من وجود قواعد اتصالية عامة في القرآن والسنة تنطبق على الاتصال الجماهيري أيضا.

4 - استقراء الممارسات الاتصالية الناجحة التي أشار اليها القرآن الكريم أو السنة النبوية، ما دامت تنطبق على الاتصال الجماهيري. وذلك للوصول الى قواعد أو نظريات اعلامية. وكذلك استقراء الممارسات الناجحة التي تمت في العصور الاسلامية الذهبية أو صدرت عن مسلمين ملتزمين للغرض نفسه.

وبعبارة أخرى اجراء دراسات استقرائية لا تختلف عن غيرها الا من حيث مجتمع الدراسة، مع مراعاة عالمية المنهج، وذلك لضمان نتائج ذات قيمة عالمية.

5 - اجراء دراسات استقرائية على كافة عناصر العملية الاعلامية: المصادر والرسالة والمستقبل، على المستوى البشري. وينبغي أن تتوفر لهذه الدراسات شروط العالمية في الموضوع وتفاصيل المنهج، وفي كونه على مجتمع حاضر معاصر.

6 - تسجيل الممارسات الاعلامية البشرية بصرف النظر عن اختلاف أطرهم الفكرية أو الفلسفات التي ينتمون اليها، ما دامت هناك فائدة ظاهرة مثل استثمارها بالمحاكاة أو بالتجنب، أو بالوقوف على أسرارها لمواجهتها.

7 - الاستفادة من الدراسات الموجودة على الساحة العالمية وما يتم اجراؤه، في اللغات المختلفة والبيئات المختلفة سواء ما كان منها تسجيلا للممارسات أو استقراء للنظريات.

وعند استعراض الجهود المبذولة في مجال التأصيل النظري التي أشرنا اليها سابقا قد نجد تطبيقا لمثل هذه المباديء ولكن بدرجات متفاوتة من حيث الموضوعية ومن حيث عمق أو سطحية المعلومات المتضمنة. وعموما يلاحظ عليها الاعتماد على معلومات عامة، لا تكاد تتجاوز سطوح النظريات الاعلامية، مع التشويهات التي تتعرض لها تلك المعلومات بسبب الاعتماد فيها كلية على مصادر ثانوية، مثل الخلطالذي تمت الاشارة اليه سابقا.

التأصيل التطبيقي للاعلام:

ينفي البعض وجود الاعلام (الممارسات الاعلامية) الذي ينطلق من القيم المحلية. ويرجع الشطي سبب ذلك الى الفتاوى التي ترجح الأحوط على الأيسر.(31) وقد تم تخصيص الفصل الثاني للحديث عن الموجود من الاعلام الاسلامي باختصار.

وكما بينا سابقا ان من يراجع الآراء الفقهية حول الأمور المتصلة بالممارسات الاعلامية يدرك أن مجال الاعلام مجال شائك وشديد الوعورة. فهناك محاذير في استخدام التصوير، والغناء، والموسيقى، والرقص، والعنصر النسائي...

ويلاحظ القاريء أن آراء العلماء كانت متضافرة على تحريم عام لكثير من عناصر الممارسات الاعلامية ذات الفعالية. أما اليوم فان القاريء يلاحظ أن بعض الفتاوى تتسم بموضوعية أكبر. فالتحريم مصحوب بشيء من التفصيل، والتعامل مع الواقع المعاش. فالشيخ بن باز مثلا يرى أن الوسائل الاعلامية من أنجح الوسائل للدعوة الله، بين المسلمين وغير المسلمين. (32) بل يحث بن باز شباب المسلمين على الخوض في هذا المجال لتسخيره في سبل الخير.(33)

كما أن هناك فتاوى تتعامل مع هذه الموضوعات من منطلقات دعوية وتحذيرية، ترجيحا لكفة اتقاء الشبهات على كفة الأصل في الأشياء الاباحة. ومقابل هذا وذك هناك من تناول الموضوع بمعلومات اسلامية ضحلة أحيانا، وخاطئة أحيانا.(33)

ويصور محمد سيد محمد المشكلة بقوله أن الذين كتبوا في مجال الاعلام الاسلامي ينقسمون الى فريقين: الفريق الذي درس الاعلام ولم يدرس الدين الاسلامي، والفريق الذي درس الاسلام ولم يدرس الاعلام.(35)

ولعل السبب أكثر دقة من ذلك، اذ يلاحظ أن معظم الاعلاميين الذين ينادون بتطبيق التعاليم الاسلامية على الممارسات الاعلامية لا يتعاملون مع الاعلام الا في المستوى النظري، أو أنهم لا يتعاملون مع الضوابط الاسلامية، المتصلة بالاعلام الا على المستوى العاطفي أو الآراء الفقهية الجاهزة. فالأمر كما يبدو اما خلفية كافية في جانب، وخلفية غير كافية في الجانب الآخر، أو غير كافية في الجانبين.

والحقيقة، ان التأصيل التطبيقي لا يقتصر على بيان ماهو حلال وحرام ومباح... فالبناني (36) و كثيرون يرون ضرورة تأصيل مضمونات المواد الاعلامية حتى داخل نطاق المباح . مثال ذلك مراعاة التغطية الكافية لأحبار المسلمين، وصياغة هذه الاخبار بحيث تعكس آمال الأمة الاسلامية وتطلعاتها، وتخدم الاسلام بالترويج له والحث على تطبيق تعاليمه والدفاع عنه.

يضاف الى هذا وذك أن التأصيل التطبيقي يجب أن لا يقف عند عملية الفرز بين المناسب و غير المناسب، ولكن يجب أن يتعداه الى تسخير العقل الاسلامي والقدرة الابداعية المنضبطة بضوابط الاطار الفكري، لانتاج مواد اعلامية تنافس غيرها، أي تتوفر فيها شروط العالمية في الجاذبية، والاتقان.

وهذا لا يكون الا بالاستيعاب الجيد لطاقات الوسائل المعنوية (الاساليب الفنية) والمادية المتوفرة (الأجهزة والآلات). وهذا لا يكون الا يالاهتمام الكافي بتنمية القدرة الابداعية لدي المتخصص في الاعلام.

والقدرة الابداعية في مجال الاعلام يجب أن لا تقاس بالمعيار المحلي؛ فالعزلة لامكان لها في مجال المنتجات الاعلامية، التي لا تعترف بالحواجز اللغوية، أو الثقافية أو السياسية. وبعبارة أخرى اما أن يكون هذا الابداع قادرا على الوقوف ندا لند مع المنتجات الاعلامية الأخرى، بصرف النظر عن منطلقاتها الفكرية، أو أن الاهمال والفشل سيكون مصيره، مهما توفرت له من سبل الحماية الفكرية والسياسية.

لهذا لا يكفي أن نستبعد الوسائل المادية والمعنوية المحظورة لانتاج المواد الاعلامية الناجحة، بل لابد لنا من ايجاد بدائل لها، لاتقل فعالية. وبهذا يكون عبء الاعلامي الاسلامي أكبر من عبء الاعلامي غير الاسلامي.

وهذا يقتضي أن ندرك بأن الاعلام مهارة فنية ابداعية ومهنة، وممارسات عملية قبل أن تكون علما نظريا، يقتصر على تسجيل الممارسات الاعلامية والاتصالية عموما، والتعليق عليها.

وهذا يقتضي أن ندرك بأن المهمة الأولى للاعلامي هو حسن عرض المضمون وليس صناعته. فهو ليس عالما في أصول الدين، ولافقيها، ولا محدثا، ولا عالما في علم اللغات أو الاجتماع أو النفس أو التاريخ أو الجغرافيا أو السياسية... ولكنه اعلامي.

وهذا يقتضي أن ندرك بأن الاعلام انما هو استثمار للمواهب التي وهبها الخالق للانسان فميزه بها على المخلوقات الأخرى، وليس وحيا ينزل من السماء. وبعبارة أخرى فان الممارسات الاعلامية هي صناعة بشرية، كما هو الحال بالنسبة لأي نشاط بشري، وليست صناعة ربانية، كما هو بالنسبة للتشريعات، ولاسيما أن وسائل الاعلام ذات الفعالية العالية لم توجد الا بعد انقطاع الوحي، منذ أمد بعيد.

والفرق بين النشاط الاعلامي والأنشطة البشرية الأخرى هي أن وسائل النشاط الاعلامي ضخمة، وتأثيرها عظيم كما ونوعا. فهذه الوسائل تصل الى الملايين في لحظة واحدة، وتؤثر على العقل والعاطفة أحيانا دون أن يشعر الانسان بذلك.

بيد أن هذه الوسائل مع ضخامتها وخطورتها فهي تشبه أحدث أنواع الرشاش في يد من لايعرف استعمالها، حيث لا يتجاوز قيمتها قيمة عصاة.

وهي كأحدث طراز من الطائرات الحربية في يد من لا يستطيع الاستفادة منها، حيث لا يتجاوز قيمتها قيمة نموذج معروض في المتحف.

كما يجب أن ندرك بأن مصير المواد الاعلامية التي تعتمد في صراعها للبقاء، فقط، على الحماية الفكرية والسياسية أشبه مايكون بمصير المنتجات الصناعية الرديئة التي تحاول الحكومات الشيوعية والاشتراكية حمايتها، عبثا. وسيكون مصيرها السخط المتنامي عليها، ممزوجا بالازدراء والاستهزاء.

وذلك مع فارق كبير حيث يمكن حجز المنتجات المادية عند الحدود السياسية غالبا. أما المنتجات الاعلامية فانه لايمكن حجزها، الا أن يمكن حجز الهواء من المرور عبر الحدود السياسية.

د. سعيد اسماعيل صيني

18/8/1411 هـ

حواشي الفصل الأول

تعريف الاعلام الاسلامي

1 - هذه الاتجاهات تظهر في أسلوب التناول أكثر مما تظهر في عبارات صريحة. ويستطيع القارىء أن يلمسها بنفسه بقراءة أكثر من كتاب واحد في الاعلام الاسلامي؛ ولعل أبرز مثال نجيب، فقه الدعوة والاعلام، ص 97؛ والشنقيطي، مفاهيم اعلامية؛ وحمزة، الاعلام في صدر الاسلام.

2 - بليق؛ ولاوند؛ والشنقيطي أصول الاعلام الاسلامي.

3 - حمزة، الاعلام في صدر، ابراهيم امام، الاعلام الاسلامي: المرحلة الشفوية؛ طاش، الاعلام الذي نريد، حيث يؤكد وجود مثل هذا التوجه.

4 - كحيل ص 83 -99؛ هادي ص 21 -24، 74 -77.

5 - معظم الكتابات تمزج بين هذا الاتجاه والاتجاهات الأخرى. 6 - Westley and McLean, A conceptual model; Schram, The nature.

7 - مجلي.

8 - أنظر مثلا: محمد قطب، منهج الفن الاسلامي؛ بيلو، من قضايا الأدب الاسلامي، المقدمة و ص 49-79؛ ماجد الكيلاني، النظرية التربوية الاسلامية؛ Abul Fadl; al Faruqi; Idris; Ausaf Ali.

9 - الترمذي، كتاب العلم: 19، وقال عنه غريب. غير أن الحديث رواه ابن ماجة، كتاب الزهد: 15 وابن عساكر وقال عنه المناوي باسناد حسن؛ وانظر السخاوي، المقاصد الحسنة.

10 - أبو زهرة ص 26،54؛ خلاف ص 101-116.

11 - أبو زهرة ص 114- 115؛ خلاف ص 43-44.

12 - السلمان ص 312-324 .

13 - أبو زهرة ص 118-197. خلاف ص 34-35 ،42.

14 - قاسم، رجال ومناهج في الفقه الاسلامي.

15 - ابن قدامة ج 3:ص 122 - 126 .

16 - الحجرات: 6.

17 - مسلم، كتاب الايمان: باب النهي عن الحديث بكل ماسمع.

18 - أنظر فتاوى بن باز المبكرة بالنسبة للتصوير، والمتأخرة، مثلا: حكم الاسلام في التصوير، والشيخ بن باز في حديث خاص للشرق الاوسط. الشرق الأوسط، صحيفة، العدد 24/6/1408هـ؛ المجتمع، مجلة، فضيلة الشيخ بن باز: ينبغي على الشباب الا يتركوامجالات الاعلام للجهلة، العدد 954.

19 - هادي ص 181 -186.

20 - القرضاوي ص 256؛ آل فوزان ص 42-53.

21 - الهيثمي ص 41 - 144.

22 - أنظر مثلا: ابن باز، الجواب المفيد، خطر مشاركة المرأة للرجل ؛ آل محمود، منع تصوير شخصية الرسول، رسالة الخليج في منع الاختلاط وما ينجم

عنه من مساوي؛ الحامد، حكم الاسلام في الغناء؛ الجزائري، حكم الاسلام في الموسيقى والغناء، الاعلام بأن الغناء؛ المطيعي؛ جبر؛ الجديع؛ علوان؛ الوكيل؛ ابن تيمية وآخرون؛ محمد اسماعيل؛ بن عثيمين، رسالة الحجاب؛ أحمد الحنبلي؛ عبد الرحمن الحنبلي؛ أبو زهرة؛ زيدان، حالة الضرورة؛ القرضاوي، عوامل السعة والمرونة.

23 - عبد القادر طاش، الاعلام الاسلامي وفلسفته.

24 - بسيوني الحلواني.

25 - صيني، مفاهيم اعلامية.

26 - حمزة، الاعلام في صدر ص 165-174.

27 - نجيب، ص 97.

28 - أنظر الحواشي 1-5.

29 - هذه أصول لتأصيل الاعلام اسلاميا. أما اذا كان المقصود هو تأصيل علم الاتصال اسلاميا فيمكن استخلاص كل القواعد أو النظريات الاتصالية، سواء منها ما ينطبق على الاتصال الذاتي أو الشخصي أو الجمعي أو الجماهيري. وهذه الملاحظة تنطبق على كل فقرات عناصر التأصيل.

30 - سورة فصلت: 34.

31 - المجتمع، مجلة، حوار مع الشطي، عدد 936.

32 - الشرق الأوسط، صحيفة، الشيخ بن باز في حديث خاص للشرق، 24/6/1408هـ.

33 - المجتمع، مجلة، فضيلة الشيخ بن باز: ينبغي على الشباب الا يتركوا، عدد 954.

34 - حمزة، الاعلام في صدر ص 238-266؛ نوال عمر، الاعلام الديني، ص 17، 35.

35 - محمد، المسئولية ص 9.

36- مجلة الدعوة، بين يدي مؤتمر وزراء الاعلام، العدد 1161 في د. سعيد اسماعيل صيني 14/8/1411.

15/12/1414

الفصل الثاني
هل هناك اعلام اسلامي؟

مقدمة:

قبل ما ينيف على العشرين عاما أعلن عبد اللطيف حمزة قائلا: "تحدث التاريخ عن الاسلام من زوايا كثيرة: منها الزاوية الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية...كما كتب الكثير عن الأدب الاسلامي... ولكن بقيت من هذه الزوايا المتعدد زاوية واحدة هي زاوية الاعلام أو الاتصال بالناس". وهذا ما دفعه لتأليف كتابه الاعلام في صدر الاسلام عام 1970 (1390هـ).(1)

وبعد ستة أعوام، أي عام 1976، طرحت منظمة الندوة العالمية للشباب الاسلامي موضوع الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية في ندوة خاصة بهما. فأسهمت هذه الندوة في اخراج حوالي خمس عشرة دراسة لها صلة بالاعلام الاسلامي.(2)

بيد أنه يلاحظ أن مشاركة الاعلاميين، في هذه الندوة، كانت محدودة؛ فمعظم المشاركين من المختصين في مجالات أخرى. ولعل هذا ما دفع محي الدين عبد الحليم ليؤكد ندرة الدراسات المنهجية في هذا المجال، بعد أربعة أعوام من ذلك. فهو يقول : "تكاد تخلو المكتبة العربية من أي دراسة علمية منهجية تربط الدراسات الاعلامية الحديثة بأصول الدعوة الاسلامية". عبد الحليم بقوله هذا لاينكر قصب السبق لحمزة، ولكنه يؤكد قلة الجهود الرامية الى تأصيل الاعلام اسلاميا. وهذا ما دفعه ليقوم بمحاولته في "الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية"، عام 1979.(3)

ولعل من قبيل الصدفة أن يصدر رمضان لاوند كتابه من قضايا الاعلام في القرآن، وأن يقبل ابراهيم امام على هذا الميدان ليصدر كتابه الاعلام الاسلامي: المرحلة الشفهية، في وقت مقارب.

أما في بداية العقد الأول بعد تمام القرن الرابع عشر الهجري فقد صدر عدد من المؤلفات في الموضوع. وكان منها "الاعلام في ضوء الاسلام"لعمارة نجيب، و"نظريات الاعلام الاسلامي" لمنير حجاب، و"النظرة الاسلامية للاعلام" لمحمد كمال الدين امام، و"المسئولية الاعلامية في الاسلام" لمحمد سيد محمد، و"الاعلام موقف" لمحمود سفر. ومن الجهود التي تعود الى تلك الفترة أيضا، "الاعلام الاسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق"، و"بحوث في الاعلام الاسلامي"، و"دراسات في فن التحرير الصحفي في ضوء معالم قرآنية" لمحمد فريد عزت،

و"موازين الاعلام في القرآن الكريم" لعز الدين بليق، و"الخبر الصحفي وضوابطه الاسلامية" لكرم شلبي.

ثم تتابعت المؤلفات فزادت عن السبعين كتابا ومقالة في الموضوع. ومن هذه المؤلفات ما جعلت الكتاب أو المقالة كلها للحديث عن الاعلام الاسلامي ومنها ما قصرت الحديث عنه على بعض صفحاته.

وبهذا نستطيع القول نعم الاعلام الاسلامي موجود. ولكن الاجابة بهذا الشكل قد لايكفي؛ وتحتاج الى مزيد من التوضيح.

مشكلة الدراسة:

لتأكيد وجود مايسمى بالاعلام الاسلامي لابد من اثبات وجوده على المستويين: النظري والتطبيقي. ومن الضروري أيضا، القاء الضوء على بعض السمات العامة لهذا الوجود النظري والوجود التطبيقي.

فهدف هذه الدراسة هو القاء بعض الأضواء على السمات العامة للمتوفر من الاعلام الاسلامي، على المستويين: النظري والعملي.

منهج الدراسة:

ويمكن تلخيص أبرز سمات المنهج في النقاط التالية:

1 - سينتقي الباحث بعض الدراسات البارزة ومعيار البروز هو القدم، أو درجة انتشار السمة الواحدة أو درجة غرابة المدخل في تناول الموضوع.

2 - قد يقتصر الباحث على مثال واحد أو مثالين لكل سمة بارزة.

3 - سيقتصر الباحث على الكتب المنشورة دون الأبحاث الأكاديمية غير المنشورة والمقالات المنشورة في الدوريات، أو المقدمة في ندوات علمية.

4 - سيتجنب الباحث تقويم ما يستعرضه قدر الامكان. فليس من أهداف هذه الدراسة التقويم بقدر ما يهدف الى اعطاء صورة واقعية للكتاب المنشور. وانطلاقا من هذا المبدأ فان الباحث لن يعلق على سلامة استعمال المصطلحات الواردة في الكتب المستعرضة.

5 - عند استعراض الاعلام التطبيقي سيقتصر الباحث على جمع ماهو منشور دون محاولة للحصول على المادة العلمية من مصادرها الأصلية بالبحث الميداني الا ما ندر. لهذا مايرد ضمن هذا القسم لا يمثل الا القليل من المتوفر على الساحة.

6 - عند اختيار النماذج التطبيقة أو الحديث عنها سيضع الباحث في ذهنه ماورد باختصار عن الضوابط الاسلامية للممارسات الاعلامية، في الفصل الأول.

7 - عند الحديث عن الاعلام التطبيقي سيورد الباحث بعض الآراء التقويمية و يفترض صدقها عموما، ثم يقوم بمحاولة لمناقشة الأسباب.

نتائج الدراسة:

لقد أظهرت الدراسة أن هناك اعلام اسلامي على الصعيدين: النظري والعملي، وأن هناك سمات بارزة يمكن ملاحظتها. وسيتم في الصفحات التالية استعراض بعض النماذج النظرية والتطبيقة لهذا الاعلام، للوقوف على وضع الاعلام الاسيلامي الموجود، وأسبابه، ودرجة الحاجة الى الاعلام الاسلامي.

الكتابات النظرية:

وسيشمل هذا الجزء الفقرات التالية: الجهود المبكرة، المنهج ومصادر المادة العلمية، القرآن الكريم والاعلام، المداخل المتميزة.

الجهود المبكرة:

عند الحديث عن الأسبقية يجب التفريق بين الحديث عن أسبقية الممارسات "الاعلامية" الاسلامية والاشارة اليها بصفتها أنشطة **بشرية**، من جهة والحديث عن أسبقية الكتابة في مجال "الاعلام" الاسلامي واجراء الدراسات فيه، من جهة أخرى. وما يعنينا هنا هو الحديث عن أسبقية الكتابة، وتسجيل الأنشطة البشرية بصفتها أنشطة **بشرية اعلامية**، وليست الممارسة نفسها.

فالممارسات الاتصالية البشرية التي لا تخالف التعاليم الربانية قد بدأت مع وجود أول وحدة بشرية، تتكون من أبوي البشر، آدم وحواء عليهما السلام، وهي موجودة على مدي العصور التاريخية، حتى في المجتمعات الوثنية.

لعل هناك اتفاق يؤكد بأن حمزة هو أول من بدأ بالمناداة بالاعلام الاسلامي (4) أو قام بمحاولات فيها ولعل كتابه "الاعلام له تاريخه ومذاهبه" أول لبنة في هذا المجال، وليس "الاعلام في صدر الاسلام" الذي جاء بعده بحوالي أربع سنوات.

وقد تحدث فيه المؤلف تحت عنوان "صور من الاعلام في تاريخ الاسلام" عن الاجتهاد عند أهل السنة وبعض الفرق مثل الشيعة والمعتزلة. ثم تحدث عن الأنشطة والتنظيمات الدعوية في الدولة الفاطمية، وتلاها حديث عن الجهود الاعلامية للمسلمين في الحروب الصليبية والجهود الاعلامية للمصريين في حرب السويس.

وقد استغرق الحديث عن هذه النقاط أربعة فصول من سبعة عشر فصلا وخاتمة.

أما كتابه "الاعلام في صدر الاسلام" فهو كتاب شامل من حيث استثماره لمعظم مصادر المادة العلمية التي تعتمد عليها الكتابات الاعلامية الاسلامية. فقد استشهد فيه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأحداث السيرة والتاريخ الاسلامي. وبهذا يمكن القول بأن كل من كتب بعد ذلك في الموضوع كان عالة عليه بشكل أو آخر، اما بصورة مباشرة أو بصورة

غير مباشرة. وذلك بالرغم من بعض الاخطاء التي وردت فيه سواء في مجال الاعلام أو مجال التاريخ الاسلامي.(5)

وقد تحدث المؤلف فيه عن وسائل الاتصال في العصر الجاهلي من مناداة واعياد وأسواق واشعال للنيران على رءوس الجبال. أما في الباب الأول والثاني فقد تحدث عن أحداث السيرة وعناصر الدعوة فيها باعتبارها ممارسات اعلامية. وفي الباب الثالث تناول الأحداث البارزة في عصر الخلفاء الراشدين باعتبارها أنشطة اعلامية.

والحقيقة ان ظاهرة اعتبار الأنشطة الدعوية نشاطا اعلاميا سمة بارزة لمعظم الكتابات في هذا المجال(6)

المنهج ومصادر المادة العلمية:

وفيما يتصل بالمنهج ومصادر المادة العلمية يشير محمد سيد محمد، في مقدمة كتابه الى المنهج الذي اتبعه والمصادر التي رجع اليها فيورد النقاط التالية:(7)

1 - تقع المراجع التي استعان بها في أربع مجموعات رئيسة: المصادر الاسلامية وعلى رأسها كتاب الله والسنة، ثم المجموعة الاعلامية، وكتب المستشرقين، والمقالات والدوريات.

2 - وعن المنهج يقول: "ان لب منهج هذا الكتاب هو العقل والقلب المتفتحتان للمعرفة. وان خلاصة منهج هذا الكتاب أن الفكر والابداع الانساني طريق لانهائي، وأن شمولية الكون ((هورمونيته))وانسجامه نعكسها دون أن نحس أو قد نحس في جهدنا الانساني نحو التقدم، وأنه كلما تعمقنا في فهم القرآن فهمنا أنفسنا أكثر وفهمنا الحياة أكثر وفهمنا الكون أكثر وأكثر." ويستطرد فيقول: "لقد استخدمت المنهج التاريخي ووقفت به بانتهاء عصر النبوة." وذلك لاستخلاص القواعد واجلاء الشواهد منها.

ويقول أيضا: "واستخدمت المنهج التحليلي في بعض أجزاء البحث بالاضافة الى المشاهدة الميدانية التي تنتمي الى المنهج التجريبي في أجزاء أخرى واستخدمت المنهج المقارن في مواقع مختلفة من البحث."

ولم يشر بقية المؤلفين الى الخطوات المنهجية التي التزموها عند تناول الموضوعات المختلفة، سواء فيما يتصل بطريقة الاستنتاج أو في التعليق على النصوص والأحداث التاريخية. ومع هذا فالملاحظ عليها أنها لاتخرج، من حيث المصادر وطريقة الاستفادة، عن ما أشار اليه محمد بشكل أو آخر. ويلاحظ أن المعنى المقصود بكلمة "منهج تاريخي" هو استثمار الأحداث التاريخية واستنتاج القواعد الاعلامية منها، وليس التحقق من تلك الأحداث. كما أن المقصود ب "المنهج التحليلي" هو التعليق على النصوص أو الاحداث والاستنتاج منها.

وقد تختلف بعض الدراسات لكونها أضافت الى عصر النبوة عصور تاريخية أخرى مثل عصر الخلفاء الراشدين، أو الأمويين أو العباسيين أو الفاطميين وبعض العصور المتأخرة والحديثة.(8)

واتفق كل المؤلفين في مقدمات كتبهم على الاشارة الى مضمونات الأبواب والفصول التي وردت في الكتاب.

وبالقاء نظرة على قائمة المراجع في هذه الكتب نجد أن المجموعات أوالأصناف التي ذكرها محمد هي نفسها، التي اعتمد عليها المؤلفون الآخرون. بل هناك اتفاق في بعض المراجع المحددة وتغيير في البعض الآخر، ولكن داخل المجموعات نفسه تقريبا:الدراسات الاسلامية، والاعلامية، والتاريخية.

القرآن الكريم والاعلام:

لقد حظي القرآن الكريم بتخصيص كتب اعلامية له بفرده. ومن هذه ما كتبه لاوند، وبليق، وحاتم، والشنقيطي.(9)

وكان أبرز ما تضمن العناوين التالية باختصار: آدم عليه السلام النموذج الباقي للاعلام السماوي، السياسة الاعلامية في القرآن، والاعلام القرآني والحرية، ...وقول الحقيقة، ...والخلفية الثقافية المشتركة، ...والحوار المفتوح، ...والتصور الاسلامي، ...والتكرار، ...والقصة، ...والثقة بالانسان، ...والأخلاق، واعداد النخبة، ...والجغرافية الطبيعية والبشرية.

وبصفة عامة يمكن القول بأن المؤلف كان يستشهد بآيات ثم يضيف اليها بأسلوبه الأدبي صفحات عديدة من التعليق، يتسق مع الجزء الأخير من عنوان الفصل.

أما بليق فقد عمد الى أسلوب معاكس وهو ايراد العديد من الآيات مصحوبة بتعليقات قليلة. وقد تضمن كتابه ثلاثة عشر عنوانا كلها باسم: موازين الاعلام في القرآن الكريم، مع اضافة أرقام متسلسة، تبدأ برقم (1) وتنتهي برقم (13).

وقد تناول فيها الموضوعات التالية: الدين والعلم، والأسلوب العقلي في الاقناع، وأصناف الجمهور، ومحاورات مع أهل الكتاب، والدعوة والبلاغ، والنبأ الصادق، والعزيمة في البلاغ، والاعلام الصالح، والاعلام الفاسد.

ومن زاوية أخرى قام حاتم بالاستشهاد بآيات قرآنية والتعليق عليها بصفحات عديدة مشحونة بمعلومات متفرقة: تاريخية واعلامية، ودعوية من عصور مختلفة.

وقد تناول كتابه الموضوعات الرئيسة التالية: الاعلام في الجزيرة العربية قبل نزول القرآن، الموضوع والرسالة والغاية، الرسول عليه الصلاة والسلام، أساليب الاعلام في القرآن، الانسان في القرآن، الدعوة الاسلامية والاعلام الاسلامي وتنظيم جهاز الاعلام والتخطيط والتنسيق له.

ومن زاوية رابعة اختار سيد الشنقيطي سورة الأنعام فقام بعملية تصنيف لمحتوياتها باعتبارها أخبارا، وتحدث قليلا عن أساليب هذه الأخبار ووظائفها.

وقد تضمن كتابه الموضوعات الرئيسة التالية: تعريف الاعلام، وأسلوب التساؤل، ومعنى الوظيفة والخبر والنبأ، والاخبار عن الله سبحانه وتعالى، والاخبار عن الغيب (الغيب الحاضر، والمستقبل، والماضي)،والاخبار عن عالم الشهادة (الأشخاص، والحقائق والأفكار، ومظاهر الحياة ووقائعها).

المداخل المتميزة:

هناك من الكتاب من تناول الموضوع من زاوية تختلف عن زاوية الثقافة الاسلامية العامة قليلا والاعلام. ومن هذه الكتابات:(10)

أ - "الاعلام الاسلامي الدولي" للعويني، حيث تناول فيه الكاتب موضوع الاعلام الاسلامي بمعلومات سياسية مزجها بمعلومات دعوية واعلامية. ويتحدث المؤلف فيه عن دور العالم الاسلامي في النظام العالمي ودور وسائل الاعلام في تنميته، وعن المؤامرات الدولية ضد الاسلام، بمافي ذلك الدعايات المعادية ومرتكزاتها. ويضيف اليه حديثا عن وضع الاسلام في مناطق مختلفة من العالم، وعن الجهود الدعوية الاسلامية على النطاق الدولي، مثل هجرة الحبشة في العهد النبوي، والقدوة الحسنة للمسلمين في الخارج وبناء المساجد...

وفي الباب الخامس تحدث عن العناصر الرئيسة للعملية الاتصالية: القائم بالاتصال، والمضمون، ووسائل الاتصال، والمستقبل، وفاعلية الرسالة، من وجهة النظر العامة. ثم أتبع ذلك بباب استشهد فيه بمجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بتلك العناصر. ثم تحدث عن الجهود الدعوية وضرورة التخطيط لها وأنواع الخطط. وفي الباب الثامن تحدث عن رابطة العالم الاسلامي والادارات المتفرعة عنها وبعض المؤتمرات التي عقدتها، بصفتها مثالا للاعلام الاسلامي الدولي.

ب - "الاعلام في خدمة الائتمان الاسلامي" للزيني، حيث تناول فيه المؤلف للموضوع بمعلومات شبه تفصيلية عن المعاملات البنكية ومايتصل بها من قوانين وضعية وأحكام شرعية، والأسلوب القرآني والحديثي في التبليغ عن تلك الأحكام الشرعية. وقد استغرق الحديث عن الائتمان قريبا من ثلثي الكتاب المؤلف من أربعمئة صفحة.

ج - "الاعلام الاسلامي: التحديات والمواجهة" للحلواني. وقد تناولت فيه المؤلفة أهمية القمر الصناعي في الدعوة الى الاسلام ونشره. وضرورة التضامن الاسلامي، وأهمية وجود اذاعة دينية موحدة، والتحديات التي تواجه العالم الاسلامي. ثم تحدثت عن الأقليات الاسلامية في العالم بصفتها الجمهور لمثل هذه الاذاعة، وفئاته، واللغات التي يقترح البث بها.

الممارسات التطبيقية:

للحديث عن الممارسات التطبيقية لعله من المستحسن تقسيم الموضوع الى الاصناف التقليدية: المطبوعات، والمواد الاعلامية المسموعة، والمواد الاعلامية المرئية المسموعة. اضافة لى ذلك من المستحسن استعراض بعض الملاحظات على الاعلام الاسلامي الموجود، والتعرف على أسباب الوضع الراهن، والتعرف على درجة الحاجة الى مصطلح "الاعلام الاسلامي".

المواد الاعلامية المطبوعة:

لقد وجدت بعض الدراسات بأن أخبار كثير من الصحف لاتخرج عن الضوابط الاسلامية. وكان من بينها ثمان دراسات مصغرة حول درجة انضباط الاخبار المنشورة في ثمان صحف سعودية وكويتية بالتعاليم الاسلامية.(11) فوجدوا من خلال دراستهم لعينة تغطي أسبوعا واحدا من كل صحيفة أن مضمونات هذه الصحف من الاخبار مقبولة شرعا بنسبة تقترب من 95 %.

ولعل كثيرا من القراء على علم ببعض الصحف والمجلات ذات المنطلق الاسلامي المتخصصة والمنضبطة بالتعاليم الاسلامية الى درجة عالية مثل: مجلة المجتمع، التي تصدر في الكويت، ومجلة الدعوة السعودية، ومجلة الدعوة التي يصدرها الاخوان المسلمون في مصر، والبعث الاسلامي التي تصدر في الهند، والأمل التي تصدر في أمريكا الشمالية، وجريدة المسلون(12)، وغيرها كثير.

وهناك دوريات أخرى تصدرها جاليات اسلامية تعيش في مجتمعات غير اسلامية. ومن أطرف هذه المجلات مجلة متخصصة في الاعلانات التجارية في جنوب شرق آسيا تصدر في تايوان باسم: مجلة التجارة العربية الاسيوية، تحتوي على صور كثيرة براقة بالالوان، ولكن في معظم الحالات تفصل بين رأس الآدمي وجسمه أو تتجنب اظهار الرأس كلية.

وتتسم المطبوعات ذات الاتجاه الاسلامي المتخصصة بخلوها من الصور الخليعة، وصور المرأة بصفة عامة.

يضاف الى هذه الدوريات الكتب الكثيرة التي تزخر بها المكتبات العامة أو التجارية مما لايخالف مضموناتها أو طرق اخراجها التعاليم الاسلامية. وكثير من هذه الكتب تقع ضمن ما يسميه البعض بالكتب الدينية الاسلامية أو كتب الثقافة الاسلامية. فهي اما تبصير بالاسلام أو دعوة اليه وتشجيع على تطبيق الاسلام في شتى مناحي الحياة.

المواد الاعلامية المسموعة:

وهذه تشتمل على المواد المسجلة علىأسطوانات، أو أشرطة تسجيل مثل الكاسيت والكارتريج والبكرات، ومنها ما ينتشر بين الناس مباشرة، ومنها مايذاع عبر محطات الاذاعة.

وظاهرة الأشرطة التي تحتوي على تلاوات للقرآن الكريم أو الاحاديث أو الخطب والمواعظ عامة منتشرة على نطاق واسع. ولها محلات بيعها الخاصة اضافة الى بيعها مع الأشياء الأخرى.

وبالنسبة للاذاعات فهناك - على سبيل المثال: اذاعة نداء الاسلام (صوت الاسلام سابقا) بالمملكة العربية السعودية التي تم افتتاحها عام 1381هـ. وهي تبث برامج لمدة أربع ساعات يوميا على فترتين: الصباحية والمسائية.(13)

وهناك اذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية التي تم انشاء شقيها في مكة المكرمة والرياض عام 1392 هـ. وقد بلغ مجموع ساعات بثهما قبل توحيدهما الى احدى وثلاثين ساعة. أما بعد توحيدهما أصبحت تبث ثمان عشرة ساعة يوميا.(14)

وهناك أيضا اذاعة القرآن الكريم التي تبث برامجها من القاهرة التي تم انشاؤها عام 1384هـ. ويصل بثها اليومي الى الثمان عشرة ساعة.(15)

ثم هناك اذاعة القرآن الكريم الكويتية التي بدأت بثها عام 1398هـ، بمعدل ثمان ساعات يوميا.(16)

ويلاحظ على هذه الاذاعات التي يصل مجموع بثها الى ثمان وأربعين ساعة يوميا مايلي:(17)

1 - تقديم البرامج الدينية بمعناها الضيق بنسبة تزيد على 90 في المئة ولا يشترك مع هذه البرامج في الوقت سوى البرامج الاخبارية.

2 - تتراوح نسبة تلاوات القرآن الكريم الى مجمل ساعات بثها بين 50 في المئة و 75 في المئة.

3 - تقدم هذه الاذاعات الى جانب التلاوات ونشرات الأخبار برامج حول القرآن الكريم وتعاليمه؛ ويغلب على هذه البرامج طابع الحديث المباشر. أما نسبة الاعمال الدرامية فضئيلة في الغالب.

الى جانب هذه الاذاعات المتخصصة في التعاليم الاسلامية، هناك نسبة من البرامج " الدينية" الصرفة، ضمن البرامج العامة لعدد من الاذاعات ولاتزيد نسبة هذه البرامج عادة على العشرة في المئة من وقت البرنامج العام.

ويضاف الى ذلك كله حقيقة يجب أن لاننكرها: هي أن أجزاء كبيرة من البرامج الثقافية، والرياضية هي مما لاتخالف الاسلام غالبا وهي ليست محسوبة في النسبة المئوية المذكورة آنفا.

المواد الاعلامية المرئية المسموعة:

ليست هناك محطات تلفازية متخصصة في البرامج "الدينية" كما هو الحال في الاذاعة المسموعة؛ بيد أنه هناك مجموعة من البرامج في كل محطة تلفاز تعمل في مجتمع غالبية سكانه من المسلمين.

وهناك دراسة أعدتها كلية الدعوة والاعلام بالرياض(18) قامت فيها بمسح البرامج التربوية الدينية في محطات تلفاز دول الخليج لمدة ثلاثة أشهر من عام 1406 هـ فوجدت ما خلاصته:

1 - لاتخلو برامج تلفاز الامارات، والبحرين، والسعودية، وعمان، وقطر من برامج دينية اما على هيئة أحاديث، أو اجابات على أسئلة شرعية، أو نقل لصلاة الجمعة وخطبتها، أو فقرات تلاوة للقرآن الكريم، أو قراءة للاحاديث النبوية.

2 - تتأرجح نسبة هذه البرامج الدينية المباشرة حول اربع في المئة من مجموع ساعات البث في المحطات كلها، أي بنسبة حوالي 24 ساعة الى 342 ساعة خلال فترة الدراسة.

ولعل ما قد قيل عن البرامج الثقافية والرياضية في الاذاعة قد يقال عن البرامج التلفازية؛ بيد أنه بملاحظة الفارق بين الوسائل المسموعة فقط والوسائل المرئية المسموعة نجد أن احتمال سلامة الاخيرة أضعف من سلامة الاولى.

ملاحظات على الاعلام التطبيقي:

لقد علق عدد ممن استكتبتهم صحيفة الشرق الأوسط أو أجرت معهم مقابلات لملف "الاعلام الاسلامي" على مستوى المواد الاعلامية الاسلامية.

وكان من التعليقات التي اتسمت بالشمولية: "واذا رصدنا الجانب الضئيل المحدود...الذي يتمثل في الصفحات الدينية وبعض البرامج الدينية في الاذاعات والتلفازيونات نراه اعلاما متخلفا يغلب عليه الطابع الانشائي، ولايلتحم بحياة الناس وقضاياهم، ويتناول موضوعات تقليدية متكررة،... وتقوم في قوالب وأساليب جامدة ومتخلفة فنيا..." وهذا لايمنع من وجود اعلام اسلامي يهتم بالقضايا الواقعية...(19)

وقد يضاف الى هذه الحقيقة ضآلة هذا الذي يذاع ويعرض عند مقارنته ب "غير الاسلامي".

وتعليق آخر يقول: "الاعلام الاسلامي مصطلح فارغ"(20)

وتعليق ثالث أدلى به أحد الاعلاميين الاسلاميين اجابة على سؤال وجهته مجلة المجتمع عن تصوره للاعلام الاسلامي قال فيه: "لايوجد لدينا اعلام، يفترض أن يكون لدينا مسلسلات تلفزيونية تخدم الاسلام، وأن يكون لدينا برامج ثقافية ومنوعات تخدم الاسلام. كما يفترض أن يكون لدينا أفلاما سينمائية تخدم الاسلام وروايات مسرحية... ولكن لا وجود لذلك كله... فأين الاعلام الاسلامي؟"(21)

وما دام الاعلام الاسلامي في وضعه الراهن قريبا مما تم تصويره، فهل هناك حاجة الى الترويج له تحت شعار خاص به؟

ضرورة الاعلام الاسلامي:

لقد كان الكاتب لايرى حاجة في اضافة كلمة "اسلامي" الى الجهود المبذولة لتصحيح مسار الواقع الاعلامي. وبدلا من ذلك يرى الاقتصار على العمل الحثيث الجاد لتحقيق هذا الهدف بدون ضجة كبيرة. بيد أن أحد الطلاب،(22) قام بتفنيد هذا الموقف، وكانت حجته هي: لولا الضجيج الذي أثير حول البنوك الاسلامية لما كانت هناك نماذج قوية للبنوك الاسلامية، اليوم.

والحجة مع ضعفها قد تحمل الانسان على تعديل الموقف. وسبب ضعف الحجة هو أن البنك يتعامل مع رجال ونساء في سن الرشد غالبا. وقد يستطيع اجتذاب جمهوره الى تشجيع المحاولات التطبيقية القاصرة في البداية وأن يتحمل السلبيات لمدة قد تقصر أو تطول.

بيد أن جمهور المؤسسات الاعلامية متنوع مختلف من حيث درجة النضج ومن حيث السن ومن حيث نوع الثقافة ودرجة الثقافة... لهذا يصعب اجتذاب مثل هذا الجمهور الى أعمال ضعيفة المستوى، غير جذابة. كما يصعب اقناع مثل هذا الجمهور على احتمال السلبيات الظاهرة في سبيل المبدأ والمضمون لمدة طويلة.

ولكن هذا لايمنع من ضرورة طرح موضوع الاعلام الاسلامي للنقاش، وتذكير الناس به، لأن تحقيقه في الواقع مطلب ديني، لا مفر منه.واخضاع الممارسات الاعلامية لضوابط الشرع الاسلامي واجب على الفرد المسلم كما هو واجب على الجماعة الاسلامية، كل في نطاق قدراته. ولا بد لكل مسلم أن يعمل على تحقيقه أو أن يدعوا الى تحقيقه.

ولعل الدعوة الى تطبيق الاسلام في هذا المجال الخطير تحت شعار خاص بها أكثر فعالية، مادمنا نعيش في مجتمعات تتخذ من الاسلام دينا رسميا لها. اضافة الى أن الشعار يسهم في توحيد الجهود المبذولة في هذا المجال.

ولعل الخطوة الأولى للعمل على تحقيق الاعلام الاسلامي في الواقع هو محاولة التعرف على أسباب تخلف الاعلام الاسلامي؟

أسباب الوضع الراهن:

هناك أسباب كثيرة يمكن استقراؤها من الآراء المطروحة وحصرها في صنفين رئيسيين: أسباب خارجية، وأسباب داخلية.

الأسباب الخارجية:

ويعتبر من الأسباب الخارجية هذا المجتمع الذي يعيش فيه الاعلاميون المتحمسون للاعلام الاسلامي، ومن أشكال تأثير المجتمع مايلي:

أ - السلطات التي قد تفرض أطرا فكرية بطريقة الزامية، أو تضيق الخناق على الممارسات الاعلامية الاسلامية، أو على الأقل لا تعطيها الفرصة للانتشار والنشر، أو لا تحمي حقوق منتجيها الذين قد يتكلفون المبالغ الضخمة.

ولكن يلاحظ في الغالب أن السلطات لا تتدخل، حتى لو كانت منحرفة عن الاسلام، الا اذا شعرت بأن هذا الاعلام يهدد كيانها ومصالحها. وبما أن الموضوعات كثيرة وأساليب التناول عديدة فانه يمكن اللجوء الى الأساليب الحكيمة، وارجاء بعض الموضوعات، ريثما تتاح الفرصة لتناولها.

كما يلاحظ أن كثيرا من الأشياء التي يدعوا اليها الاسلام تدعو اليها الأنظمة الرأسمالية والشيوعية والدكتاتورية...، مثل: الاهتمام بالنظام، والنظافة، والاخلاص في العمل، والازدهار الاقتصادي للمجتمع...

ب - اقتصار انتماء المجتمع الى عقيدته وتشريعاته ومبادئه على الانتماء الاسمي؛ واقتصار حماسته للاعلام الاسلامي على الحماس الكلامي أو شيئا قريبا من ذلك. فهناك الكثير ممن لايعبؤون بمكونات المواد الاعلامية التي يستهلكونها مادامت تلك المواد تشبع حاجته الى مادة شيقة وتحقق درجة عالية من التسلية. وهناك الكثير ممن يتحمس للاعلام الاسلامي قولا ولكن عمليا يحرص على استهلاك الاعلام غير الاسلامي ويسهم في نموه ويعمل على ترويجه.

ولكن من الذي يصنع مثل هذا المجتمع في النهاية؟ لاشك هناك العديد من العناصر التي تسهم في صناعة المجتمع: معتقداته وتقاليده وسلوكه. ومن هذه العناصر: التربية المنزلية والمؤسسات التعليمة،والنظم والقوانين الرسمية، و التقاليد والأعراف الاجتماعية... بيد أن وسائل الاتصال الجماهيري ذات القدرة السحرية في عرض الأفكار والقيم يعتبر عنصرا لايستهان به في صناعة المجتمع. وهذه الحقيقة أصبحت واقعا تتحدث عنه النظريات الحديثة التي تتناول العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيري و جمهوره. ومع أن الصورة المبالغة للتأثير غير صحيحة. فان هناك تأثيرا متبادلا بين الاثنين الا أن كفة وسائل الاتصال الجماهيرية هي الراجحة.(23)

فلهذا نستطيع القول بأن جزء كبيرا من مسئولية اصلاح مثل هذا المجتمع تقع على العاملين في مجال الاتصال الجماهيري. ولهذا نحن في حاجة الى اعلام يجيد عرض المعتقدات والأفكار الصحيحة والنماذج السلوكية الصحيحة لحث الجمهور على تبنيها. ورغم كون الجنة حفت بالمكاره، والطريق اليها صعب، والنار حفت بالشهوات، والطريق اليها سهل، فان التعاليم الاسلامية دين الفطرة والانسان ينزع عادة الى الفطرة.

ج - انعدام الوعي لدي أصحاب رؤوس الأموال الذين يحجمون عن الاستثمار في هذا المجال رغم الحماسة الظاهرة عند بعضهم لتطبيق التعاليم الاسلامية، بما في ذلك في مجال الاعلام.

و صحيح أن رأس المال الضخم قد يكون سببا في انتاج مادة اعلامية رائجة، ولكن العمل الناجح المتقن أيضا سبب لجذب رؤوس الأموال الضخمة الى ميدان الاستثمار في مجال الاتصال الجماهيري.

د - ومن الأسباب التي صرح بها أكثر من مساهم في مناقشات الشرق الاوسط وأشار اليها الاستاذ الأميري (24) بشكل يتسم بالشمولية: أثر القوى

الاستعمارية وأعوانها من المواطنين. وهذا يتمثل في الغزو الفكري القادم من الخارج والمصنع في الداخل.

ولكن لابد أن نتذكر أيضا أن من أسباب هذا الغزو الاعلامي رداءة الانتاج الاعلامي المحلي أو الاسلامي؟

هـ - وهناك من يقول باستحالة الممارسات الجذابة التي تنافس الاعلام غير الملتزم بسبب صرامة الضوابط الاسلامية أو الفتاوى المتصلة بعناصر الانتاج الاعلامي.

ومع أن هذا القول فيه شيء من الحقيقة فأن في هذا القول أيضا مبالغة. وذلك لأن هناك كثيرا من المواد الاعلامية الناجحة مع أن مخالفاتها للتعاليم الاسلامية قليلة، ويمكن تلافيها دون أثر كبير على المستوى الفني لتلك المواد، مثل كثير من أفلام ديزني ويرلد.

وهناك حقيقة أخرى لابد من ملاحظتها وهي أن كثيرا من الضوابط الشرعية تبدو صارمة جدا، ليس لأن هذه الضوابط هي في حقيقتها صارمة. ولكن لأن العلماء عندما يتلقون أسئلة عامة يفتون بأحكام عامة، حسب الصورة الذهنية التي يستحضرونها للحالات المسؤول عنها.

مثال ذلك عندما يسأل الاعلامي العالم: "ما حكم الغناء في الاسلام فان العالم سيستحضر في ذهنه مايسمع عنه من أغان خليعة، وعن اتخاذ بعض الرجال أو النساء الغناء حرفة، وعن السهرات التي يقيمها كثير من الناس فيشغلهم عن أمور دينهم ودنياهم. فتكون الاجابة المؤكدة: "هي حرام."

ولكن لو فصل السائل السؤال لوجد أن الغناء كلمة شاملة. وهناك عوامل مختلفة تؤدي الى منعه أو اباحته مثل: هدف المغني، طريقة الأداء، جنس الذي يقوم بالغناء وعمره، ومن يسمعه، ومضمون الكلمات، والظروف التي يتم فيه الغناء، ونوع الآلات المصاحبة له، والمناسبات التي يتم فيها الغناء...

وهذه مسائل عامة يشترك فيها الاعلاميون وغير الاعلاميين. وهناك مسائل خاصة بالاعلامي فقط. ومثال ذلك أن يقوم الاعلامي بتصوير رجل في عمل درامي، يمشي في الشارع وتظهر صورة نساء متسترات، يمشين في الشارع دون قصد من المصور أو منهن. ويلاحظ أن حدود التستر موضع خلاف بين العلماء. فهناك من أباح كشف الوجه والكفين، وهناك من لم يبح كشف الوجه. واذا دخلنا في التفاصيل أكثر فان الاختلا ف سيتشعب أكثر، ومجال الاختيار يصبح أكبر. لهذا لابد للسؤال أن يكون دقيقا حتى تكون الاجابة واقعية.

و - النظرة الدونية أو المجحفة الى بعض أصحاب المهارة الفنية عند مقارنته بالحقوق المعنوية والمادية التي يتمتع بها المنظرون ذوي السلطة في المؤسسات الاعلامية.

ففي مجال الانتاج التلفازي أو السينمائي قد يتقن المصور أو مهندس الصوت أو الضوء أو الديكور أو المونتاج... عمله ويصل به الى مستوى رفيع ولكن ينظر اليه على أنه أقل من المخرج ومدير المحطة وصاحب رأس مثلا...

مع أن كثيرا من الأعمال الفنية التي تتوفر لها الامكانات الآلية والمالية الضخمة تفشل بسبب انعدام المهارة في هذه الكوادر الفنية؛ فتذهب جهود المخرج المبدع والامكانات الضخمة دون عائد كبير.

الاسباب الداخلية:

لعل من أبرز الأسباب الداخلية هو ما أشار اليه طلال بقوله: "ان المشكلات التي يعانيها الاعلام الاسلامي هي المشكلات التي نعانيها على المستوى العربي أو في العالم الثالث. فهي مشكلات تتعلق أساسا بالجانب البشري أي الأطر المكونة تكوينا متخصصا في هذا المجال كما تتعلق أيضا بجانب التجهيز ولا نعني بذلك اقتناء التكنولوجيا فحسب، وانما بكيفية التعامل مع هذه التكنولوجيا."(25)

وأعني بالذات الطاقة البشرية الماهرة، أو المهارة في استثمار وسائل الاعلام المادية. وهذا هو السبب الرئيس الداخلي وعندما ننظر الى التفاصيل فسنجد من الأسباب مايلي:

أ - قصور البرامج التأهيلية(26) فالسائد في الساحة هو أن كثيرا من العاملين في الميدان انما اكتسبوا مهاراتهم خارج المؤسسات التعليمية الاعلامية. وهناك من الماهرين نسبيا من لم يسعدوا أو يشقوا بالتمتع أو بالمعاناة في المؤسسات التعليمية الاعلامية. بل ومنهم من لم تكن لديه الفرصة للتعرف على المؤسسات التعليمية أصلا، بصرف النظر عن تخصصصاتها.

ب - ضعف الاخلاص عند الكثير من الاعلاميين للعمل نفسه، وانعدام الهمة لانتاج العمل المتقن في مقابل الانتاج الأغزر.

ج - ضعف الالتزام أو الجهل بالتعاليم الاسلامية بين كثير من الاعلاميين، الذين يعتقدون أن الاسلام ينحصر في أداء الواجبات العبادية أو أن الاسلام دين يقبل الازدواجية الدعوة الى شيء وتطبيق شيء آخر.

د - التوجه الى تنظير كل شيء تطبيقي في أصله. والسائد الآن بين المؤلفين ومدرسي الاعلام التحدث عن الاشكال الاتصالية الناجحة في الماضي، أو الاشكال الاعلامية الناجحة لغيرنا، وبدون تدريب كاف للطلاب على كيفية انتاج أمثال تلك الممارسات الناجحة. وذلك لأن بعضهم يدرس مادة الانتاج والاخراج بنقل المعلومات النظرية في المراجع الى ذهن الطالب فقط أو كراسته.

و البعض يردد بعض الشروط المثالية لأعمال اعلامية خيالية، تتوفر فيها كل صفات الكمال: الانضباط بالتعاليم الاسلامية، والتفوق من الناحية الفنية.

ولعلي أقول بأن السبب الرئيس من بين هذه الاسباب الخارجية والداخلية هو قصور برامج الاعداد الفني. ففي العالم العربي هناك عشرات الأقسام التعليمية

المتخصصة في تأهيل الطالب، في مجال الاعلام، نظريا في الغالب، ولكن ليس بها سوى جامعة واحدة تركز على الجانب المهني، وهي جامعة حلوان.

عندما نستعرض الأسباب السابقة نجد أن بعضها مشكلات مشتركة بين الاعلامي وغيره وبعضها حاص بالاعلامي، والاعلامي الاسلامي بصفة خاصة.

د. سعيد اسماعيل صيني
في 18/8/1411هـ

حواشي الفصل الثاني
هل هناك اعلام اسلامي؟

1 - حمزة، الاعلام في صدر، ص 10؛ ويلاحظ أنه لايميز الاعلام عن الاتصال أحيانا.

2 - الندوة العالمية للشباب الاسلامي.

3 - عبد الحليم. محي الدين، ص 9.

4 - محمد امام ص 16؛ شلبي ص 9.

5 - حمزة، الاعتماد على تعريف أوتوقروت للاعلام كمثال، وتشويه سمعة الخليفة الراشد عثمان وأمير المؤمنين معاوية؛ وانظر تعليقات الخطيب ص 107-161؛ وصيني دراسة تقويمية.

6 - الصاوي وشرف، نظرية، ص 154؛ الفتياني ص 17؛ عبد الحليم ص 10؛ محمود مصطفى.

7 - محمد ص 13-16.

8 - امام، ابراهيم، الاعلام الاسلامي، وأصول الاعلام؛ الصاوي وشرف، نظرية.

9 - لاوند؛ بليق، موازين؛ حاتم؛ الشنقيطي، وظيفة.

10 - العويني؛ الزيني؛ ماجي الحلواني، الاعلام الاسلامي.

11 - ثمان طلاب من طلبة قسم الاعلام بالمعهد العالي للدعوة الاسلامية فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

12 - المجتمع، مجلة؛ الدعوة، مجلة سعودية؛ الدعوة، مجلة مصرية؛ البعث الاسلامي؛ الأمل، مجلة أمريكية شمالية؛ المسلمون، صحيفة؛ وهناك دوريات أخرى.

13 - كريم، نشأة ص 80 -87 . نشرات المديرية العامة للاذاعة.

14 - بدر كريم، نشأة ص 142 -.150 المديرية العامة للاذاعة.

15 - ماجي الحلواني، الاذاعات ص 82.

16 - فلاح.

17 - هذه الملاحظات مبنية على ملاحظة غير مقننة لعدد من الاذاعات العربية المحلية، وكذلك بعض التعليقات التي وردت في المصادر المذكورة التي تحدثت عن البث الاذاعي.

18 - طاش. وآخرون، البرامج الدينية.

19 - كاظم، صحيفة الشرق الأوسط عدد 4008.

20 - الحارثي.

21 - الشطي، محلة المجتمع عدد 936.

22 - طارق مسعود، مناقشة في مادة منهج الاعلام الاسلامي (المدينة المنورة: المعهد العالي للدعوة الاسلامية).

23 - رشتي، الأسس العلمية ص 565-650؛ Severin and Tankard pp. 200-266; Tan pp. 201-283.

24 - ألأميري، صحيفة الشرق الأوسط، عدد 4010.

25 - الأميري، صحيفة الشرق الأوسط، عدد 4010.

26 - صيني، مناهج التأهيل؛ فلسفة التأهيل.

د. سعيد اسماعيل صيني 20/8/1411 هـ

الفصل الثالث
نموذج للعملية الاتصالية

لقد أصبحت النماذج (Models) أداة ضرورية في كل ميادين المعرفة وأنواع الحرف تقريبا. ويهدف النموذج الى جعل الفكرة أو الأنظمة أيسر فهما وأكثر وضوحا. وتأتي النماذج في هيئة عبارات مرتبة مختصرة؛ أو رسم مبسط؛ أو مجسم.

ويرى "دويتش" Deutsch(1) أن النماذج تقوم بأربع وظائف مميزة هي: التنظيم، والتنبؤ، والقياس، واستثارة الأفكار أو المعلومات الجديدة.

وربما كان من المناسب ـ قبل الحديث عن نموذج اسلامي ـ التوقف قليلا عند أبرز الجهود السابقة في مجال نماذج الاتصال البشري.

الجهود السابقة:

هناك جهود كثيرة في هذا المجال. وسيتم استعراض بعضها من الزاوية الاتصالية العامة، اضافة الى استعراض ما هو موجود من الزاوية الاسلامية.

الزاوية الاتصالية العامة:

لعل من الصعب تحديد أول من قام بتسخير النماذج لخدمة علم الاتصال، ولتجسيد المراحل المختلفة لعملية الاتصال بين بني البشر. بيد أن المختصين في علم الاتصال يميلون الى اعتبار "لاسويل" Lasswell أول من استخدم النموذج لتصوير عملية الاتصال، وقد ظهر نموذجه في عام 1948م في العبارات التالية:(2)

من؟ Who?

يقول ماذا؟ Says What?

عبر أي وسيلة؟ In Which Channel?

لمن؟ To Whom?

وما هو الأثر الذي يتركه؟ With What Effect?

ويحدد هذا النموذج العناصر الرئيسة لعملية الاتصال: المصدر الأساس والمصدر الثانوي (بما في ذلك الوسيلة)(3) والرسالة والمستقبل للرسالة. ومع أن النموذج ينطبق على أشكال كثيرة من عمليات الاتصال فقد نقدها بعض الباحثين لكونها تقتصر على تصوير الرسائل ذات التأثير المقصود، ولا تعطي أهمية للبيئة الاحتماعية التي تتم فيها العملية الاتصالية. والحقيقة أن التأثير وارد سواء كان مقصودا أو غير مقصود.(4)

وفي العام نفسه نشر "نوربرت وينر" Norbert Wiener بحثه "سيبرنتيكس" Cybernetics (5) الذي يعبر عن اهتمامه بايجاد نظام ذاتي للاتصال، يستجيب للظروف المحيطة بانشاء رسالة يصدر على أثرها رد فعل يعمل بدوره على ضبط الظروف المحيطة. ومثال ذلك ضابط الحرارة الذاتي الذي يقيس درجة الحرارة في الغرفة. فان وجدها أعلى من المطلوب أو أقل بعث برسالة كهربائية الى جهاز التكييف ليبدأ عملية التبريد أو التدفئة، حتي تعود الحرارة في الغرفة الى المعدل المطلوب وهكذا دواليك.

وهذا النظام الذاتي قد يكون كهربائيا أو آليا أو بشريا مثل الشبكة العصبية للانسان، أو مزيجا من هذه العناصر. فالانسان وهو يقود السيارة يتلقى رسالة من مقياس السرعة الكهربائي بأنه تعدى السرعة المحدودة فيوجه رسالة الى أجهزة الاحتراق والحركات المتصلة بها لتخفيض السرعة. فيعود عداد السرعة ليعطي السائق اشارة بأن السرعة أصبحت مناسبة... وهكذا تستمر عملية الاتصال الدائرية

للحفاظ على السرعة المطلوبة. ويلاحظ أن هذا النموذج يقتصر على عملية الاتصال الآلية ولا يصور العملية الاتصالية البشرية بصدق.

ولعل النظرية الهندسية للاتصال التي جاء بها "شانون" Shannon(6) هي اكثر النظريات تأثيرا وحافزا على تطور العديد من النماذج والنظريات في ميدان الاتصال. ونظرية شانون مبينة على المفهوم الاحصائي الحسابي Statiscal Concept لعملية الاتصال التي جاء بها "وينر" Wiener. وقد قام "ويفر" Weaver(7) بوضع رسم بياني لهذه النظرية تولد عنه نماذج كثيرة لعملية الاتصال. (شكل 1).

شكل (1)

ففي هذا النموذج ينتقي مصدر المعلومات رسالة يختارها من الرسائل العديدة المحتملة. وقد تكون هذه الرسالة على هيئة شيء يتم ادراكه بالسماع أو بالنظر. ثم يقوم جهاز البث بتحويل الرسالة الى رموز أو ذبذبات كهربائية، حسب نوع جهاز البث أو الارسال ان كانت مطبوعة أو اذاعة أو تلفازا. وفي الطرف الآخر من عملية الاتصال -كما هو مبين في الرسم- يقوم جهاز الاستقبال (مثل الراديو أو جهاز التلفاز أو سماعة التلفون) باعادة تلك الرموز أو الذبذبات الكهربائية الى الشكل المسموع أو المرئي ليفهمها مستقبل الرسالة. وقد أضاف هذا النموذج بعض التفصيلات على عنصر الرسالة وعنصر الوسيلة ولا سيما النظرية التي تضمنها النموذج، القائلة بأن أي رسالة - عادة - تتألف من أجزاء تثير كثيرا من التساؤلات لا تتضمن الرسالة نفسها الاجابة عنها وقد تخلق البلبلة entropy، وأجزاء أخرى تتضمن معلومات تساعد في التعرف على المجهول ويتولد عنها التيقن من بعض المعلومات redundancy ويمكن انقاص نسبة البلبلة بزيادة الأجزاء التي يتولد عنها اليقين. غير أن هذه الزيادة عادة تتم في

نطاق قدرة الوسيلة.(8) فالتكرار في الرسالة يزيد من اليقين ولكن يتم ذلك على حساب حجم المعلومات التي نبثها أو نحصل عليها من الحيز المحدد في وسيلة النقل.

فلو كانت لدينا مدة خمس دقائق من وقت الاذاعة فاننا سنكون أمام خيارين أحدهما أن نستعرض عددا من الأفكار فلا نفيها حقها من الشرح والايضاح أو أن نشرح فكرة واحدة نعطيها حظا أوفى من الشرح والايضاح. وكذلك الحال بالنسبة للمساحة المحدودة في حالة الصحف أو الكتب.

وقد نقد "أوزقود" Osgood (9) نموذج شانون وويفر لكونه جيدا للاتصالات الآلية فقط. ولكنه لا يصلح لتصوير عملية الاتصال البشرية، واقترح نموذجا ركز فيه على ايضاح الحقائق التالية:

1- الانسان مزود بنظام كامل للاتصال يمكنه من الاستقبال والارسال في الوقت نفسه تقريبا.

2- التمييز بين الاشارة (الأصوات أو الكلمات أو الصورة) المرسلة أو المستقبلة وبين المعنى الذي يعطيه مستقبل الرسالة لتلك الاشارات المستقبلة.

3- العوامل النفسية والبيئية الاجتماعية التي تتم في وسطها عملية الاتصال وما تتركه من بصمات على المعنى الذي يتكون في ذهن المستقبل وعلى ما يصدر منه من ردود فعل.

غير أن "شرام" Schramm(10) لم يقتنع بأن نموذجا واحدا يكفي لتصوير العملية الاتصالية فخرج بثلاثة نماذج. أكد في نموذجه الأول على مسألة رد الفعل، ثم أضاف اليها الأثر الذي يتركه رد الفعل.

فالمصدر عندما يتلقى رد فعل رسالته، قد يتمنى لو أنه استخدم عبارات اخرى أو حتى أنه لو لم يصدر الرسالة أصلا؛ وقد يعمل على اصدار رسالة أخرى معدلة.

أما النموذج الثاني فقد أكد فيه على أهمية الخبرات والتجارب المشتركة بين المرسل والمستقبل. فالناس قد يحاولون الاتصال بعضهم ببعض بواسطة الاشارات، ولكن نسبة نجاحهم تعتمد على نسبة خبراتهم المشتركة مع تلك الاشارات (مثل اللغة الواحدة). فكلمة المعبود مثلا تعني عند المسلمين: الواحد الأحد الفرد الصمد، وتعني عند المسيحيين: الأب والابن والروح القدس وعند الهندوس البقرة ...

وأما النموذج الثالث فهو حسب وصف "سيفرن" Severin وتانكرد Tankard(11) يوضح عملية التداخل بين العناصر المختلفة لعملية الاتصال: تحويل الرسالة الى اشارة، وترجمة الاشارة الى رسالة مفهومة، والارسال، والاستقبال، حيث تظهر عملية رد الفعل بين الطرفين: المرسل والمستقبل واضحة وكذلك التبادل المزدوج للمعلومات. ويحدث كل هذا في ظروف اجتماعية تؤثر على جميع الاطراف المشتركة في العملية الاتصالية.

وكأن شرام يؤكد بذلك الى ما أشار اليه أوزقود من قبل، وأنظر الشكل (2) لنموذج أوزقود.

ووضع "نيوكمب" Newcomb (12) نموذجا عالج فيه موضوع التداخل بين عناصر الاتصال من زاوية مختلفة. فقد ألقى نموذجه ضوءا على ما يجري وراء عملية الاتصال الظاهرة من تفاعلات نفسية. وأشتهر هذا النموذج باسم الأي، بي، اكس A, B, X. فالنموذج بأبسط أشكاله يتألف من العناصر التالية:

1 ـ عمرو A يبعث برسالة الى زيد B حول اعجابه بمدرس الاعلام X.

2 ـ رد فعل زيد على محتوى الرسالة يعتمد على احساسه تجاه كل من عمرو، ومدرس الاعلام، والموازنة بينهما.

وهذا النموذج الذي يستند الى الحقيقة القائلة بأن الانسان يجب أن يحدد موقفه من الأشياء التي تحيط به وكذلك من الناس الذين يحيطون به يؤكد نظرية "فستنجر" Festinger.(13) وتشير نظرية فستنجر الى أن المجموعات البشرية التي يتعامل معها الفرد وينتمي اليها- عادة - تمارس ضغوطا عليه، تحدد معتقداته وأحاسيسه وتصرفاته. ويشير النموذج أيضا الى ضرورة التوازن النفسي للانسان بين الضغوط المختلفة فانعدام التوازن عادة يوجد قلقا نفسيا لا يزول الا مع استعادة هذا التوازن. وتتم عملية التوازن هذه بصيغ ثلاث. الصيغة الأولى هي أن يكون ثمة اتفاق كامل بين عمرو وزيد حول موقفهما من مدرس الاعلام، والصيغة الثانية هي أن يكون هناك نوع من الاتفاق وسط، والصيغة الثالثة هي أن يتفقا على أنهما يختلفان من حيث موقفهما من مدرس الاعلام وهذا أقل ما يجب لاستعادة حالة التوازن النفسي.

أما "وستلي" Westley و"ماكلين" Mclean(14) فقدما نموذجا بنياه على نظرية "لوين" Lewin، حارس البوابة Gatekeeper، حيث يتحكم "حارس البوابة" في انتقال المعلومات من المصدر الى المستقبل، وعلى نموذج نيوكمب و ماكلين. ويتألف هذا النموذج من أربعة عناصر، يرمز لها بالحروف اللاتينية "أي" A و"بي" B و"سي" C والعديد من "اكس" Xs.

ويرمز أي A لمصدر الرسالة، وبي B لمستقبل الرسالة والعديد من اكس Xs يرمز الى الأشياء أو الأحداث الخارجة عن نطاق الحواس الخمس للمستقبل. أما سي C فيرمز الى "البواب" الذي يفترض فيه أن يكون وكيلا لمستقبل الرسالة، يختار له

من الرسائل الكثيرة المتوفرة ما يراه مفيدا له ويلبي حاجته. ويقوم سي بتحويل الرسائل المختارة الى الاشارات القابلة للارسال كما يقوم ببثها. وهذه النخبة من الرسائل قد تكون ذات أهداف خاصة يقصد بها توجيه المستقبل للرسالة أو أنها تهدف فقط الى اعلامه بالظروف المحيطة.

ويشير هذا النموذج الى الحقيقة القائلة بأن مستقبل الرسالة بي يستطيع أحيانا أن يختار بنفسه من الرسائل المتوفرة، دون وساطة حارس البوابة أو أن يختار من الاثنين معا، أي من حارس البوابة والمصادر الأساسية (الأشخاص أو الأحداث أو الأشياء) جميعا. كما يشير النموذج الى أن رد الفعل فوري في حالة المحادثة أو عملية الاتصال وجها لوجه، ولكن في حالة تدخل حارس البوابة فان رد الفعل ياتي متأخرا.

وهذا النموذج انما يشير الى المستمع والمشاهد والقاريء كمستقبل، والى المؤسسات الاذاعية أو التلفازية أوالصحقية كحارس للبوابة. ثم يشير الى المصادر التي تنقل منها أجهزة الاعلام المعلومات وكذلك الى الأشخاص والأحداث والأشياء التي ترى أجهزة الاعلام نقل أخبار أو معلومات عنها.

ثم جاء "قيربنر" Gerbner(15) بنموذج هو في الحقيقة تجميع لمزايا النماذج السابقة. وأكد فيه على الاختلاف بين الرسالة التي يستقبلها المورد والتي يرسلها المصدر في الأصل. كما أكد بعض الحقائق مثل الوظيفة التحكمية لأجهزة الاعلام، وعملية الاختيار من الرسائل المتوفرة ووجود الأثر من جراء استقبال الرسالة سواء أكانت الرسالة معدة في الأصل للتأثير في المستقبل لها أم لمجرد اعلامه بها.

أما "برنت روبن" Brent Ruben (16) فقد نشر نموذجين تناول في أولهما عملية الاتصال من زاوية تختلف عما سبق استعراضه. فقد قام المؤلف بتصوير عملية الاتصال من حيث العلاقة المتداخلة بين الرسالة وتصرفات الفرد. وفي الثاني ركز المؤلف على العلاقة المزدوجة المتداخلة بين وحدة الاتصال الفردية ووحدة الاتصال الجماعية، فكما أن الفرد يؤثر في عملية الاتصال الجماعية فان الجماعة كذلك تؤثر في عملية الاتصال الفردية.

وركزت "نانسي هاربر" Nancy Harber (17) في نموذجها على الزاوية الفردية فتحدثت عن العناصر التالية:

1 - الادراك أو الاحساس بالاشياء من حولنا وتصنيفها وتخزينها.

2 - تحديد معان لها.

3 - ترجمة المعاني الى رموز.

4 - اعداد الرموز للأحداث الاجتماعية الطائة أو بتعبير آخر لاستعمالها في الحياة اليومية.

5 - وضع الرموز الذهنية في أشكال محسوسة أو قابلة للادراك من الغير (مثل الكتابة والرسم أو التحدث بصوت..).

ويصورالنموذج هذه المراحل المختلفة متداخلة متزامنة تقريبا.

وهناك العشرات من النماذج.(18) وهذه بعضها، اختيرت اما لشهرتها أو لاختلافها النسبي عن النماذج التقليدية.

ويلاحظ أن هذه النماذج تتدرج من البساطة الى التعقيد في الشكل والمضمون.

كما يلاحظ أن هناك اتجاها عاما الى تجاهل العملية الاتصالية غير المتكافئة حيث يصدر الأمر من طرف ليتم تنفيذه من الطرف الآخر. فأغلب النماذج تصور الطرفين: المصدر والمستقبل على أنهما متساويان يتبادلان دور المتحدث والمستمع بالتساوي. و لعل ذلك كان من أثر الصورة المثلى للديمقراطية الغربية في أذهان الكتاب، التي أدت الى المبالغة في نظرية رد الفعل Feedback. فالرسائل تتنوع و الأوضاع التي يتم فيها بث الرسالة تتنوع أيضا. فالعملية الاتصالية بين صديقين في موضوع شخصي ليس كالمحادثة بينهما في موضوع العمل ما دام أحدهما رئيسا والآخر مرؤوسا.

الكتابات الاعلامية الاسلامية:

ومن المنظور الاسلامي فقد أشار لاوند الى: "أن الأصول الأساسية في الاعلام عامة وفى الاعلام القرآني خاصة هي خمسة أصول: 1) المرسل، 2) المرسل اليه، 3) المضمون، 4) أداة الارسال، 5) الغرض من الارسال." ثم يضيف بأن المرسل هو "الله عز وجل في شخص الرسول... أما أداة الارسال فهو جبريل.."(19) ويتفق معه الركابي في كون الله سبحانه هو المرسل، وأن الدعوة الى الحق هي الرسالة، وأن المرسل اليهم هم الناس ولكن يختلف معه حيث يجعل الرسول الأداة أو حامل الرسالة.(20)

وقدم حجاب ثلاثة نماذج؛ لم يخرج عن الدائرة نفسها في نموذجه الأول(21) بيد أنه، في الشكل التوضيحي، يجعل المصدر هو الرسول. ثم يعود في التعليق ليتفق مع الركابي، في كون الله عز وجل هو :المصدر "هنا أو المنشيء الأول للرسالة الاعلامية في الاسلام هو الله سبحانه وتعالى."

ويضيف أيضا أن "الرسالة الاعلامية: وهي هنا الوحي"، ثم يتحدث عن الوحي بأشكاله المختلفة. وعن المستقبل يقول: "وهو في هذا النموذج المصطفى عليه السلام كما قال تعالى ،وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا". فيعارض بذلك ما ورد في نموذه الأول، حيث يقول أن المرسل هو الرسول. أما بالنسبة للهدف فيتفق فيها مع لاوند و الركابي في كونه الدعوة الى الحق. ولم يربط بين نموذجه والواقع.

الشكل (3)

وأما نموذجه للاتصال الذاتي(22) فقد استمده من قصة ابراهيم عليه السلام حيث يصوره القرآن وهو يبحث عن ربه.(23) فقد تحدث فيه عن المنبهات (المثيرات) التي يدركها الفرد بحواسه الخمس مضافا اليها البصيرة، والظروف التي تتم فيها عملية الادراك، والتفكير في طريقة الاستجابة، وتحويل الاستجابة الى رموز. وأضاف فيه بأن تكرار المنبه يجعل العملية الادراكية تتحول الى عملية تعلم، وأن الاستجابة قد تكون منبها لفرد آخر أو منبها لاستجابة أخرى. وقد جاء نموذجه هذا في رسمه التوضيحي معقدا بسبب وجود أكثر من أربعين كلمة وعبارة كجزء أساسي في النموذج الذي اشتمل على عشرين مستطيل. وتناول المؤلف هذه العناصر بشيء من التفصيل استغرق خمسة وأربعين صفحة، تحدث فيها عن المنبهات: الداخلية، والطبيعية، الاجتماعية، والتنظيمية، والمعنوية. كما تحدث فيها عن أجهزة الاستقبال: السمع، والبصر، اللمس، الشم، والذوق، والبصيرة.

ثم تحدث عن الادراك، والتفكير، والاستجابة ورجع الصدى.

أما النموذج الثالث لحجاب(24)، فقد جاء على عكس نموذجه الثاني خاليا من أي تعليق واقتصر على اثني عشرسهما يصور به "درجة التفاعل الاتصالي " بين "أربعة أفراد داخل المجتمع الاسلامي". ويؤكد الكاتب في هذا النموذج بأن "القائم بالاتصال أو الداعية في النظريات الاعلامية الاسلامية هادف...بخلاف نماذج الاتصال الحديثة التي ترى أن القائم بالاتصال غير هادف...كما أشار الى ذلك و"ستلي" و"ماكلين." وهذا ما لاتقوله النماذج الاعلامية. وما أشار اليه وستلي وماكلين هو أن القائم بالاتصال لايهدف الى تغيير سلوك الجمهور في بعض الحالات وهذا صحيح بالنسبة للرسالة الخبرية الا ماكان من بصمات لا ارادية تتركها تحيزات القائم بالاتصال. أما بالنسبة للرسائل الاقناعية فلا يقول أحد بأن القائم بالاتصال فيها لايقصد تغيير سلوك الجمهور برسالته.

كما أن المؤلفان يؤكدان بأن القائم بالاتصال لا يخلوا من هدف ارضاء الجمهور عند اختياره للرسائل التي يبثها اليه. فذلك أمر مصيري للقائم بالاتصال، يتوقف عليها بقاؤه.(25) وهذا ينطبق بصفة خاصة على وسائل الاعلام التي تعتمد على الاعلانات في التمويل.

وما ورد في "الاعلام في القرآن الكريم" لحاتم(26) لا يخرج عن النموذج التقليدي الوارد في نموذج لاوند(27).

مشكلة الدراسة:

من الملاحظ أن هناك اختلاف بين النماذج التي حاول مؤلفوها استنتاجها من التعاليم الاسلامية. وبعض هؤلاء لم يحاول ربط نموذجه بواقع العملية الاتصالية كلها، ولكن اقتصرها على عملية الدعوة الاسلامية. وبعبارة أخرى لا تتناول هذه النماذج الموضوع من الزاوية التأصيلية. تلك الزاوية التي تهدف الى الخروج بنموذج أفضل للعملية الاتصالية، بصرف النظر عن الخلفيات العقدية أو الحضارية...، ولتشمل العملية الاتصالية: الاقناعية، والاخبارية، والترفيهية.

فهدف هذه الدراسة هو(28) الخروج بنموج يستمد جذوره من المصادر الاسلامية، ثم يقارن ذلك بالنماذج الشائعة ليرى قدرته على تصوير واقع العملية الاتصالية. كما ستحاول هذه الدراسة التوصل الى نموذج يقضي على الخلاف الموجود بين الجهود السابقة، ولاسيما فيما يتصل بتحديد المصدر والمستقبل، وموقع جبريل عليه السلام من نموذج العملية الاتصالية.

وفي ظل النموذج المستنتج ستعمل الدراسة أيضا على بيان نوع العلاقة بين المصدر والمستقبل، و أنواع المصادر، وأنواع الرسائل، في العملية الاتصالية.

السمات العامة للمنهج:

بالاضافة الى القواعد العامة المذكورة في مقدمة الكتاب فقد تم استنتاج النموذج الاسلامي المقترح في ضوء القواعد التالية:

1 - أستقرأ الباحث تاريخ تطور العلوم المتصلة بالقرآن والحديث مثل أصول التفسير والقراءات وأصول الحديث وأصول الفقه، ودرس اتجاهاتها العامة واستخلص منها بعض النظريات أو الاجتهادات الاتصالية.

2 - ولما كان القصد من هذا البحث هو كشف النقاب عن النموذج الاسلامي لعملية الاتصال فان الباحث حرص على رسم السمات العامة دون الخوض في تفاصيل العملية الاتصالية.

النمـــوذج المقترح:

ان النموذج المقترح والمستنتج من المصادر الاسلامية لا يختلف كثيرا في سماته العامة عن النماذج المستعرضة سابقا. فهو يتألف من: المصدر والرسالة والمستقبل كعناصر رئيسة. ولكن من حيث التفاصيل هناك بعض الاختلافات ولا سيما فيما يتصل بالعلاقة بين المصدر والمستقبل، وتعريف المصدر، وتقسيماته الرئيسة. انظر الشكل(4). وسيتم استعراض السمات الرئيسة لهذا النموذج، تحت العناوين التالية: العلاقة بين المصدر والمستقبل، تعريف المصدر، والرسالة، ومستقبل الرسالة.

العلاقة بين المصدر والمستقبل:

تظهر العلاقة بين المصدر والمستقبل ذات اتجاه واحد، أي أن المصدر والمستقبل لا ينطلقان من موقع واحد، وقوتهما غير متكافئة. فالمصدر في العملية الاتصالية يتمتع بموقع أفضل وأقوى. وهذا يمكن استنباطه من واقع العملية الاتصالية الدينية، حيث نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى (المرسل) يرسل الهدى (الرسالة) الى الناس(المرسل اليهم). وعلى الناس أن يستفيدوا من ذلك الهدى. فالعلاقة بين المرسل والمستقبل هنا ليست علاقة أنداد، كما تميل النماذج الاعلامية الحديثة الى تصويرها.

وهذا التصور يقدم لنا تفسيرا أكثر واقعية لنوع العلاقة بين المرسل والمستقبل في كثير من أشكال الاتصال بين البشر. ومثال ذلك العمليات الاتصالية العامة المبنية على النظام الطبقي كما هو الحال في النظام الأسري، والعسكري، والاداري، والتعليمي... فالعملية الاتصالية بين الوالدين والأبناء ليست عملية اتصال بين متكافئين غالبا، وكذلك الحال بين الضابط والجندي، والمدير والموظف العادي، والمدرس والطالب.

وحتى في الأحوال العادية عندما يكون المشتركون في العملية الاتصالية متكافئين فان المرسل - أثناء بثه للرسالة أو بعبارة أخرى أثناء ابداء رأيه، أو تبليغ خبره - يسيطر على الموقف. ولا يملك المستقبل أو المستمع الا أن ينصت، وأحيانا وهو يغلي في نفسه لكون

الرأي أو الخبر الذي يتلقاه لا يعجبه. ولا يتغير موقف المستقبل من الضعف الى القوة الى أن يتغير دوره فيصبح هو المتحدث ويصبح الآخر المستع.

وقد لا تتاح هذه الفرصة بتاتا. فكم من مشاهد أو مستمع أو قاريء تتاح له الفرصة لأن يقف من الكاتب أو المذيع أو المنتج موقف المرسل من المستقبل؟ وحتى في ظروف المحادثة الشخصية التي تكون وجها لوجه، فان فرصة الحديث والاستماع قد لا تكون متكافئة. وهكذا يتضح بأن النموذج المقترح في الأصل يمثل العملية الاتصالية الاقناعية ولكنها تنطبق على العمليات الاتصالية غير الاقناعية أيضا.

المصادر وأنواعها:

حسب النموذج الاسلامي قد يكون المصدر أصليا أو أساسيا، وهذا المصدر في عملية الاتصال الدينية في الاسلام والديانات السماوية الأخرى هو الله سبحانه وتعالى. أما جبريل عليه السلام فهو مصدر ثانوي اذ يقول تعالى: ((قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين.))(29)

وأنبياء الله، عليهم السلام، هم مصادر ثانوية أيضا، وظيفتهم هي تبليغ الرسالة. والقرآن الكريم يؤكد ذلك في قوله تعالى: ((وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم. وما على الرسول الا البلغ المبين)).(30)

ان المصدر الأساس بالنسبة لعملية الاتصال الدينية هو الله سبحانه وتعالى. بيد أن المصدر الأساس في عمليات الاتصال البشرية يكون انسانا أو مؤسسة، تستأجر

مصدرا ثانويا أو تعينه لتبليغ رسالتها الى المستقبلين بالنيابة عنها، أو تقوم هي بايصاله مباشرة الى الجمهور المستهدف. ومثال ذلك الشركات المنتجة والبائعة للبضائع حين تستأجر شركة للاعلان والدعاية لترويج خدماتها ومنتجاتها، أو تكلف أحد موظفيها أو أقسامها المتخصصة في الدعاية للقيام بتلك المهمة.

وفي حالة الاتصال غير اللغوي قد تكون المصادر الأساسية عبارة عن الأشياء والأحداث التي تقع في نطاق حواسنا الخمس بدون واسطة أو بواسطة الأجهزة المقربة أو المكبرة.

ولكن يجب ملاحظة أن النموذج المقترح لاينطبق على العملية الاتصالية بين البشر بالنسبة لرد الفعل. فالمصدر الأساس (الخالق) في النموذج المقترح يعلم برد الفعل مباشرة وفورا، فالله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. أما بالنسبة لعمليات الاتصال بين البشر فالفورية تكاد تكون معدومة في معظم الأحوال، الا في حالة الاتصال الشخصي. وقد يصل رد الفعل الى المصدر ناقصا أو متأخرا أو لا يصل كلية. ورد الفعل في هذه الحالة لا يصبح معلوما الا اذا اتخذ شكلا مفهوما.

فقد يحس الانسان بالشك أو الغضب أو التعجب وهو يشاهد أو يستمع الى رسالة، بيد أن هذا الاحساس لا يصبح معلوما لدى مصدر الرسالة الا اذا تم التعبير عنه بشكل من الأشكال المفهومة، ووصل هذا التعبير الى حيز ادراك المصدر. وبما أن الأشياء متغيرة بما في ذلك الجمادات أحيانا فان رد الفعل قد لا يصادف النقطة التي انطلقت منها الرسالة نفسها، وحتى يتم التعبير عن رد الفعل يكون المصدر قد تغير عن حالته الأولى.

مثال ذلك: تريد أن تصحح رأي مصدر من المصادر كنت قد استقبلت رسالة له، وعندما تمكنت من التحدث اليه أو الكتابة له وجدته قد غير رأيه السابق. والشجرة التي رأيتها في الصباح قد لاتكون هي التي تراها في المساء؛ فلعل أوراقا قد سقطت منها. فالزمن يؤثر في الأشياء كثيرا.(31)

ومع أن جبريل والأنبياء عليهم السلام، في النموذج المقترح، هم مسقبلون للرسالة من المصدر الأساس فهم أيضا مصادر ثانوية لكافة الناس. وكذلك الحال بالنسبة لكل مصدر ينقل رسالة النبي الى الناس في كل مكان وكل زمان.

والاختلاف هنا هو كون الدعاة يعملون على تبليغ الرسالة الاسلامية ليس لأن الله سبحانه وتعالى اختارهم بالاسم وأبلغهم مباشرة بهذا التكليف، ولكن لأن الله جعل الدعوة فرض كفاية على المجتمع الاسلامي، وجعل حدا أدنى منه فرض عين على المسلم.

فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع قوله: "فليبلغ الشاهد الغائب. فرب مبلغ أوعى من سامع.."(32)

كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "بلغوا عني ولو آية."(33)

ومع أن هذه الأحاديث والآيات جاءت بصيغة الأمر بالتبليغ فلا ينبغي فهمها على أن المسلم مطلوب منه أن يعلم (يخبر) الآخرين بالتعاليم الاسلامية فقط. فقد اتفق

العلماء على وجوب الدعوة الى الاسلام (محاولة اقناع الآخرين ولا يكفي مجرد اخبارهم بها).(34)

والدعاة من بعد الأنبياء عليهم السلام -غالبا- يقوم الجمهور بترشيهم واختيارهم، بطريقة مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة مثل قبولهم كقادة رأي وقبول النصح منهم.

وبعبارة أخرى فان المصدر الثانوي، سواء كان يستفيد من الرسالة شخصيا أو لا يستفيد منها، هو وسيلة اعلامية تستقبل الرسالة ثم تقوم باعادة بثها للآخرين. وفي بعض الحالات يستقبل المصدر الثانوي الرسالة جاهزة للبث فلا تحتاج الى تجميل أو تطوير أو تفسير. بل يجب أن لا يمس المصدر الثانوي حتى الأجزاء الثانوية منها، لا بالاضافة ولا بالحذف. وفي حالات أخرى فانه رغم كون المصدر وسيلة للبث والتبليغ فهو يهتم أيضا بايضاح معاني الرسالة وتفسيرها لتكون قابلة للتطبيق، وربما لتزيينها حتى تلقى قبولا.

وهكذا فان المصادر الثانوية تنقسم الى قسمين. قسم يحصر معظم اهتمامه في حفظ أصالة الرسالة عند تلقيها ونقلها، وقسم يصب أكثر عنايته على ايضاح مضمون الرسالة وطريقة تطبيقها واالترغيب فيها.

ومثال الفريق الأول في الاسلام، القراء الذين حفظوا القرآن في صيغته السماعية وهي الأصل بالاضافة الى الصيغة المكتوبة، وكذلك رواة الحديث الذين قاموا بحفظ الأحاديث النبوية وتحقيقها.(35)

ومثال الفريق الثاني المفسرون للقرآن الكريم والفقهاء الذين عنوا باستخلاص الاحكام وتفسير نصوص القرآن والأحاديث وتقريب معانيها الى أذهان المستقبلين للرسالة والدعاة.(36)

ويندرج تحت الفريق الأول في عملية الاتصال البشرية العامة نقلة الأخبار والمؤرخون، في كل زمان ومكان. كما يندرج تحت الفريق الثاني القائمون بالدعوة والدعاية والاعلان والمعلمون والمدربون والمرشدون في كل مجال من مجالات الحياة.

وفي مجال الاتصال اللفظي وغير اللفظي المصادر على مستوى المخلوقات يمكن تقسيم المصادر الى صنفين:

أ ـ المصادر العاكسة: في هذه المصادر نجد المستقبل يتلقى كمية من الرسائل تتفق وما لديه من خلفية عن المصدر وما لديه من معلومات تساعده على استنتاج معلومات اضافية. مثال ذلك لو رأى انسان (المستقبل) كلمة "ابوبكر" (المصدر العاكس) فان هذا الانسان يتذكر ما قرأه وعرفه عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره ممن يحملون الاسم نفسه. واذا كان المستقبل لا يعرف أحدا بهذا الاسم فانه لا يستفيد الا أنه عرف اسما.

ومثال آخر العالم في معمله يقوم بمراقبة ما يحدث من تغيرات على المواد الكيماوية باضافة مواد جديدة فيستنتج منها حقائق أو معلومات اضافية. وهذا النوع من

المصادر يشير اليه القرآن الكريم عندما يأمرنا الله بالتدبر والتفكر في بديع صنعه وخلقه سبحانه. ومثال ذلك قوله تعالى: ((وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه. أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه؛ ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون.))(37)

ب ـ المصادر المنشئة: في هذه المصادر نجد أن المصدر هو الذي يتحكم غالبا في كمية المعلومات التي تصل الى المستقبل. فالله عز وجل ينزل الكتب في الرسالة الدينية، والخطيب والمحاضر والمذيع والمعلن يبث ما يختاره في حالات الاتصال العامة.

وعموما تتميز المصادر العاكسة عن المنشئة في النقاط التالية:

1 - لايتحكم المصدر العاكس في كمية المعلومات أو حجم الرسالة، بينما يتحكم فيها المصدر المنشيء.

2 - المصدر العاكس لا يبث الرسالة عمدا، بينما المصدر المنشيء للرسالة يبثها عمدا لتصل الى الآخرين، أو هو الذي ينشيء العملية الاتصالية.

3 - ليس لدى المصدر العاكس هدف وراء الرسالة التي يتم استقبالها من المتلقي، بينما وراء كل رسالة يرسلها المصدر المنشيء هدف.

4 - رسالة المصدر العاكس تتسم بالعفوية أو الطبيعية، أما رسالة المصدر المنشيء غالبا ما تكون مجهزة.

5 - المصدر العاكس يكون دائما مصدرا أساسيا، بينما المصدر المنشيء يكون أساسيا، وثانويا، ناقلا أو مفسرا.

أنواع الرسائل:

تتكون الرسالة عادة من مجموعة وحدات فكرية، يتم التعبير عنها بأساليب مختلفة. وفي النموذج المقترح تنقسم الرسالة بشكل عام الى فئتين متميزتين من حيث الأهمية النسبية: رسالة جوهرية أو محورية، ورسالة ثانوية.

وتتمثل الرسالة المحورية بالنسبة لعملية الاتصال الدينية في قوله تعالى: ((ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)).(38) فالايمان بوحدانية الله هو حجر الأساس بالنسبة للعقيدة الاسلامية وهو جوهر الرسالة الاسلامية، لا يقبل التبديل أو التعديل مهما كانت نوعية ردود الفعل من المستقبلين لرسالة الاسلام.

أما طريقة التعبير عن هذا الايمان ودرجة الاتقان في التعبير عن هذا الايمان فانها تتراوح بين الدرجات العليا المثالية والدنيا التي تمثل الحد الأدنى.

والجزء الأساس من الرسالة يرد في القرآن أو في السنة، بصيغ واضحة قطعية الثبوت وقطعي الدلالة.

أما الجزء الثانوي من الرسالة فيرد في القرآن والسنة أحيانا قطعي الدلالة مثل أحكام الارث، وفي أغلب الأحيان يرد ظني الدلالة وأحيانا ظني الثبوت. وبهذا

يحتاج الى الاجتهاد البشري الذي يقبل الخطأ والصواب لترجيح الأدلة أو لتفسير النصوص.

ويتدرج الجزء الثانوي من الرسالة من حيث الأهمية كما يتدرج الهرم من القمة الى القاعدة. فهي تتدرج من الوحدة التي لا يشاركها في الأهمية شيء الى الوحدات التي يشاركها في الأهمية وحدات أخرى قليلة أو كثيرة.

ويجب عادة ترسيخ قواعد الجزء الأساس من الرسالة أولا، ثم يتلوها بث الأجزاء التي تليها في ألاهمية. مثال ذلك وحدانية الله ثم الايمان بالبعث والحساب. ثم تأتي التشريعات وأحكام العبادات والمعاملات.

ويمكن استنتاج ذلك هذا من حديث معاذ (رضي الله عنه) حيث قال له الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يبعثه الى اليمن: "أدعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأني رسول الله، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم."(39)

ولو نظرنا بدقة الى أي رسالة في عملية الاتصال البشرية لوجدناها كذلك؛ اذ تتدرج أجزاؤها من حيث الأهمية. فهناك الاجزاء الجوهرية وهناك الاجزاء المساندة.

ومن نظريات العملية الاتصالية أن تكرار جوهر الرسالة أو الجزء المهم فيها واعادتها مرارا يساعد في التغلب على الأجزاء التي تسبب البلبلة وعوامل التشويش الخارجية.(40). ولعله ليس من قبيل الصدفة أن يكثر استعمال هذا الأسلوب في القرآن الكريم (41).

فقصـة النبي الواحد قد تعاد مرات عديدة، بطرق مختلفة، ومواد متنوعة وأساليب متمايزة لتبث عبرة وتثبيتا للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين. فقد ورد ذكر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام - مثلا - أربعين مرة في القرآن. ولكن بأساليب ومضمونات مختلفة.

ومثال آخر يشد الذهن نجده في سورة الرحمن حيث تتكرر فيها عبارة ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) احدى وثلاثين مرة تأتي بعد آيات يذكرنا الله فيها بآياته العظيمة. ولم يكن ذلك التكرار الا ليؤكد حقيقة واحدة هي وحدانية الله ولزوم التسليم له.

وهناك نظريات اتصالية تقول بأن للجهور أثرا على صياغة الرسالة ومكوناتها المساندة.(42) وعند الرجوع الى النموذج المقترح نجد تأكيدات لذلك.

وفي الاسلام فرائض وسنن ومباحات ومكروهات ومحرمات. وكثير من أجزاء الرسالة التي تقل أهمية عن الوحدانية تخضع -الى حد ما- لظروف الجمهور المستقبل وأوضاعه. وقد يكون المستقبلون سببا في بثها اليهم. ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم ماورد في تفسير الآيات الثلاث الأخيرة من سورة البقرة، التي تبدأ

بقوله تعالى: ((لله مافي السموات ومافي الأرض وان تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير.))(43)

حيث روى الامام أحمد عن أبي هريرة قوله: "لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية ((لله مافي السموات...)) اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب وقالوا يارسول الله: كلفنا من الأعمال مانطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما أقر بها القوم ونطقت بها السنته، أنزل الله في اثرها: ((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير. لايكلف الله نفسا الا وسعها...الى آخر الآية.))

والأمثلة على هذا التفاعل بين الجمهور والمصدر وأثر ذلك على الرسالة كثيرة في القرآن والسنة. فالقرآن الكريم -مثلا- نزل منجما بالتدريج على مدى ثلاثة وعشرين عاما ليجيب عن بعض الأسئلة، وليرد، أو يعلق على بعض أقوال وسلوك الجيل المعاصر للرسول صلى الله عليه وسلم من المسلمين، وغير المسلمين، أو ليشرع بعض الأحكام عندما تظهر الحاجة اليها أو يكون الجمهور مهيئا لاستقبال الرسالة.(44)

ولعل من مظاهر أثر ردود الفعل المستمرة، بعد عصر النبوة، ما نراه من اختلاف الفتاوى الفقهية في المسائل التي لم يرد فيها نصوص قطعية الثبوت أو الدلالة. وكثير من هذه الاختلافات المقبولة نشأ بسبب اختلاف الظروف المكانية أوالزمانية والبيئية للجمهور. وفي غير مجال الرسالة الدينية نجد أنه من الطبيعي أن يغير مصدر الرسالة بعض تفاصيل رسالته أو صياغتها، من وقت لآخر، تبعا لردود الفعل. وقد يغير الرسالة كلها، بما في ذلك الجزء الجوهري منها بالتنازل عنها الى رسالة أخرى، قد تختلف عنها بالكلية، و قد تتعارض معها. وهنا يكمن الاختلاف بين الرسالة الربانية التي تعبر عن الحق المطلق - عند المؤمن بها والرسالة التي تعبر عن الحق النسبي (أي رسالة بشرية).

ويبدو أن "لاسويل" Lasswell(45) و "قيربنر" Gerbner(46) و "نيوكمب" Newcomb (47) يتفقون على أن الرسالة لا بد أن تترك أثرا مع أن الأثر أحيانا قد لا يكون في التخطيط. وقد لا يكون الأثر تبني وجهة معينة ولكن قلقا ذهنيا كما يقول "حيدر" Heider (48)، وقد يتبادر الى الذهن أن هذا الأثر النفسي أمر هين. غير أن الأمر ليس كذلك دائما.

ففي ضوء النموذج المقترح نلاحظ أن مايدور في الذهن ذا أهمية بالغة، اذ يعتبر المعيار الذي يقاس به عمل الانسان، ليس في الدنيا فقط، بل وفي الآخرة أيضا ويقرر مصيره. وهذا يمكن استنتاجه من قوله تعالى: ((يوم لا ينفع مال ولا بنون الا

من أتى الله بقلب سليم))([49]) وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "ان الأعمال بالنية ولكل امريء مانوى."([50]).

كما جعل الاسلام ما سماه "نيوكمب" بالقلق الذهني أو الاستقرار الذهني([51]) معيارا يميز بين الحق والباطل. هذا على فرض أن الانسان لا يزال يحتفظ بالفطرة السليمة التي ولد عليها. وجاء الاسلام ليحافظ عليها وينميها. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "استفت قلبك، البر ما أطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب. والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك".([52])

ويعرف علماء الاتصال الذاتي -أي حوار الشخص مع نفسه- بأنه انطباعات الفرد ومشاعره أو مجموعة من العمليات النفسية التي تؤثر في تصرفه وتحقق له المواءمة مع الأوضاع المحيطة.([53])

ويرى آخرون بأنها (أي عملية الحوار الذاتي) متعلقة بقضية العزة بالنفس والتصور الذاتي للنفسSelf-image([54]) (مثل أحلام اليقظة وما يجري فيها من تخيلات يبرر الانسان بها ضعفه أو يتخلص بها من الواقع..).

أما في ضوء النموذج المقترح فان الحوار الذاتي أو الحوار مع النفس يظهر على هيئة أداة نافعة. فالحوار الذاتي مع التوازن النفسي ومع التعاليم الاسلامية التي يتلقاها المسلم بما في ذلك الواجبات الدينية التي يطالب المسلم بأدائها (المصادر العاكسة) تشكل نظاما متكاملا لاصدار رسائل ذاتية المصدر. وتقوم هذه الرسائل بعملية ضبط وتوجيه سلوك المسلم بما في ذلك أداء تلك الواجبات الدينية.

فالمسلم قد يتلقى رسالة عن أهمية العناية بالجسم والعقل والروح، وضمانا لعدم نسيان المسلم لهذه الرسالة يكلف بأنواع من العبادات،يقوم بها بصفة منتظمة لتؤكد له المعاني نفسها.

فالصلاة خمس مرات في اليوم فرض عين على كل مسلم ومسلمة راشدين، أي واجب ديني يقوم بوظيفة المصدر العاكس. وهي تذكر المسلم بالتعاليم التي تضبط سلوكه، مثل المحافظة على النظافة ولا سيما المناطق الأكثر تعرضا للاتساخ وبأهمية التمرينات البدنية للجسم والتمرينات الذهنية للعقل (التركيز والحفظ) وتغذية الروح من حين لآخر. كما تذكره بضرورة الخضوع والتسليم للخالق فيما أمر ونهى لنوال السعادة الحقة في الدنيا والآخرة، وضرورة المحافظة على تلك الصلوات. وهكذا تسهم عملية الاتصال الذاتية في تحقيق سعادة المسلم في الدارين.

وتعد التجارب المشتركة أو المتشابهة من أهم عوامل سهولة التفاهم بين الناس وتبادل الأفكار كما برهنت على ذلك الدراسات التي تم استعراضها في بداية الفصل. ولعله ليس من قبيل الصدفة أن تحرص التعاليم الاسلامية على ايجاد التجارب المشتركة بين الناس عامة وبين المسلمين بصفة خاصة. فدعت الى التعارف بين الناس وجعلت بعض أشكال التجمع فرض عين (مثل صلاة الجمعة) وبعضها فرض كفاية أو سنة (مثل صلاة العيدين وصلاة الجماعة) و كلها تصب في مسار واحد هو تكثيف هذا التشابه والتجارب المشتركة.

ومما يجذب الانتباه أن الرسالة في النموذج المقترح لا تقتصر على معالجة أفكار الفرد وآرائه التي يعلنها ولكن أيضا معتقداته وما يختلج في صدره. فهي عملية اتصالية أيضا طرفها الأول الرب سبحانه وتعالى وطرفها الآخرالعبد. ولكن هذه المعالجة تتدرج من توفير العلاج أو الهدى المباشر المحدد الى الهدى العام الذي لا يتناول التفاصيل.

لهذا فانه يمكن تصنيف أنواع الرسائل حسب النموذج الاسلامي الى:

أ ـ هدى الهي جاءت به الرسل الى البشر.

ب ـ علم نمي نتيجة لاتصال البشر بعضهم ببعض واحتكاكهم بالمخلوقات الأخرى، وحسب تقدير الله ومشيئته.

ج ـ اتصالات يومية مثل المعاملات والأخبار الحقيقية منها والخيالية، والأحاديث التي لا هدف لها سوى التسلية.

مستقبل الرسالة:

مستقبل الرسالة هو ذلك الانسان الذي يتلقى الرسالة في شكل رموز فيعطيها معاني ثم يحتفظ بها أو ينفعل معها ويرد عليها أحيانا. وقد لا يحتاج المستقبل الى أكثر من حواسه الطبيعية، وقد يلجأ الى الآلات والأجهزة التي تقوم بدور مساعد لحواسه مثل الراديو والتلفاز والتلفون والصور...ومختلف أنواع المكبرات والمقربات.

ويقوم المستقبل بوظيفة فعالة في العملية الاتصالية فهو يمارس كافة انواع الوسائل لتفادي أثرها غير المرغوب مثل تجنب الرسائل التي لايريدها selective attention أو تحوير معانيها perception selective أو نسيان المضمونات التي لا يستسيغها retention selective.(55)

وكأن القرآن الكريم يؤكد وجود مثل هذا السلوك من المستقبل للرسالة في آيات كثيرة. فمما ورد في الانتباه الانتقائي قوله تعالى: ((كتاب فصلت ءاياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون. بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون.))(56) ومما ورد في الفهم الانتقائي قوله تعالى: ((أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.))(57) ومما ورد في التذكر الانتقائي قوله تعالى: ((قال كذلك أتتك ءايتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى.))(58)

وفي الآية الثامنة والسبعين من سورة يس نجد مثالا واضحا للانتباه الاختياري والتذكر الاختياري، اذ يقول تعالى:((وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظم وهي رميم)).(59)

وقد سبقت الاشارة الى أثر الجمهور في عملية اختيار المصدر المناسب أو الأسلوب المناسب للرسالة وظروفها المناسبة، ومع هذا فان فعالية المستقبل للرسالة تختلف باختلاف أنواع المصادر التي تبث الرسالة.

وهكذا يظهر لنا أن المستقبل ليس مخلوقا سلبيا بل ايجابي الى حد كبير، حتى لو لم يتمكن من ايصال رد فعله الى المصدر مباشرة. ومع هذه الايجابية فان المصدر يبقى دائما هو الأقوى مادام يقوم بدور المصدر.

18/8/1411هـ
ت

حواشي الفصل الثالث
نموذج العملية الاتصالية

1- Deutsch.

2- Lasswell.

3- كلمة المصدر هنا أكثر شمولا من القائم بالاتصال، وسيتم استخدامها بهذا المعنى الشامل في الحديث عن المنظور الاسلامي في المبحثين الأولين، أما عند الحديث عن توثيق المصدر فغالبا سيكون التركيز على القائم بالاتصال.

4- Osgood.

5- Wiener.

6- Shannon and Weaver.

7- Shannon and Weaver.

8- Schramm, Information

9- Osgood.

10- Schramm , How communication.

11- Severin and James Tankard,Jr.

12- Newcomb.

13- Festinger, Information

14- Westly and Mc Lean, Jr.

15- Gerbner.

16- Ruben, International

17- Harper.

18- McQuail and Windahl.

19- لاوند، "السياسة الاعلامية في القرآن...، ص 167-246.

20- زين العابدين الركابي "النظرية الاسلامية، ص 291-335.

21- حجاب، نظريات الاعلام الاسلامي، ص 65-122.

22- حجاب، نظريات، ص 75-120.

23- الأنعام 75-80.
24- حجاب، نظريات، ص 129-132.
25- Westley and MacLean, A conceptual.
26- حاتم، الاعلام في القرآن ص 37-47.
27- لاوند، السياسة، ص 172.
28- هذه الدراسة مطورة عن مبحث ظهر في رسالة الدكتوراه المقدمة لجامعة الامام محمد بن سعود، قدمها الباحث عام 1408.
29- النحل: 102.
30- العنكبوت: 18.
31- Dance.
32- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى.
33- الصالح، منهل الواردين...، كتاب العلم، باب فضل العلم وانظر الباب كله.
34- أبو زهرة الدعوة الى الاسلام ص 19-52؛ نوفل، أبو المجد، الدعوة الى الله تعالي ص 5-15، 30-32.
35- الجزري، محمد، تحبير التيسير؛ ابن الأثير الجزري، جامع الأصول ص 35-205.
36- أبو سليمان، كتابة البحث ص 179-489؛ ابن كثير، أبو الفداء؛ العسقلاني، فتح الباري؛ ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير.
37- الأنعام: 99.
38- سورة النســاء : 48، 116.
39- البخاري، كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة.
40- Shannon and Weaver.
41- أنظر حسن، ظاهرة التكرار، وزلط
42- Sandman, et. al. Media pp. 208-240; De Fleur et. al. pp. 255-280.
43- البقرة: 284-286.
44- أنظر مثلا سورة البقرة: 215؛ الأعـراف: 187؛ الاسـراء: 85؛ الفرقـان: 32-33.
45- Lasswell.
46- Gerbner.
47- Newcomb.
48- Heider.
49- الشـعراء : 88-89.
50- البخاري، كتاب الايمان: باب ما جاء أن الاعمال.

51- Newcomb.

52- الصالح، المرجع السابق ، باب الورع وترك الشبهات.

53- Hamachek.

54- Argyle.

55- Tan, 168-179.

56- فصلت: 4.

57- البقرة: 75.

58- طـه: 126.

59- يـس: 78.

20/8/1411هـ د. سعيد اسماعيل صيني

الفصل الرابع
المصدر في العملية الاتصالية

المقدمة:

عند الرجوع الى قواميس اللغة العربية نجد أن كلمة "مصدر" تعني كل ما يصدر عنه شيء. فهو هنا من تصدر عنه الرسالة. وكان ممن قام بتعريف المصدر في العملية الاتصالية "لاسويل" Lasswell ووصفه بأنه الذي يقوم بتوصيل المعلومات، وأنه هو الذي ينشيء عملية الاتصال ويوجهها.(1)

وهذا التعريف يبدو للوهلة الأولى واضحا، ولكن عندما نتعمق في معناه سرعان ما نجده غامضا. فمثلا هل المصدر هو مراسل الأخبار الذي يختار الحدث الذي يستحق التبليغ عنه والتغطية (2)؟ أو المؤلف الذي ينشيء رسالة قد تكون من ذهنه(3)، هل هو مذيع (4)، هل هو فرد(5) أو مؤسسة(6)، أو هو الداعية الذي يهدف

الى اقناع من يتلقون رسالته، أو هو الراوي الذي لا يقصد سوى نقل مالديه من معلومات الى الآخرين؟

والمشكلة في العربية أكبر فاضافة الى تلك التساؤلات، هل المصدر هو المرسل؟ أو هو القائم بالاتصال؟ أو هو شيء مختلف عنهما؟

هناك تعريفات اجرائية كثيرة لكلمة مصدر source؛ بيد أن المتأمل فيما تحتويه الكتابات حول مفهوم المصدر ينم عن نوعين متمايزين من المصادر. النوع الذي ينشيء بعض الرسائل ويبتدعها والنوع الذي يقوم باعادة بث الرسالة ونقلها. ويلاحظ أن التخصص الكامل في أحد هذين النوعين فقط أمر غير متوفر في الواقع دائما.

ومثال النوع الذي يقوم بانشاء بعض الرسائل: الناطق الرسمي للحكومة أو للمؤسسة أيا كانت، ومؤلف الكتاب، والمؤسسة التي تستأجر خدمات وكالات الدعاية والاعلان، والباحث الذي يكتب تقريرا عن الدراسة التي أجراها.

ومثال النوع الذي يقوم بعملية النقل: وكالات الانباء ومحطات التلفاز والاذاعة، والناشر، ووكالات الاعلان والدعاية، والبرامج أو المواد المطبوعة التي تقتصر مهمتها في الدرجة الأولى على نقل الأحداث والمشاعر والأفكار الى الجمهور.

وعندما نتدبر الأمر نجد أن النوع الثاني قد يطلق عليه القنوات

الموصلة Channels أو وسائل الاتصال. وفي الحديث عن عبارة "قناة موصلة" أو وسيلة اتصالية بالانجليزية Channel يقول "بيرلو"(7) Berlo: ان هذه الكلمة تعرضت للاستعمال ولسوء الاستعمال بصورة لم تتعرض لها كلمة أخرى من مفردات علم الاتصال.

وللتأكد من صحة هذا القول سوف نستعرض هنا بعض التعريفات الاجرائية الشائعة للوسيلة الاعلامية.

يعرف "شانون" Shannon و"ويفر" Weaver(8) الوسيلة بأنها أشعة ضوئية أو أسلاك (كوابل) أو موجات اشعاعية Radio Frequencies.

أما "فرانسوا"(9) Francois وآخرون يعرفونها بحيث تشمل الطبول والدخان والنار والمرآة حالة استعمالها كوسائل لنقل المعلومات. واعتبر "هيرشبيل"(10) Hershbell و"دانيلوف" Danilov(11) التماثيل والمعابد واللوحات الفنية من الوسائل الاتصالية. كما اعتبر"هافلوك" Havelock(12)و"كيلس" Keuls(13) المتاحف والمكتبات والفنون المعمارية وسائل للاعلام أيضا.

واعتبر "شرام" Schramm(14) التجمعات العامة واحدة من أكثر وسائل الاتصال فعالية في بعض المجتمعات. كما أرج "روسو" Russo(15) الأشعار والملاحم ضمن وسائل الاتصال.

ويبدو من التعريفات السابقة أن المصدر الثانوي الناقل والوسيلة الاتصالية - أحيانا- هما شيء واحد تقريبا. ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فصلا تاما، بحيث نستطيع القول بأن المصدر الثانوي الناقل شيء والوسيلة شيء آخر تماما، ولا

يختلطان أبدا. فالوسائل في الواقع هي المصادر الملموسة، فنحن كثيرا ما نقول ان التلفاز أو الاذاعة أو الصحيفة ذكرت كذا وكذا، وقلما نذكر اسم الكاتب أو منشأ الخبر.

ومع هذا نستطيع التمييز بين القائم بالاتصال (المصدر الثانوي البشري أو المذيع مثلا) والوسيلة (المصدر الثانوي المادي أو الأجهزة الاذاعية).

ان الدراسات في هذا الموضوع كثيرة ومفيدة ولكن يبدو أن هناك حاجة الى ربط بينها، وهناك حاجة الى التوصل الى تحديد أكثر دقة لأنواع المصادر وموقع "الوسيلة" منها.

أما الكتابات الاعلامية الاسلامية فقليل منها قام بتعريف مفهوم المصدر العام الذي يشمل المصدر الأساس والثانوي (16). غير أن معظمها أكد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بأن الله عز وجل هو المصدر الأساس للرسالة الاسلامية.(17) أما المصدر الثانوي بمعنى الوسيلة فقد لقيت عناية كبيرة. وكان من بين الوسائل التي لم ترد في الكتابات الاعلامية العامة: القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والقدوة الحسنة، والأنبياء، والهجرات، والوفود.(18) وقد انفرد الفتياني بتسمية هذه الوسائل التقليدية بالأساليب.(19)

مشكلة الدراسة:

لقد لاحظنا عند الحديث عن معالم النموذج المستنتج من المصادر الاسلامية أن المصادر تنقسم بشكل عام الى قسمين رئيسيين هما: المصادر ألأساسية، والمصادر الثانوية. ولاحظنا أن مايسمى بالوسيلة يمكن ادراجه ضمن المصادر الثانوية. فهدف هذه الدراسة هو القاء نظرة أكثر تفصيلا على بعض السمات المتصلة بالمصدر وتفريعاته.

كما تهدف الى كشف النقاب عن بعض المصادر الثانوية المألوفة في المصادر الاسلامية أو التي يسخرها الاسلام لنشر الاسلام، وبث تعاليمه، وتثبيت هذه التعاليم في النفوس، والحث على تطبيقها.

اضافة الى ذلك، تهدف هذه الدراسة الى التعرف على أهداف المصادر ووظائفها.

منهج الدراسة:

يتلخص منهج هذه الدراسة في النقاط التالية:

1 - لا يخرج منهجها عن المنهج المتبع في الدراسة الخاصة بالنموذج الاسلامي لعملية الاتصال، فهذه الدراسة هي امتداد للأولى.

2 - ستنطلق هذه الدراسة من حيث انتهت اليه دراسة النموذج الاسلامي من نتائج.

3 - الحديث في هذا الفصل كما هو الحال في الفصل الثالث يتناول العملية الاتصالية بأشكالها المختلفة اللفظية verbal وغير اللفظية non-verbal.

4 - ستعتمد الدراسة في تحديد وظائف المصادر على نتائج الدراسات السابقة وقياسا عليها.

نتائج الدراسة:

وتشتمل النتائج على ملخص لأنواع المصادرالتي تم مناقشتها في الفصل السابق، ونظرة شاملة للمصادر من زاوية نوعية الرسائل، ونماذج من المصادر الاسلامية التقليدية، وأهداف المصادر من منظور المصادر الاسلامية، ووظائفها.

ملخص لأنواع المصادر:

لقد اتضح لنا من النموذج الاسلامي المقترح في الفصل الثالث أن المصادر يمكن تقسيمها من المنظور الاسلامي من الزوايا التالية:

1 - قد تكون المصادر أساسية أو ثانوية؛ لا فرق في ذلك بين الرسائل ربانية المصدر أو بشرية المصدر.

وتنقسم المصادر الثانوية، من حيث الوظيفة، الى قسمين رئيسيين: قسم ينقل الرسالة بعد الاضافة اليها أو اعادة صياغتها، مثل معظم المصادر البشرية أو الاعتبارية كالمؤسسات وقسم يركز على نقل الرسالة كما هي. والحالة الأخيرة تمثلها المصادر المادية والمعنوية التي نطلق عليها اسم "الوسائل". وهذا لايمنع أن يقوم الانسان، في بعض العمليات الاتصالية، بوظيفة الوسيلة فقط، أي تنحصر مهمته على النقل فقط.

والمعيار لتمييز الوسيلة عن غيرها هو امكانية بقاء شخصيتها بعد تفريغها من مضمونها أو تبديله.

ويمكن القول بأن المصادر الثانوية قد تكون بشرية (المذيع والمحرر...) وقد تكون معنوية (القصة،والشعر...) وقد تكون مادية (الصحيفة والمذياع والتلفاز...). بيد أنه يلاحظ أننا أحيانا نقول: الاذاعة، أو التلفاز، ولا نقصد بذلك الأجهزة بقدر ما نقصد الشخصية الاعتبارية، أي المؤسسة. وهي وحدة متكاملة، تقوم الى جانب نقل الرسائل بانشائها.

ويلاحظ هنا أن المصادر الأساسية أو المصادر الثانوية عندما يتم تخصيصها لمضمون محدد، مثل: "صحيح البخاري"، أو "برنامج نور على الدرب" لا يصبح الاسم للوسيلة ولكن للمضمون. وذلك لأننا لا نستطيع الاحتفاظ بذات الوسيلة بعد حذف المضمون أو تغييره.

وهذا ينطبق على القرآن الكريم والسنة النبوية. فهما المصادر الأساسية للتعاليم الاسلامية، ولكن لا يمكن اعتبارهما وسائل. وذلك لأنهما بدون مضمونهما

المحدد لا يكونان قرآنا أو سنة نبوية. وهذا يختلف عن القول بأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسائل للدعوة. وذلك لأن "الآية" نسبيا غير مقيدة بمضمون محدد، و"الحديث النبوي" كذلك نسبيا غير مقيد بمضمون محدد.

2 - قد تكون المصادر على مستوى المخلوقات عاكسة أو منشئة. أما بالنسبة للرسائل الربانية المباشرة فمصدرها الله عز وجل؛ وهو المنشيء للهدى الذي ينزله على أنبيائه، دائما.

وفيما يتصل بالعلاقة بين المصطلحات الثلاث: المصدر، والمرسل (بكسر السين) والقائم بالاتصال فانه يبدو أن المصدر أكثر شمولا من المرسل. وذلك لأن المصدر قد يكون عاكسا للرسالة أو منشئا. أما المرسل فالغالب عليه أن يكون منشئا. فأصل كلمة "المصدر"، في اللغة العربية، قد يكون فعلا لازما وقد يكون فعلا متعديا، يستوجب المفعول به. أما أصل كلمة "المرسل" فلا يكون الا فعلا متعديا. ويبدو أن لا حرج في اعتبارهما كلمتين مترادفتين، في مجال الحديث عن العملية الاتصالية، لأن الفرق ضئيل.

ومن جهة أخرى فان كلمة "مرسل" ربما كانت أكثر شمولا من كلمة "القائم بالاتصال". وذلك لأن الأولى قد تكون انسانا أو غير انسان. في حين يصعب تخيل القائم بالاتصال في صورة غير صورة الانسان.

3 - لقد اتضح لنا عند الحديث عن النموذج الاسلامي المقترح أن هناك حاجة للتمييز بين العملية الاتصالية بين الرب ومخلوقاته، وبين المخلوقات بعضها ببعض. وقد يقتضي هذا التفريق بين مصادر الرسالة التي جاءت من عند الله، (الرسائل المنقولة)، ومصادر الرسائل التي قام الانسان بتنميتها واكتسابها بالوسائل التي منحها الله له.

ولتكتمل الصورة في الحديث عن المصادر في العملية الاتصالية سيتم القاء نظرة على طبيعة المصدر من خلال هذا التقسيم.

<u>مصادر الرسائل المنقولة:</u>

عندما يتطرق الحديث الى المصادر في الاسلام فانه من الصعب تجاوز الحديث عن العقيدة الاسلامية، التي تؤكد أن المصدر الأساس المطلق للمعرفة هو الله السميع العليم. فالله عز وجل يقول: ((الله لا اله الا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموت وما في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء، وسع كرسيه السموت والأرض ، ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.))(20)

وفي آية أخرى يقول تعالى :((اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسن مالم يعلم.))(21) فالله سبحانه وتعالى ـ في النهاية ـ هو مصدر العلم كله.

وهذه العقيدة مبنية على الايمان بأن الله واحد أحد، وهو الذي خلق الانسان. فزوده بالعقل والغرائز وبالمهارات والمعلومات الأساسية، والقدرات الأساسية ليسعى

في مناكب الأرض. وقصة خلق آدم بقدراته معروفة، اذ يقول عز وجل: ((واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال اني أعلم ما لا تعلمون. وعلم ءادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملئكة، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. قالوا سبحنك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم.))(22)

كما أرسل الله الرسل (سلسلة من المصادر الثانوية) لتزويد الانسان بالمعايير التي يميز بها بين الخير والشر، ومافيه صلاح أمر دنياه وآخرته وما فيها فسادهما.(23)

وليس الرسل سوى مصادر ثانوية للتعاليم الالهية (الرسالات المنقولة). وقد اختار سبحانه وتعالى رسله بالتحديد للقيام بهذه المهمة. ثم تبع رسل الله أقوام استثمروا هذه الهداية الربانية لأنفسهم، وقاموا أيضا بتبليغها الى الآخرين، أداء للواجب العام. فهم مصادر ثانوية أيضا.

أما المصدر الأساس للمعرفة المنقولة فهو الله عز وجل.

ويلاحظ -كما رأينا في النموذج الاسلامي المقترح أن المصادر الثانوية المتمثلة في الدعاة والمبلغين عن الأنبياء والناشرين لرسالاتهم أو أجزاء منها يمكن تقسيمها الى قسمين:

أ ـ الذين اختصوا بمهمة الحفاظ على القرآن والسنة، ونقلها الى الأجيال التالية، وانصب معظم اهتمام هؤلاء على صيانة النصوص القرآنية كما نزلت من الله عز وجل على نبي الكريم، ويمثلهم القراء. وانصب اهتمام البعض على صيانة نصوص الحديث كما رواها جيل الصحابة البررة عن رسول رب العالمين ويمثلهم علماء الحديث.

ب ـ الذين اختصوا في ايضاح معاني النصوص، وكان أغلب عنايتهم منصب على اعداد تلك النصوص للتطبيق والترغيب فيه، وهؤلاء يمثلهم المفسرون والفقهاء والدعاة.

وبعبارة أخرى فان جزء من المصادر الثانوية ينصب اهتمامه على استقبال الرسالة ثم اعادة ارسالها كما هي، محافظا على أصالة شكلها فضلا عن مضمونها. والجزء الآخر يستقبل الرسالة ثم يعيد ارسالها مضافا اليها بعض التوضيحات والتعليقات.

وهذه الاضافة تعني أن الرسالة الربانية أو المعرفة المنقولة أيضا تنقسم الى قسمين: أساسية وتتمثل في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وثانوية تتمثل في كتب التفسير والفقه. وهذا التقسيم بصفة عامة يتسق مع تقسيم المصادر الى مصادر أساسية ومصادر ثانوية.

ومن الملاحظ أن الله سبحانه وتعالى لم يقصر الأمر على تزويد الانسان بجزء من المعرفة والقدرات الفطرية اللازمة لتنمية المعرفة، ولكنه سبحانه حث الانسان على اكتساب المزيد من المعرفة لتعميق ايمانه بالحياة في الآخرة،(24)

ولتحقيق مزيد من السعادة في الدارين. وذلك بالاستفادة مما سخره الله له من الخيرات، المتمثلة في الكائنات ألأخرى.(25)

بيد أنه يلاحظ أن الرسائل أو المعرفة لاتقتصر على ما يسمى بالمعرفة (الرسائل) الدينية. وبعبارة أخرى فأن هذا الكم الهائل من المعرفة الموجودة اليوم ليست كلها نقلا عن الرسل، وجاءت جاهزة من الله. ولكن جاء معظمها نتيجة لاستثمار المعرفة المنقولة واستثمار القدرات العقلية التي سخرها الله للانسان، وهو ما نسميه بالمعرفة المكتسبة.

مصادر الرسائل المكتسبة:

هذا النوع من المعرفة عادة تكتسبه البشرية من خلال تعاملها واتصالها بالبيئة من حولها، وهي تمثل النسبة العظمى من المعرفة. والبيئة كما نعرف تتألف بشكل رئيس من ثلاثة عناصر: الانسان، والحيوان، والجماد. ويلاحظ أن الجمادات والحيوانات لاتنطق كما ينطق الانسان، ولا تملك عناصر التكليف والمسؤولية الموجودة عند الانسان مثل: العقل والارادة والاختيار. ولهذا تنعدم فيهما صفة المعرفة البشرية فضلا عن نقلها ونشرها.

ويمكن تصنيف المعرفة المكتسبة الى قسمين: المعرفة التي موضوعها الحيوانات والجماد، وتتمثل في العلوم الطبيعية، والمعرفة التي موضوعها معتقدات الانسان وأفكاره ومشاعره وسلوكه، وتتمثل في العلوم الانسانية.

العلوم الطبيعية:

والمصدر الأساس لهذا النوع من المعرفة عادة هو تلك ألأشياء التي يتم بينها وبين الانسان اتصال أو تعامل بشكل مقصود أوعفوي.

وفي مثل هذه الحالات تبث الأشياء موضوع التجربة والتحليل أو الاتصال العفوي معلومات الى المصدر الثانوي عن طريق الانعكاس. وبعبارة اخرى فان كمية المعلومات التي يحصل علبها المستقبل للرسالة ونوعيتها تعتمدان عليه هو وعلى معلوماته المسبقة، أي حجم الخلفية التي تتوفر لديه عن الشيء موضوع الدراسة أو الملاحظة، الى حد كبير.

أما حلقة المصادر الثانوية فتبدأ من الشخص الذي تعرض للاتصال بتلك الأشياء، ثم قام بنقل ملاحظاته الى الآخرين. وفي هذه الحالة يصبح الناقل للملاحظات مصدرا ثانويا عن طريق التطوع. فالمصدر الأساس ليس لديه سلطة على المصدر الثانوي، في هذه الحالة. وانما يتطوع المصدر الثانوي الأول ويلزم نفسه بنقل ما يتوصل اليه من معلومات بسبب عوامل خارجة عن المصدر الأساس. ومن هذه العوامل القوانين التي تحكم المصدر الثانوي أو الاعراف أو الدوافع الذاتية للمصدر نفسه. وتندرج تحت هذا النوع من المعرفة المعلومات الكيميائية والفزيولوجية، بما

في ذلك الطب البشري. فموضوع الدراسة هنا هو جسم الانسان وهو تكوين مادي، وليس تكوينا فكريا أو روحيا أو نفسيا أو سلوكيا.

ولتوضيح هذه المسألة نأخذ أي دراسة علمية مثالا: فالمادة التي تستخدم في التجربة ويتم تحليلها وملاحظتها وتسجيل ما يلاحظ عليها هي المصدر الأساس. أما المصدر الثانوي الأول فهو الباحث الذي يجري التجربة ويقوم بتدوين الملاحظات ثم بنقل هذه الملاحظات الى الآخرين. واذا عمل الآخرون على نشرها فهم يصبحون مصادر ثانوية أيضا.

العلوم الانسانية:

عندما نتحدث عن العلوم الانسانية فالملاحظ أن معظم التراث المعرفي البشري ينصب في المجالات التالية: معتقدات الانسان وأفكاره ومشاعره وسلوكه.(26)

وبالنسبة للمعتقدات -بصفة عامة- والأفكار مثل النية والخطة والرغبة والهدف، فان المصدر الأساس هو الانسان الذي تختلج في ذهنه تلك الأفكار. وهذا شيء طبيعي، فالانسان من وجهة نظر الاسلام قادر على الاختيار بين الخير والشر. وتلك القدرة هي جزء طبيعي من مكونات الانسان اذ يقول الله سبحانه وتعالى: ((ونفس وماسوها، فألهمها فجورها وتقوها، قد أفلح من زكها، وقد خاب من دسها))(27).

وكذلك الحال بالنسبة للمشاعر الانسانية المختلفة كالسرور والحزن والرضا فان المصدر الأساس فيها هو الانسان الذي يعاني تلك المشاعر.

وهذا النوع من المصادر الأساسية قد يحتفظ بمعتقداته وبأفكاره ومشاعره لنفسه أو يبوح بها الى الآخرين من المخلوقات العاقلة. وهو في أغلب الأحوال قادر على الحالتين. وقد يبوح هذا المصدر بمشاعره بترجمتها الى أفعال أو محسوسة أو بالتعبير عنه بأي وسيلة مفهومة لدي المستقبلين لتلك الرسالة. والأفعال المحسوسة قد تكون اشارة ارادية أو لا ارادية، أو صوتا، أو حركة. وأولئك الذين يلاحظون تلك الاشارة أو الصوت أو الحركة يصبحون المصادر الثانوية لهذه الرسالة ان نقلوها الى الآخرين.

والانسان -عادة- لا ينقل أفكاره الى الآخرين الا بوسائل التعبير الارادية.

أما بالنسبة للأفعال (السلوك الظاهر أو الحركات) فهي عادة ترجمة محسوسة لمعتقدات الانسان وأفكاره ومشاعره؛ ويمكن رصدها. وان لاحظها أحد وتلقى منها رسالة فتصبح تلك الأفعال مصادر عاكسة لمن قام بملاحظتها.

وليست عملية التعليم بالتقليد الا من هذا النوع. وليس ما تسميه المراجع الاسلامية بالقدوة الحسنة الا من هذا النوع من العملية الاتصالية.

ويلاحظ أن عملية تلقي الرسالة (تلقي التعليم وتلقي المعلومات) يمكن أن يتم جزء منها من مصادر عاكسة. وقد تكون هذه المصادر العاكسة أساسية كما هو الحال

في الجمادات أو الحيوانات التي يقوم الانسان بدراستها. وقد تكون ثانوية كما هو الحال في عملية نقل التقاليد والعادات عبر الأجيال.

وكما اتضح في النموذج الاسلامي المقترح فان المصادر الثانوية بالنسبة لهذا النوع من المعرفة يمكن جعلها في زمرتين أيضا:

أ ـ الزمرة التي ينصب أكثر اهتمامها على النقل بدقة.

ب ـ الزمرة التي ينصب أغلب اهتمامها على المعاني المستنبطة من الرسالة المنقولة.

وعلى أية حال فان المعروف أن التقسيم في مجال المعنويات لا يأتي جامعا مانعا بشكل تام، بحيث لا يختلط فيه تقسيم مع آخر. فالقول بأن هذا من هذه الزمرة أو تلك الزمرة يعتمد على تغليب وظيفة على أخرى؛ ولا يقتصر على الاسم أو العنوان المخصص له.

وبهذا الصدد يقول "بيرلو" Berlo ان التعريفات هي أسماء للوظائف التي تؤدى أثناء حدوث عملية الاتصال، ويمكن للانسان الواحد أو الجهاز الواحد القيام بأكثر من وظيفة واحدة(28).

يضاف الى ذلك أن الزمرة الثانية قد تبدو -للبعض- أنها تنتمي الى الزمرة الأولى أو بالعكس، وذلك من حيث أصالة الرسالة التي يبثها كل من الزمرتين. والمقصود بالأصالة هنا درجة الابداع أو الجهد الذي بذله المؤلف للكتاب مثلا مقارنة بما نقله واستفاده من الآخرين. فعملية النقل من عمل آخر باللغة نفسها ليس فيه ابداع أو جهد يستحق بموجبه نسبة العمل الى نفسه. بينما نقل عمل شخص آخر من لغة أخرى يعتبر مجهودا و لكن بشروطه.

وقد يختلط الأمر عند تعريف الانسان الذي تختلج في نفسه بعض المشاعر والأفكار فيعبر عنها طواعية. هل هو المصدر الأساس؟ أو هو المصدر الأساس والثانوي الأول معا؟

فهناك فرق بين عملية اختلاج الفكرة أو المشاعر في الذهن والنفس. وبين الوسائل الآلية التي تعبر عنها مثل الاشارة والصوت والحركة. فقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن ما يتم في القلب هي عملية منفصلة عما يعبر عنه الانسان بالقول أو الفعل. وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: "استفت قلبك، البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر"(29).

ويميل الباحث الى الرأي الأول، لأن الأفكار والمشاعر اذا بقيت دون أن يتم نقلها الى الآخرين أو يتم ترجمتها الى أشياء ظاهرة، يلاحظها الآخرون فهي لم تدخل في مجال العملية الاتصالية الشخصية أو الجماعية أو الجماهيرية.

أما عن احتمال اعتبارها نوعا من الاتصال الذاتي فمالم يتم ترجمتها الى قول أو عمل فلا تعتبر عملية اتصالية. وذلك حسب التعريف الذي تم طرحه في النموذج الاسلامي المقترح للاتصال الذاتي. واذا كان التعبير غير ارادي فانه -تلقائيا- لا يصبح مصدرا ثانويا.

فالمشاعر والأفكار موجودة دائما سواء تم نقلها الى الآخرين أو لم يتم نقلها بطريقة ارادية أو لا ارادية. فالله يعلم بوجودها اذ يقول الله سبحانه وتعالى: ((وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله))(30).

وبالتالي فان ما يدور في خلد الانسان وما يقوم به من فعل -بطريقة ارادية- يؤلفان وحدة متكاملة لعملية اتصال ذاتية ان صح التعبير" نظام سيبرنتكس" Cybernitics(31). فالقلب لا يرتاح الى سلوك معين فيتغير السلوك. ويقوم الانسان بأعمال لعوامل خارجية فيحمل ذلك العمل رسالة الى القلب فيتغير مايجد الانسان في نفسه من مشاعر وأفكار، وهكذا دواليك.

وأكثر العبادات والشعائر الدينية في الاسلام هي تصرفات ظاهرية تبث رسائل الى الضمير ليعمل على ايقاظه واستمرار صحوته وشحذه من وقت لآخر. ويمكن استنتاج هذا من قوله تعالى: ((اتل ما أوحي اليك من الكتب وأقم الصلوة، ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر...))(32) وبالتالي يقوم الضمير اليقظ ببث رسائل تؤثر في السلوك نفسه، ومنها أداء تلك الشعائر الدينية.

فالمسلم مثلا مطالب بأداء الصلوات اليومية التي تتضمن عددا من التصرفات الظاهرية مثل الطهارة والوضوء والوقوف تجاه القبلة والركوع والسجود والجلوس... وهذه الحركات أو العبادات اذا تم أداؤها على الوجه المطلوب فانها من المفروض أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر، لأنها تذكره بحقيقته وحقيقة علاقته بالله عز وجل وواجباته تجاه ربه. وهذا يعتمد على نسبة ما يعرفه عن الفحشاء والمنكر، وبمقدار ما يعرف عنها ومنها فانه يتلقى رسائل أو اشارات من أدائه للصلوات اليومية.

<u>نماذج من المصادر الثانوية:</u>

عرفنا من المناقشات السابقة أن المصدر كلمة شاملة تعني أشياء كثيرة. وقد أشار عبد اللطيف حمزة الى عدد كبير من المصار الاسلامية تحت اسم وسائل الاعلام الاسلامية. ونقل عنه -تقريبا- كل من كتب في الاعلام الاسلامي أجزاء منها ونقدوا أجزاء أخرى وفصلوا في بعضها.(33)

وقد جرى اختيار بعض الأشكال من المصادر المذكورة في المراجع الاسلامية باعتبارها مصادر ملموسة يمكن تفريغها من رسائلها دون أن تفقد ذاتها، مثل الرسالة أو الكتاب أو الشريط أو البرنامج الاذاعي أو التلفازي...

وقد تم استبعاد بعض المصادر الثانوية أو الوسائل المذكورة في كتب الاعلام الاسلامي لأنها مرهونة بمضموناتها؛ ومن هذه "الأذان". فالأذان اسم لمضمون محدد هدفه التنبيه الى وقت الصلاة. واذا أفرغناه من مضمونه فانه يفقد ذاته، أو اذا غيرنا مضمونه فانه يصبح شيئا آخر.

وسيتم تصنيف هذه النماذج الى صنفين: المصادر المعنوية والمصادر المادية، وهي كما يلي:

المصادر البشرية:

الرسل. كان الرجل اذا أسلم يطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الرسالة الى قومه ويدعوهم الى الاسلام. وبعث الدعاة، والقراء، ليدعوا الناس الى الاسلام وليعلموا المسلمين منهم أمور دينهم(34).

المصادر المعنوية:

أ ـ التجمعات المنتظمة. كثير من الناس يحصل على بعض المعلومات بمجرد وجوده في التجمعات المختلفة، سواء منها المنتظمة أو ما ينتج عن الظروف الطارئة. وقد جعل الاسلام بعض هذه التجمعات فرض عين أو فرض كفاية كما جعل بعضها الآخر سننا مؤكدة أو مستحبة، ويمكن التمييز بين نوعين منها: المصادر المعنوية، والمصادر المادية المجسدة.

ومن أهم هذه التجمعات هي الصلوات الخمس اليومية فأداؤها للرجال في المسجد أو في جماعة سنة مؤكدة؛ وتؤدى عادة في مسجد الحي. ومن أبرز هذه التجمعات المنتظمة أيضا صلاة الجمعة وهي فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل حر. وتتميز هذه عن الصلوات الخمس في المسجد لكونها تؤدى عادة في تجمعات أكبر في مسجد يستقطب المصلين من عدد من الأحياء وهي أسبوعية، وأداؤها جماعة فرض. ثم هناك صلاة العيدين وهي سنة مؤكدة قد تستقطب المصلين في المدينة بأكملها وربما جمعت أهل القرى المجاورة في مكان واحد. ويتدرج حجم التجمع من الفروض الخمس في جماعة الى صلاة الجمعة الى صلاة العيدين فيتعدى حدود البلد الواحد ليصبح تجمعا دوليا أثناء الحج.

ب ـ التجمعات غير الدورية . ومن بين هذه التجمعات حفلات العرس، وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم باقامتها اعلانا للزواج، وحلقات الدرس المختلفة، وبخاصة لتعلم أمور الدين، ومدارسة القرآن الكريم.

والمخالطة والزيارات واحدة من أكثر أشكال التجمع الفعالة، ليس فقط في زرع المودة والألفة نتيجة العملية الاتصالية هذه، ولكن أيضا في تبادل المعرفة، اذ يقول تعالى: ((يـأيها الناس انا خلقنكم من ذكر وأنثى، وجعلنـكم شعوبا وقبائل لتعارفوا))(35).

ج ـ الخطب العامة: وهذه تشمل الخطب المنتظمة مثل خطبة الجمعة والعيدين ويوم عرفة، ويلحق بها أيضا الوعظ والارشاد بما فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل وقت وحين.

د ـ التمثيلية: ولعل هذه العبارة بما علق بها من شوائب تبدو غريبة في معرض الاشارة الى أنواع مصادر المعلومات في الاسلام ، ولكن الحديث التالي سيوضح الأمر:

عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يامحمد: أخبرني عن الاسلام: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الايمان: قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال صدقت، قال: فأخبرني عن الاحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك، قال: فاخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن اماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال: يا عمر: أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فانه جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم (36) رواه مسلم.

وهكذا كان الأسلوب التمثيلي وسيلة أي مصدرا ثانويا لبث معلومات أساسية في الدين .

هـ ـ الأمثال: الأمثال واحدة من الوسائل التي تنقل الأفكار من جيل الى جيل، ومن مكان الى مكان بسهولة. فالأمثال عندما ترد على الألسنة عبر الأزمان والأمكنة لا يقتصر معناها على ما هو واضح لغويا بل يشمل من المضمون ما قد يكون بعضه معروفا مسبقا بين المرسل والمستقبل وبعضه غير معروف. فهي تقوم بوظيفة الوسيلة مثلها مثل التمثيلية. والأمثلة في القرآن الكريم كثيرة، ونختار منها على سبيل المثال: ((ليس لها من دون الله كاشفة))(37)، ((لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون))(38)، ((ألئن حصحص الحق))(39)، ((لكل نبء مستقر))(40)، ((كل نفس بما كسبت رهينة))(41)، ((ما على المحسنين من سبيل))(42)((لا يستوي الخبيث والطيب))(43).

ومما ورد في الأحاديث النبوية وذهب مثلا:

"يسروا ولا تعسروا"(44)، "اذا لم تستح فاصنع ما شئت"(45)، "من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه"(46) ، "الحياء من الايمان"(47)، "لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين"(48)، "المرء مع من أحب"(49)، "انما الأعمال بالنيات"(50).

و ـ القصص. والقصص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكل قصة لها معنى ومغزى، قد يكون واضحا بينا، وقد يكون خفيا. وقصص القرآن تقريبا كلها عن الأنبياء والرسل السابقين وعن أقوامهم الذين آمنوا برسائلهم أو الذين رفضوها، والمغزى النهائي من هذه القصص هو ضرورة الايمان بوحدانية الله.(51)

ز ـ التعليم والتعلم: وهو وسيلة للحصول على المعرفة لا يقتصر على الانتماء الى المؤسسات العلمية وحضور الحلقات الخاصة، ولكنه يشمل الاستفتاء العارض والقراءة في الكتب. ويؤكد الاسلام على أهمية المعلمين والعلماء. والتعلم فرض عين في حالة الحد الأدنى من العلوم الدينية. وهو فرض كفاية في حالة العلوم

الدنيوية وكذا بالنسبة للقدر الزائد عن ما يلزم الشخص من العلوم الشرعية. وقد حث الاسلام على التعلم في قوله سبحانه وتعالى: ((يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجت))(52).

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم "طلب العلم فريضة على كل مسلم" والأحاديث كثيرة.(53)

ح -الاتصال الشخصي . لا شك أن الخطب العامة وحلقات الدرس مهمة، ولكن ثبت أن الاتصال الشخصي مصدر فعال للمعرفة. وقد كان معروفا حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم يتناوبون على حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينقل بعضهم الى البعض الآخر ما تعلمه منه. كما كان من دأبهم سؤال زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ومن يقوم بخدمته للاقتداء به صلى الله عليه وسلم(54).

المصادر المادية:

أ - الرسائل. وهي واحدة من الوسائل التي لجأ اليه الرسول صلى الله عليه وسلم للدعوة الى الاسلام. فقد أرسل عددا منها الى ملوك العرب والفرس والروم. وهي وان كانت مرتبطة بالرسل أو العكس فاليوم هي مصدر ثانوي (وسيلة) مستقل.(55)

ب ـ المعالم الدينية. ومن ذلك الكعبة التي يتوجه اليها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في صلاتهم. ومنها المشاعر مثل الصفا والمروة، ومنى وعرفة ومزدلفة والجمرات... فهذه كلها معالم دينية ذات تاريخ وخلفيات، تشير كلها الى وحدانية الله ووجوب التسليم له.(56)

هذه بعض المصادر الثانوية (الوسائل) التي جاء الاسلام فوجدها مستعملة، فأحسن توجيهها واستثمارها.

لقد علم الله الانسان ما لم يعلم من وسائل الاتصال باختلاف انواعها: المطبوعة، والمسموعة والمسموعة المرئية، االاتصالات السلكية واللاسلكية وغيرها. والأصل في آلات الصماء أنها محايدة. استغلها البعض وأحسن وجهتها وسخرها في سبل الخير، واستغلها البعض فأساء وجهتها وسخرها في سبل الفساد والشر. ولو كانت هناك آلات وأجهزة يغلب عليها الشر لكانت أسلحة القتال، ولكن هل يمكن الجهاد في سبيل الله بدون سلاح؟ وهل يمكن الذود عن حياض الاسلام اليوم بغير آلات الدمار العصرية؟

فالعبرة بالوجهة التي تم فيها استعمال هذه الآلات عند مجموعة من الناس، هل هي في سبيل الخير أم في سبيل الشر؟ ويشترط أن تثبت لنا هذه الوجهة بما يشبه الأدلة القاطعة (الدراسات العلمية المقننة مثلا) وليس بمجرد الحدس والتخمين.

والمسألة الأخرى هي الى أي درجة يمكن الاستغناء عن خيرها المحتمل، وذلك تجنبا لشرها المحتمل.

الأهداف الرئيسة للمصادر:

حسب المفهوم الاسلامي للحياة، يحتاج الانسان الى المعرفة التي تجعله يحيا حياة سعيدة في هذه الدنيا الزائلة، وفي الحياة الآخرة الأبدية، لهذا فالمسلم يحتاج الى الأنواع التالية من المعرفة:

أ ـ المعرفة المنقولة: وهي التي تتمثل في الهدى الالـهي حتى يعرف الانسان كيف يعبد الله، ويعرف المبادىء الأساسية التي يجب أن يخضع نفسه لها في هذه الدنيا، ليستحق رضا الله تعالى ويفوز بالسعادة في الدارين.

ب ـ المعرفة المكتسبة: وهي التي اكتسبها الانسان بما منحه الخالق من عقل. منها التعرف على السنن الكونية والقواعد، والأنظمة التفصيلية المكملة، والتراث الحضاري، والمعلومات الحديثة ألآنية الفورية، لتساعده في التعامل مع بيئته والاستجابة لمتطلباتها وتجنب مخاطرها والاستفادة من خيراتها.

ج - الترويح: وهو ما يحتاج اليه الانسان ليخفف عن نفسه أعباء الحياة، ويسري عنه همومه. ومن وسائل الترويح الاستمتاع بتلقي بعض الأنواع من الرسائل. فالترويح -حسب المنظور الاسلامي- ضروري للانسان.(57) مع أنه مقيد بقواعد وحدود. ولاغرابة أن نجد بعض أشكال الترويح كعناصر ذات أهمية في بعض التجمعات التعبدية المشروعة مثل الاحتفال بالعيدين والزواج (58).

فهدف المصادر المتخصصة في مجال الاتصال اذا هو تحقيق هذه الاحتياجات، وتوفير الرسائل التي تشبعها.

الوظائف الرئيسية للمصادر:

لعله من الممكن القول بأن الوظائف أحيانا هي الانعكاسات الظاهرة الملموسة في الواقع للأهداف التي قد تكون كامنة في الذهن أو تكون معلنة. ومثال ذلك أن تدرس الأساليب الفنية في الاعلام لمجموعة من الطلاب على أمل اكتساب الطلاب معرفة أو مهارة تعينهم على الدعوة الى الاسلام.

وهناك طلاب جادون في طلب هذه المعرفة ويتخرجون ثم يقومون بتسخير ما تعلموه من فنون في الدعوة الى الله. فهدفك من تدريس هذه الأساليب ينعكس في الوظائف التي يؤديها هؤلاء الطلاب. وذلك لأن أهدافهم أيضا كانت تتفق مع هدفك.

ولكن، افترض أن لديك طالبا جادا، صاحب اتجاه علماني، يهدف من دراسته الى خدمة الفكر الذي يخلص له. وبالفعل يسخر ما تعلمه في سبيل هذا الفكر. فالوظيفة التي يقوم بها تدريسك هذه الأساليب هي بالضبط عكس ماتهدف اليه، وان كان انعكاسا صادقا لهدفه هو.

وبعبارة أخرى هناك هدف وراء كل وظيفة من الوظائف، التي نرصدها في الواقع. كما أن لكل عمل نتيجة أو نتائج (ما يحصل في الواقع)، غير أن هذه النتائج لاتأتي دائما كما رسمها المنشيء للنشاط أو متفقة مع أهداف المساهمين جميعا. وذلك

لأن نتائج النشاط يسهم في صنعها كل من يشتركون في ذلك العمل بشكل أو آخر، ولكل منهم هدف. وقد تقتصر المشاركة على معرفة وجود ذلك النشاط، ومحاولة الاستفادة منه. وفي حالات كثيرة يحدث ذلك بدون معرفة المنشيء لذلك النشاط، وبعكس مايهدف اليه.

ولكن ليس من الضروري أن يكون وراء كل وظيفة هدف يطابقه. ومثال ذلك: قد تكون الوظيفة التي يرصدها الآخرون من تواضعك في ملبسك، ومسكنك...هو توفير المال. وبشيء من الاضافة يفهم سلوكك على أنه نوع عبادة المال. وهذا يحصل دون أن يكون لدي الآخرين هدف للاساءة اليك. بينما يكون الهدف الذي تريده بسلوكك هو اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمكن، وليتوفر لديك المال الكافي لتسخيره في سبيل الله. فهذه وظيفة لم يكن وراءها هدف يطابقها.

وبهذا يتضح لنا أن الوظيفة تختلف عن الهدف. فاهدف جهد ذهني، لايمكن ادراكه لغير صاحب الهدف الا أن يتم التعبير عنه عمليا. أما الوظيفة فهي جهد عملي يمكن ادراكه ورصده، من قبل الآخرين، بواحدة من الحواس الخمس أو أكثر.

فالمرجح أن الأهداف هي الخطة التي تحدد المسؤوليات والواجبات، وتختلف عن الوظائف من أوجه يمكن تلخيصها فيما يلي:

1 - الأهداف والواجبات تمثلها الرغبة التي نرسمها لعمل محدد، ويكفي أن تكون في الذهن، ربما لم يتم تنفيذها بعد، أو لن يتم تنفيذها. أما الوظائف فهي رصد لما هو موجود في الواقع، وربما أنها لم تكن موجودة في الخطة بتاتا.

2 - ولتقريب الفكرة يمكن أن يقال عندما نتحدث عن الارادة الربانية نفرق بين نوعين: الارادة الشرعية، والارادة الكونية. النوع الأول هو ما يريده الله لمخلوقاته من الفلاح، وقد لايحصل في الواقع. ويحصل ذلك باذنه تعالى وعلمه.(59) والنوع الثاني هو ما هو واقع في علمه الأزلي الذي لا يحده قيد الزمان أو قيد المكان أو الوسائل المحدودة للعلم. وهو واقع لا محالة حسب سنن كونية وضعها الله. هذا مع الفارق الكبير بين الخالق والمخلوق.

ولما كانت الوظيفة هي ما يحدث في الواقع فانه يصعب تحديد الوظيفة الا بالقيام بدراسات ميدانية، او الاعتماد على نظريات تم استخلاصها من مثل هذه الدراسات.

ومن النظريات التي تستند الي الدراسات المبنية على الملاحظة ما لخصها "شرام" Scharamm في الشكل(1) الذي يصور الوظائف الرئيسة ل**عملية الاتصال** من منظور المرسل ومن منظور المستقبل:(60)

من منظور المرسل	من منظور المستقبل
1ـالاعلام عن شيء (أخبار)	الاحاطة بشيء.

2- التعليم التعلم.
3- الترفيه الاستمتاع.
4- الاقتراح أو الاقناع اتخاذ موقف

ولعل الوظائف التي يمكن رصدها من المصادر الاسلامية للمتخصص في مجال الاتصال لا تختلف كثيرا عن تلك الوظائف الرئيسة التي أشار الي بعضها "لازويل" Lasswell(61) و"مويلر" relleoM(62) والتي لخصها "شرام" فيما سبق.

وليس هناك شك في أن هذه التقسيمات لا تعني أن لكل نوع من المصادر وظائفه الخاصة به. فالمصدر الواحد قد يكون تعليميا، ينقل التقاليد الاجتماعية من جيل الى جيل، ويثير المواضيع للنقاش، ويكون ترفيهيا أيضا. ومثال ذلك التجمعات فالفرد من خلال التجمعات يستطيع أن يتعرف على ما يجري حوله من تغيرات وعلى التقاليد والأعراف، وفي الوقت نفسه يستطيع أن يقضي وقتا طيبا يستمتع به.

والحقيقة، كثير من الواجبات التعبدية لا تخلو من عنصر الترفيه المستساغ والتعليم والاحاطة بما يجب على المسلم معرفته وماهو من قبيل المعرفة الزائدة.

وعندما نأخذ المشاعر المقدسة التي يمر عليها الحاج ويؤدي عندها أنواعا من العبادة مثل الكعبة المشرفة نجد انها تشعر المسلم بضرورة الوحدة بين المسلمين والمساواة. فالمسلمون مطالبون بالتوجه اليها عند صلاتهم، بصرف النظر عن أماكن وجودهم على سطح المعمورة. كما أن الطواف بالبيت يشعر الانسان بضعفه وحاجته الى رب البيت. والأماكن التي يقيم فيها الحاج، ويذكر الله فيها، والجمرات التي يرميها تجمع الناس من مختلف البلاد والثقافات والحضارات والطبقات لتشعرهم بأنهم جميعا اخوة وسواسية. وفوق ذلك تمنحهم فرصة لتبادل الآراء والمشاعر والخبرات والمعرفة، فيعرف الحاج عن بلاد لم تسنح له الفرصة لأن تطأها قدماه، وأن يعرف عن أحوال خلق لم يلتق بهم.

ومن ناحية ثالثة فان التجمع في تلك البقاع بشروطها تعطي الحاج فرصة للتخلص من حياته الرتيبة العادية وعاداته التقليدية ومسكنه وبيئته المألوفة. وتلك وسيلة قد يلجأ اليها بعد الناس لمجرد الترويح عن النفس.

وعندما نأخذ الخطب العامة، وهي مصادر ثانوية معنوية كمثال آخر نجد أن هذا المصدر قد قام بدور هام عبر التاريخ. فالهدف الأساس من الخطب المنتظمة يوم الجمعة وفي العيدين ويوم عرفة انما هو تذكير المسلمين بواجباتهم تجاه رب العالمين، وتزويدهم بالثقافة الدينية. ولكن الخطب العامة تقوم أيضا بالعناية بالأمور الدنيوية. وربما استغلها بعض القادة السياسيين كمصادر للرسائل الاقناعية لاقناع الجمهور بسياسة الدولة وأنظمتها، ولاقناع شعوبهم بأفكارهم ومخططاتهم (63) وذلك بوضعها في قالب ديني.

والحقيقة، ان الخطب المنبرية لا تزال أعمق أثرا وأكثر فعالية من الخطب والأحاديث التي توجه خلال مصادر الاتصال الجماهيرية. فالخطيب عندما يتحدث في المسجد يفترض فيه أن يحدث عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أي يتحدث عن أوامر الله وأحكامه وهديه، وهو يتكلم في بيت الله بكل ما له من قداسة.

أما الخطب السياسية عبر وسائل الاعلام الحديثة فليس لها تلك القوة لأنها تفسر على أنها تعبير عن وجهات نظر فردية. بل ان الأحاديث الدينية عبر هذه الوسائل (المصادر الثانوية) لايتوفر لها الأثر الذي تتركه الخطب المنبرية في النفوس. وهذا يحدث للاختلاف البين في الظروف المكانية والزمانية، فالخطب المنبرية تؤدى في مكان مقدس ومقترن بساعات ذات حرمة خاصة، بينما الأخرى لاتتوفر لها مثل هذه الظروف المساندة.

وفي كثير من الأحيان قد يختار الخطيب مشكلة اجتماعية فيعالجها من جوانبها الدينية كافة والاجتماعية فتقوم الخطبة بدور تعليمي واخباري لاطلاع المصلين بما يجري حولهم من أحداث لها تأثير في حياتهم. وبذلك تجمع الخطبة المنبرية بين وظائف اتصالية مختلفة.

لهذا فاننا لا نستغرب ذلك الاهتمام الكبير الذي أولته المصادر الاسلامية (في القرآن والسنة) والدراسات الاسلامية (علم أصول الحديث وعلوم الدعوة والتعليم) للمصدر البشري أو القائم بالاتصال.

د. سعيد اسماعيل صيني 19/8/1411 هـ

حواشي الفصل الرابع

1 - Lasswell.
2 - Grey.
3 - Stone and Chafee , Family..
4 - Kjeldergaard.
5 - Berlo, The Process.
6 - Carter, the changing.
7 - Berlo. The Process.
8 - Shannon and weaver.
9 - Francois.
10 - Hershbell, the Ancirnt.
11 - Danilov, The Transmission.
12 - Havelock, Art of Comm.
13 - Keuls, Rhetoric.

14- Schramm, World.
15- Russo.
16- نجيب، أضواء، ص 120؛ كحيل، ص 37-40.
17- مثلا: مقلد، ص 435، لاوند، السياسة، ص 171-234، الركابي، النظرية، ص 291-335، حجاب، ص 68.
18- حمزة، ص 39، 40-41؛ عبد الحليم 155، 160-162.
19- الفتياني، ص 61.
20- البقرة: 255 .
21- العلق : 3 - 5.
22- البقرة: 30 - 32 وانظر منشأ اللغة في الكتاب.
23- آل عمران: 164؛ فاطر: 24.
24- الروم: 17-25؛ آل عمران: 190-191؛ الرعد: 2-4؛ النحل: 65-72.
25- البقرة: 160، 168؛ النحل: 8؛ غافر: 79؛ الزخرف: 12-13.
26- مع أن الروح من أكثر التكوينات البشرية أهمية فهي لاتزال مجهولة وممتنعة على وسائل المعرفة المكتسبة.
27- الشمس: 7 - 10.
28- Berlo, The Process. PP . 32 - 34
29- صبحي السالم المرجع السابق ،ه باب الورع وترك الشبهات والحديث رواه أحمد والدارمي باسناد جيد كما ذكره النووي.
30- البقرة: 284. لفهم هذه الآية لابد من العودة الى مجموعة أحاديث نبوية منها: حديث تجاوز الله لما يدرو في ذهن الانسان مالم يقل أويفعل في باب الطلاق، في صحيح البخاري، والحديث المتفق عليه: "فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة...، وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة". (أنظر رياض الصالحين باب الاخلاص واحضار النية.) وبعبارة أخرى فان المحاسبة لما يدور في النفس دائما هي في صالح العبد.
31- وحدة تحكم ذاتية انظر: Francois, pp 120 - 127
32- العنكبوت: 45.
33- لا شك أن جهود عبد اللطيف حمزة -رحمه الله وغفر له- كانت البادرة الأولى ومع هذا فقد كان شاملا بحيث لايمكن لأحد يكتب في هذا الموضوع تجاوزه بدون الاستفادة منها. ولولا بعض الأخطاء التاريخية الفادحة في حق الصحابيين الجليلين عثمان ابن عفان ومعاوية رضي الله عنهما لكان -في وقته- قمة في الكتابات الاتصالية من منظور اسلامي. أما ماوقع فيه من أخطاء في علم الاتصال وتبعه عليه كثيرون فهو طبيعي في تلك الجهود الاعلامية العربية المبكرة.
34- الحجرات : 13.
35- مسلم، كتاب الايمان : باب الايمان والاسلام.
36- النجم: 85.
37- آل عمران: 92.
38- يوسف: 51.
39- الأنعام: 67.
40- المدثر: 38.
41- التوبة: 91.

42- المائدة: 100؛ وانظر السيوطي ج 2: ص 131-133، باب الأمثال في القرآن.
43- الصالح، باب الحلم والأناة والرفق.
44- البخاري، (تعليق وشرح نور الدين) كتاب الأدب باب اذا لم تستح.
45- البخاري، كتاب الايمان : باب ما جاء أن العمل.
46- البخاري، كتاب الايمان: باب الحياء.
47- البخاري، كتاب الايمان: باب لا يلدغ.
48- مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب المرء مع.
49- الصالح منهل، باب الاخلاص واحضار النية.
50- انظر خلف الله؛ وعبدالكريم الخطيب؛ المجذوب.
51- المجادلة: 11.
52- انظر الصالح، باب العلم.
53- البخاري، كتاب العلم.
54- حوى، ص 111-113.
55- انظر صحيح مسلم، كتاب النبوة: باب فضل الذكر، وانظر العجلوني عند تعليقه على حديث روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، باب الراء.56- البخاري، كتاب العيدين ، باب الحراب وباب سنة العيدين، لأهل الاسلام وكتاب النكاح ، باب ضرب الدف في النكاح.
وانظر كتب الفقه فيما يتعلق باللعب واللهو والسفر للمتعة.
57- Schramm, the nature of
58- Lasswell.
59- Moeller.
60- Miller and Wattenberg; Borthwick.

د. سعيد اسماعيل صيني 1411/8/12 هـ

الفصل الخامس
توثيق المصدر

مقدمة:

لقد تحدث الكثير عن العناصر التي تجعل المصدر أو المرسل أكثر فعالية وأكثر قبولا لدي جمهوره. وهذه الجهود يمكن تصنيفها في ثلاث فئات: الجهود القديمة، والجهود المقننة، والمنظور الاسلامي.

<u>الجهود القديمة:</u>

مما لاشك فيه أن العملية الاتصالية على المستوى البشري قديمة قدم الانسان، والقائم بالاتصال المتخصص(1) لبث الرسالة الاقناعية قديم قدم أنبياء الله ورسله. غير أن أقدم تسجيل للكتابات المتعلقة بالقائم بالاتصال لا تعود الى أكثر من ثلاثة قرون قبل ميلاد المسيح عليه السلام، أي الى عهد الاغريق. وكان حول الخطابة والخطيب.(2) ويؤكد أبو زهرة هذه الحقيقة بقوله أن: "أول من كتب في هذا العلم اليونان، بل هم مستنبطو قواعده، ومشيدو أركانه، ومقيمو بنيانه..."(3)

وقد تحدث فلاسفة الاغريق عن الشروط التي يجب توفرها في الخطيب البارع فكانت من تلك الشروط: معرفته لطبيعة الجمهور، واحترامه له والأخلاق العالية، والحكمة والمهارة، والذكاء، والاخلاص للجمهور، والمكانة العالية.(4)

أما المهتمون بالخطابة من الرومان، الذين جاؤا بعد الاغريق بحوالي ثلاثة قرون فقد اعتبروا المعرفة، والفصاحة، والمزاج المعتدل، والاخلاص للجمهور، واظهار التقدير لهم، والعطف عليهم، ومحبتهم من تكوينات الخطيب الناجح.(5)

ويغلب على تلك الكتابات أنها مبنية على التأملات والتجارب الذاتية وليس على الدراسات الميدانية المقننة أو الاستنباط من كتب سماوية مقدسة. كما يلاحظ عليها التركيز على مصدر الرسائل الاقناعية.

<u>الجهود المقننة:</u>

أما الدراسات الميدانية المقننة فلعلها لا تعود الا الى بدايات القرن العشرين الميلادي. ولعل دراسة "أرنيت" وزملائه من أقدم تلك الدراسات، حيث تم فيها دراسة صفة "المكانة العالية" prestige للمصدر. ثم تتابعت الدراسات للوقوف على أثر صفات أخرى مثل الخبرة، والثقة، والجاذبية النفسية...(6)

وأما الدراسات المقننة الشاملة فقد بدأت مع التحاليل العاملية. وفي هذه الدراسات تم تحليل مجموعة كبيرة من الصفات للتعرف على أكثرها التصاقا بعملية تقويم المصدر، وللتعرف على العوامل التي تربط عددا من الصفات ببعض.

ويلاحظ أن الدراسات العاملية هذه قد تبدأ تحليلاتها بما يزيد عن المئتي صفة، في الدراسة الواحدة، لتنتهي الى مالا يزيد عن الأربعين صفة.

وعند استعراض الصفات التي تضمنتها العوامل الأكثر وزنا في هذه الدراسات العاملية(7) نجد أن النتائج تشير الى أهمية الصفات المتصلة بالرسالة، ومن هذه الصفات: المعرفة والأسلوب. كما تشير الى أهمية الصفات المتصلة بالمصدر ومنها الأخلاق و القدرات العقلية والصفات المظهرية.

وكان من أبرز الصفات ذات الصلة بالمعرفة في تلك الدراسات: الكفاية، وحسن التاهيل، وحسن الاطلاع، والخبرة، وصدق المعلومات، والمهارة، والتدريب، والمعرفة، والابداع. ومن الصفات المتصلة بالأسلوب، التي برزت في هذه الدراسات هي: أن يكون المصدر معقولا، ومتفتح الذهن، وموضوعيا، ودقيقا أو محددا، وأن

يكون أسلوبه شيقا، وعلميا، وجذابا وواضحا، ومقنعا، ومتزنا، وأن يكون صريحا، وموضوعيا.

وبرزت الصفات الأخلاقية بصفتها ذات أهمية أيضا. وتمثلت هذه الصفات في كون المصدر: يتحمل المسئولية، ويعتمد عليه، وفاضل، وأمين، وعطوف، وعادل، ومرح، وودود، وذو مزاج طيب، واجتماعي، وطيب، ولطيف، وحازم، ومتواضع، وشفوق.

ومن صفات القدرة العقلية برزت الصفات التالية: الذكاء، عمق التفكير، والقدرة على التخمين، والابداع، والوعي، والقدرة القيادية.

أما بالنسبة للمظاهر فبرز منها: استحقاق الاعجاب، وهدوء الاعصاب، والثقة في النفس، والحيوية، والأناقة، وجودة الصوت، المكانة المرموقة، النعومة، والجاذبية، والرشاقة، والجرأة، والقوة.

ويلاحظ على هذه الصفات أنها تتركز على الصفات العامة، دون الدخول في التفاصيل فمثلا تقول المهارة، والخبرة، والمعرفة دون تفصيل لأي نوع من المهارة أو الخبرة أو المعرفة. وبعبارة أخرى لاتقول مثلا: مخارج حروفه صحيحة، أو القدرة على مزامنة الصوت بالصورة أو يحسن توزيع النظرات.

كما يلاحظ عليها الحيادية وعدم اقتصارها على اطار عقدي أو فكري محدد.

المنظور الاسلامي:

وبالنسبة للجهود الاعلامية ذات الانتماء الاسلامي المعلن تحدثت كتب الاعلام الاسلامي عن الصفات المطلوبة في المصدر وبخاصة القائم بالاتصال، سواء بصفته مقدم برامج اسلامية(8) أو بصفته داعية(9) أو قائم بالاتصال بشكل عام.(10)

وقد بدا التركيز في هذه الدراسات على الصفات الأخلاقية واضحة. فكان من أبرز هذه الصفات: الصدق، والصبر، الأمانة، والرحمة أو الرفق، والالتزام بالاسلام، الاخلاص للجمهور، والشجاعة، واللباقة أو الأدب، ورقة الشعور، والحلم، والوفاء، واللطف، والكرم، والفضيلة، البشاشة، والعدل، والتواضع، قدرة على تكوين أصدقاء.

ومما يتصل بالمعرفة والأسلوب فقد برزت الصفات التالية: المعرفة الدينية والدنيوية، معرفة الجمهور، ومعرفة طريقة التعامل مع كل جمهور، معرفة الأهداف، معرفة استخدام وسائل الاتصال، الحصول على تأهيل في مجال الاعلام، ثقافة واسعة، معرفة امكاناته والظروف المحيطة بالبيئة.

كما برزت الصفات التالية: الفصاحة، والبلاغة، الصراحة، وحسن العرض، والدليل المحكم، ودقة العبارة، واخراج الأحرف من مخارجها الصحيحة، والموضوعية، الاتزان، توزيع النظرات أثناء الحديث، القدرة على مزامنة الصوت بالصورة، والاختصار، والتخطيط المسبق.

ومن القدرات العقلية ظهرت الصفات التالية: الذكاء، ونفاذ البصيرة، والموهبة الابداعية، والذاكرة القوية، والبساطة في التعبير، والقدرة الادارية.

ومن الصفات المظهرية ظهرت: النظافة، وحسن المظهر، والصوت الجميل، الشكل الحسن، قوة الشخصية، والقوة، والنشاط، الثقة بالنفس.

وتميزت الكتابات الاسلامية بصفات فرضها الانتماء الى الاسلام مثل: أن يكون مسلما، وأن يكون ملتزما بالاسلام، ولديه معرفة كافية بالتعاليم الاسلامية، ومؤمنا بالله، ومتوكلا عليه.

ويلاحظ أن هناك صفات كثيرة متشابهة بين الدراسات المقننة والكتابات الاعلامية الاسلامية، وذلك على الرغم من اختلاف المنهج. فالأولى مبنية على دراسة الجمهور، والأخيرة مبنية على الاستنتاج من الكتاب والسنة والسيرة النبوية وعلى التأملات وبعض الدراسات الغربية المقننة.

وكما نعرف فان الكتابات "الاعلامية الاسلامية" لم تبدأ الا في وقت متأخر أي حوالي عام 1390 هجرية.(11) وقد سبقتها الدراسات الدعوية الاسلامية والتعليمية، كما سبقتها جهود المحدثين الذين اعتنوا برواة الأحاديث النبوية. ومن زاوية أخرى فان هذه الدراسات الاسلامية لاتتعرض الى درجة أهمية كل صفة أو مجموعة من الصفات من منظور الجمهور. ولا تشير بوضوح الى التفاعل بين نوع الرسالة وصفات القائم بالاتصال، أو طبيعة الجمهور وصفات المصدر.

مشكلة الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى كشف النقاب عن الكتابات الاسلامية حول صفات الداعية أو الواعظ والمعلم والراوية، لتتضح العلاقة بينها وبين الكتابات الاعلامية الاسلامية حول صفات القائم بالاتصال.

كما تهدف الدراسة الى القاء ضوء على موضوع التفاعل بين نوع الرسالة التي يقوم المرسل ببثها، والصفات التي يجب أن تتوفر فيه، وبين طبيعة الجمهور والصفات ذات القيمة المعيارية المناسبة له.

منهج الدراسة:

بالاضافة الى القواعد العامة لمنهج الكتاب فقد تم وضع القواعد التالية في الاعتبار عند اعداد هذا الفصل:

1 - الاقتصار على استعراض الكتابات التي تحمل عناوين ذات صلة بالدعوة، أو التعليم، أو رواية الأخبار.

2 - بيان أوجه الشبه بين الدراسات الاعلامية الاسلامية من جهة والدعوية، والتعليمية، ورواية الأخبار من جهة أخرى.

3 - الاستشهاد بدراسة واحدة على الأقل من الدراسات المبنية على استفتاء جمهور مسلم، يتم فيه تحديد درجة أهمية الصفة أو الصفات المحددة.

نتائج الدراسة:

ولما كان للمصدر أهمية في المفهوم الاسلامي لعملية الاتصال، كما هو الحال في أي مفهوم آخر، فقد أولى علماء الاسلام المصدر أهمية كبيرة.غير أن دراساتهم اعتمدت في معظمها على منهج الاستنباط من المصادر الاسلامية: القرآن، والسنة، والسيرة أو التاريخ الاسلامي. وقد تكون أحيانا مقرونة بالملاحظات الفردية والتجارب الذاتية.

وقد تم تقسيم النتائج الى أربعة أقسام رئيسة: الكتابات الدعوية، والكتابات التعليمية، والكتابات الحديثية أو ما يتصل برواة الأحاديث النبوية، والكتابات التي أشارت أو ألمحت الى التفاعل بين نوع الرسالة وصفات المصدر، من جهة ونوع الجمهور من جهة أخرى.

<u>الكتابات الدعوية:</u>

لقد كانت الخطبة من الوسائل الرئيسة للدعوة ولهذا فقد اعتنى المسلمون بالخطابة. وظهر هذا الاهتمام في صورتين: ترجمة بعض الكتب مثل كتاب أرسطو والتعليق عليه، والتأليف فيه ممزوجا بالتراث الأدبي العربي، والتراث الاسلامي الدعوي.

ولعل كتاب أبو زهرة في الخطابة الصادر عام 1934 هو من أشمل الكتب المبكرة التي تضمنت صفات الواعظ أو الداعية. وقد تحدث فيه مؤلفه عن الصفات الفطرية العامة للواعظ، والصفات المكتسبة.

وكان من الصفات الفطرية التي أوردها الخلو من العيوب الكلامية، والصوت الجهوري، ثبات الجنان، والذكاء، وسرعة البديهة، وقوة العاطفة، وقوة الشخصية، وحسن المظهر.(12)

وليس من الغريب، في الاسلام، أن تكون من صفات الداعية المؤثر صفات موروثة. فقبل أربعة عشر قرنا هجريا عندما بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان المجتمع العربي بأكمله وليس المكي فقط يرى أن شرف النسب لا يدانيه شرف المال والكثرة وغير ذلك من الكفايات المكتسبة. فلم يكن اتصال نسب الرسول صلى الله عليه وسلم بابراهيم عليه الصلاة والسلام، ولم يكن ابنا لأكثر القبائل شرفا آنذاك بل أكثر بيوت مكة رفعة محض المصادفة، ولكنه العلم الالهي بظروف البيئة والتقدير الرباني لها.(13) ولم يكن النسب الصفة الموروثة الوحيدة التي توفرت له عليه الصلاة والسلام، وذلك استكمالا لتأهيله مصدرا لرسالة عالمية اذ توفرت له صفات أخرى موروثة مثل جمال الخلقة بأبعادها المختلفة(14) وقوة الصوت (15).

ولا يعني هذا تأييد الاسلام لهذا النوع من عناصر التوثيق، ولكنه الاعتراف بوجود أثرها والانطلاق من الواقع لتحقيق الأمثل، وليس كما يحلو لبعض المصلحين الانطلاق من الأمثل دون الالتفات الى الواقع.

ولعلنا لا نزال نجد آثار هذا الاتجاه الذي يعطي أهمية للمظاهر الشخصية بين المسلمين. ويؤكد هذه الحقيقة عدد ممن كتب عن صفات المصدر من المنظور الاسلامي.(16)

والاسلام ـفي الحقيقةـ ليس ضد المظاهر الشخصية سواء الموروث منها أو المكتسب، بل يعترف بها ويهذبها في حدودها المعقولة من المصدر وغير المصدر. فالنظافة والتجمل فضلا عن الطهارة من الأشياء المطلوبة من المسلم أو المرغوبة فيها أيا كانت مهمته في المجتمع.(17) واظهار أثر النعم التي ينعم الله بها على الانسان من غير سرف من الأشياء المرغوبة أيضا اذ يقول سبحانه وتعالى:((وأما بنعمة ربك فحدث.))(18)

ومن الصفات المكتسبة التي تحدث عنها أبو زهرة ما يلي: الايمان بما يدعوا اليه، والمعرفة الجيدة بالكتاب والسنة، وبعض العلوم الدينية مثل علم النفس والأخلاق...، والقدرة على كسب الثقة، وحسن التأهيل في مجال الخطابة، ومعرفة الظروف المحيطة بما في ذلك حال الجمهور، واحترام الجمهور والاهتمام بهم.

ومن الصفات المكتسبة التي أشار اليها أيضا: الشجاعة في قول الحق، والورع والالتزام العالي بالتعاليم الدينية، والعفة عما في أيدي الناس، والحلم، والتواضع، والصبر على المكاره.(19)

ومن أبرز الصفات الأخرى التي يؤكد عليها الاسلام الصدق، والحكمة، والثقة القوية في الله، وعلو الهمة، والوقار والاتزان، والقناعة في الدنيا، وقوة البيان أو الفصاحة.(20) وقد أجمل فائز أبرز الصفات المطلوبة في المصدر في النبل والأخلاق الحميدة.(21) أكد أحمد صقر في كتابه "من أخلاق الدعاة" بأن الأخلاق الحميدة تشمل: التفاؤل والمراقبة والمحاسبة والاخلاص لله وللناس، والصدق، والحب في الله، والايثار، والحياء، وحسن الظن، والجود، والبذل، وطيب الكلام، وحسن الاستماع، وخفض الصوت، والمشي هونا، والاستقامة، وتجنب اللغو أو الغضب، أو اتباع الهوى.(22) وقد أضاف اليها فريد: مراقبة الله، والمداومة على الأذكار، والسيطرة على مجلسه، ومعرفة قدر نفسه، والنظافة الظاهرة والباطنة، وعدم الاطالة، والبشاشة.(23)

وبالنسبة للمعرفة والخبرة فان فريد يؤكد ضرورة التأهيل الى جانب الصفات السابقة. ويرى محفوظ ما يراه أبو زهرة من ضرورة المعرفة الدينية والدنيوية. وفصلها في ضرورة العلم بالقرآن والسنة والقدر الكافي من الفقه والسيرة واللغة العربية المعرفة الدنيوية اللازمة.(24) ويقول القرضاوي بأن المعرفة والخبرة تمثلان ثلث الشروط التي يجب أن تتوفر في الداعية (25)، ويضيف اليهما عبدالبديع صقر الأسلوب المؤثر مثل القصد في الاجابة واتقان الفصحى.(26)

والحقيقة ان القرآن الكريم حريص على الأسلوب الذي يجب أن يتسلح به الداعية. فوضع له القواعد العامة ومن تلك: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالحسنى، اذ يقول تعالى: ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجدلهم بالتي هي أحسن.))(27) كما أمر الداعية خاصة بعدم استثارة روح التحدي عند الخصم اذ يقول الله تعالى: ((ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)) (28) واليقظة الذهنية أيضا جانب مهم من جوانب القدرات العقلية التي يجب أن يتحلى بها الداعية (29).

ويرى كثير من علماء المسلمين(30) بأن القدوة الحسنة صفة من أكثر الصفات أهمية ويجب أن تتمثل في الداعية. ففي المفهوم الاسلامي لا تقتصر أهمية "القدوة" على كونها وسيلة تعليمية فعالة كما يراه علماء الاعلام أو التعليم في الغرب.(31) ولكن أيضا يشمل أهميتها الناحية الأخلاقية. بعبارة أخرى فان "القدوة" في المفهوم الاسلامي ذات بعدين: بعد تطبيقي عملي، وآخر أخلاقي سلوكي، لهذا يقول الاستاذ فتحي يكن: "في رأيي أن مسؤولية الدعاة تجاه أنفسهم أضخم بكثير من مسؤولياتهم تجاه المجتمع، وخطورة التقصير فيما للدعاة على أنفسهم من واجبات يفوق خطورة التقصير فيما للمجتمع عليهم من حقوق... فالدعاة ينبغي أن يكونوا قدوة حسنة للمجتمع الذي يعيشون فيه."(32)

فالمسلم ـ عندما يكون قدوة حسنة ـ ينبغي أن يكون قدوة في شتى مناحي الحياة، فاذا لم يكن كذلك، وكان قدوة في بعض الجوانب فقط، فهذا دليل على أنه قد أخل ببعض التعاليم الدينية. والأعمال الصالحة هي أعمال صالحة دائما بصرف النظر عمن يقوم بها، وهي صالحة سواء قام بها العلماء أو العامة. وهي صالحة سواء بالنسبة للمتقين الذين حققوا اعلى مستويات التطبيق أو لا يزالون يتدرجون في أول السلم.

وقد أنكر الله تعالى على الذين يأمرون الآخرين بالخير ويحرمون أنفسهم منه، بقوله تعالى: ((أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتب، أفلا تعقلون.))(33)

والتناقض يصل ذروته عندما يعد الانسان بأن يفعل شيئا ثم لا يفعله، أو يأمر بعمل ثم لا يطبقه بنفسه. وهذا جانب آخر من مفهوم القدوة عندما يكون سلبيا، وقد أنكر الله ذلك بشدة في قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون.))(34)

واستنادا الى هذه الآيات يقول بن باز: "فمن أهم الأخلاق وأعظمها في حق الداعية أن يعمل بما يدعو اليه وأن ينتهي عما ينهى عنه."(35) وقد جاء في الحديث الشريف بهذا الصدد قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع اليه أهل النار، فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه."(36)

ويشبه المودودي هؤلاء الناس الذين يدعون الآخرين الى غير الذي يمارسونه هم انفسهم بأولئك الذين تمتليء بيوتهم بزجاجات الخمر وينكرون على من يشربها، ويحذر من مغبة هذا العمل الذي قد يؤدي الى سقوط النظام الاجتماعي بأكمله.(37)

أما فتحي يكن فيؤكد في كتابه "قوارب النجاة" على ضرورة أن يكون الداعية قدوة بقوله: "ان مستوى الزام الدعاة -بالاسلام- يجب أن يتجاوز بكثير مستوى غيرهم من الناس...فان استووا معهم بالالتزام لم يكن لهم الفضل عليهم، بل كان عليهم دونهم وزر الادعاء."(38)

ويحلل أمين اصلاحي القدوة فيجعلها في ثلاث صفات: الايمان، والاعلان بالقول والاعلان بالعمل.(39)

هذا ما ورد في صفات الدعاة الأكفياء ورغم تعدد المراجع الدعوية فان الصفات المرغوبة في الداعية أو المصدر لا تخرج عن هذا الاطار.(40)

الكتابات التعليمية:

لقد اعتنى بآداب العالم والمتعلم مثل ابن جماعة، والآجري في أخلاق العلماء. وهي كتابات تستند الى الاستنتاج من الكتاب والسنة ومن التأملات.

ومن الكتب المخصصة لآداب العالم والمتعلم ما ألفه الامام النووي الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري، بعنوان: "آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طالب العلم". وقد أورد فيه الصفات التالية:(41)

1 - أن يقصد بتعليمه وجه الله، وليس للحصول على مكسب دنيوي؛ وأن يراقب الله في علانيته وسره، ومؤديا للنوافل فوق المفروض عليه، وان يكون متكلا علي الله، وأن يكون كثير التسبيح، والذكر والدعاء.

2 - أن يتخلق بالاخلاق الحسنة مثل: الزهد في الدنيا، والسخاء، ومكارم الأخلاق، والخشوع والوقار، والتواضع، واجتناب الضحك، واجتناب كثرة المزاح، وطلاقة الوجه، والحلم، والصبر، والورع، والخشوع، والسكينة والوقار، والانصاف، والحذر.

ومن الأخلاق المطلوبة أيضا اجتناب الحسد والرياء والعجب واحتقار الناس، والاخلاص للطلاب، والحنو عليهم، والسماحة في المعاملة، والاتزان.

3 - أن يتصف بالنظافة البدنية الظاهرة والباطنة، وازالة الروائح الكريهة واجتناب الروائح المكروهة، وتسريح اللحية.

4 - الاجتهاد في تحصيل العلم، ووضوح العبارة والتدرج في التعليم، والايجاز مع الوضوح، والدقة في العبارة، وعدم الاطالة التي تبعث الملل، وحسن ترتيب الموضوعات، وحسن الابتداء أو المدخل، والقدرة على ضبط الطلاب.

ويضيف عبود(42) الى هذه الصفات القدرة على التفاعل مع الطلبة والتعلم منهم، والاستفادة من مشاركتهم والمقدرة على الاقناع.

ويؤكد اسماعيل نواب (43) على أهمية القدوة الحسنة حيث يقول: (ان انعدام التناسق بين الكلمات والتصرفات قد يؤدي الى أضرار بالغة بعملية التعليم).

كما يضيف النحلاوي(44):

1 - ضرورة كون المعلم واعيا للتيارات الفكرية والاتجاهات العالمية، وما تتركه في نفوس الجيل من أثر في معتقداتهم وأساليب تفكيرهم، وأن يكون فاهما لمشكلات الحياة المعاصرة، وعلاج الاسلام لها.

2 - أن يكون مبدعا في تنويع أساليب التعليم، متقنا لتلك الأساليب، عارفا بالأسلوب الذي يصلح لكل موقف من مواقف التدريس وموارده.

ولعلنا نلاحظ تشابها بل تداخلا كبيرا بين صفات المربي وصفات الداعية، مع أن صفة القدوة الحسنة قد لا تنطبق على جميع مواد الدراسة. وذلك لأن المدرسين لبعض المواد قد لا يكونون مسلمين أصلا حتى في المجتمعات الاسلامية لأسباب تفرضها ندرة المدرسين في المواد العلمية والرياضيات والحاجة الى الاتقان في مواد اللغات الأجنبية. كما أن بعض المواد الدراسية لا علاقة بها السلوك.

والحقيقة أن هذا التشابه لا يقتصر على هذين المجالين، ولكن يشمل أيضا مصادر الأنباء أو الأخبار.

رواية الأحاديث:

والمقصود بالأحاديث هنا هي أقوال المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأفعاله، وتقريراته.

وقد كانت الأخبار تروى ولم يكن الناس قبل الاسلام يهتمون بحالة الراوي مثل اهتمامهم بالمضمون ثم جاء الاسلام فكان اعتماد المسلمين على الحفظ والضبط في الذاكرة، ولكن لما انتشر الاسلام واتسعت رقعة البلاد الاسلامية، وتفرقت الصحابة في الأقطار ومات معظمهم وتفرق أصحابهم وأتباعهم وقل الضبط، احتاج العلماء الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة (45) فوضعوا له القواعد وكانت علوم أصول الحديث، وهي أصح ما عرف التاريخ من قواعد للحفاظ على الأخبار وتحقيقها، وأول ما عرف من نوعها (46).

والهدف من هذا العلم الجليل هو التأكد من أن الحديث المعين قد رواه صحابي نقلا لقول سمعه أو حدث رأته عيناه مما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم أو فعله او أقره.

وتنقسم عملية التحقق من صحة الحديث الى شقين: دراسة الاسناد، وتحقيق المتن أو النصوص. وبعبارة أخرى لجأ علماء الحديث الى التحقق من صحة الحديث الى الدليلين النقلي والعقلي، ولكن مع ترجيح الدليل النقلي على العقلي لأنه ليس كل شيء يدرك بالعقل (47).

وأولى خطوات التمحيص النقلي (دراسة الأسانيد أو النقد الخارجي) (48) وهو حصر رواة الحديث ثم جمع المعلومات عنهم ليتم جرحهم أو تعديلهم، أي التحقق من درجة مصداقيتهم.

وكل حديث عادة يتألف من جزأين، مثلا لو أخزنا حديثا من صحيح البخاري لوجدناه بالشكل التالي:

أخبرنا سليمان بن...عن نافع بن...حدثه عن أبيه أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آية المنافق ثلاث: "اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا أوتمن خان."

ويسمى الجزء الأول بالاسناد، أي سلسلة رواة الحديث من البخاري الى أن يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم، أما الجزء الثاني فيسمى المتن وهو اما قول الرسول صلى الله عليه وسلم، أو وصف الصحابي لفعله عليه الصلاة والسلام (49).

وشروط الثقة الذي تقبل روايته هي:

1- الاسلام: فقبول الحديث يعني الايمان به، ورفضه معناه عدم الالتزام به.

2- التكليف أو البلوغ: واستثنى العلماء الطفل المميز عند التحمل، البالغ عند الأداء أو التبليغ، اذا اجتمع فيه الفهم والادراك والتمييز والتقوى عند البلوغ.

3- العقل: أي أن لا يكون مجنونا (50).

4- العدالة: وتعني السلامة من الفسق وخوارم المروءة، أي استقامة السيرة والدين ولا تشترط العصمة من جميع المعاصي، ولا يكفي اجتناب الكبائر، فمن الصغائر ما ترد به الشهادة والرواية، ومن المروءة عدم الأكل في الأسواق والبول في الشوارع، ومن مكملات العدالة ـ وليس من شروطها- العلم والفقه، ومعرفة نسب الراوي الذي روي عنه (51).

ومن العدالة أيضا أن لا يكون زنديقا أو ملحدا أو يدعو الى بعض المذاهب وألأهواء أو أن يكون له أغراض دنيوية أو عنده حب للرئاسة والشهرة، فيروي مالم يسمعه بغية الشهرة (52).

وحسب تعريف ابن حبان ـ نقلا عن أبو لبابة ـ العدالة هي: أن يكون أكثر أحوال الراوي طاعة الله. وحسب وصف أبي بكر الباقلاني أن يعرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به، وتوقي ما نهى عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحري الحق والواجب في أفعاله، ومعاملته، والتوقي في اللفظ مما يثلم الدين والمروءة، ومن تمام المروءة نظافة الجسم وحسن الهيئة وغلبة الطمأنينة والاتزان في التصرفات(53).

5- الضبط واليقظة: ويشمل ضبط المعنى من حيث اللغة وضبط الحكم الشرعي له وحفظه بعد تعلمه، والحفظ بقوة الذاكرة أو بصيانة ما يكتبه من التزوير والتغيير ويشمل الضبط أيضا ضبط الاسناد اضافة الى النص (54).

والحقيقة أن علماء الحديث وان اتفقوا على الشروط الرئيسية فقد اختلفوا حول بعض الشروط التفصيلية التي تراوحت بين المتشددة جدا والمقبولة، فقد تميز

البخاري عن مسلم مثلا باشتراطه ثبوت لقاء الراوي بمن روى عنه، بينما اكتفى مسلم بأن يعيش الاثنان في عصر واحد وأن يكون لقاؤهما محتملا (55).

بيد أنه ينبغي أن نتذكر بأن هذه الشروط القاسية مناسبة للرسالة ربانية المصدر، فهي مسألة ايمان وكفر أو اتزام وعدم التزام. أما بالنسبة للرسائل بشرية المصدر فانها لاتحتاج الى تلك الصرامة غالبا. وقد تم بيان ذلك في الفصل السابع.

ولعل مما سبق استعراضه في هذا المبحث يلاحظ أن علماء المسلمين يولون الأخلاق اهمية كبيرة، وكذلك كون الانسان قدوة، فهي عماد التوثيق بالدليل النقلي (الاسناد).

كما يلاحظ أن التوثيق استنادا الى المضمون يأتي في المرتبة الثانية. وذلك لأن الثقة قد يروي حديثا واحدا (ليس لديه من العلم الكثير) و أما المظاهر الشكلية فقد ظهرت فيما يمكن تسميتها بلوازم المروءة.

المصدر والعناصر الأخرى:

لقد أصبحت قضية التفاعل بين صفات المصدر والعناصر الأخرى للعملية الاتصالية ثابتة في الدراسات الاعلامية. لهذا يبدو أنه من المناسب القاء بعض الأضواء على ما يمكن استنتاجه من المصادر الاسلامية حول هذا الموضوع.

القائم بالاتصال والوسيلة:

لقد سبق أن قلنا بأن المصدر أو القائم بالاتصال قد يكون أساسيا أو ثانويا، وأنه يكون فردا أو مؤسسة، وأن المصدر الثانوي قد يكون بشريا أو معنويا أو مادية.

ويلاحظ أن المصدر الثانوي البشري (المذيع أو المحرر الصحفي) قد يتفاعل مع طبيعة المصدر الثانوي المادي (الاذاعة أو التلفاز أو المواد المطبوعة). فيؤثر ذلك على درجة أهمية بعض صفات المصدر البشري.

وقد ظهر لنا فيما سبق استعراضه أن هناك فرقا بين الصفات التي أوردتها معظم الكتابات، وبعض الصفات التي أوردتها الكتابات التي تناولت المصدر في الاذاعة والتلفاز.(56) وبعبارة أخرى برزت بعض الصفات ذات الأهمية للقائم بالاتصال في الاذاعة والتلفاز ولكنها قليلة الأهمية للمحرر الصحفي.

وكان من هذه الصفات: خلو الصوت من العيوب الخلقية، وسلامة النطق واخراج الحروف من مخارجها الأصلية، والقدرة على اعطاء كل حرف حقه من الوضوح، وقصر جمل القائم بالاتصال، والقدرة على الارتجال، وحسن المظهر والنظافة، والاناقة في الملبس، السلاسة في الانتقال من موضوع لآخر، والمواءمة بين الصوت والصورة موضوع التعليق.

القائم بالاتصال والرسالة:

لقد أثبتت الدراسات الاعلامية وجود أثر لطبيعة الرسالة على صفات المصدر. فشروط المصدر المثالي يختلف حسب طبيعة الرسالة. ومن هذه الدراسات دراسة للمؤلف أجراها على عينة من الجمهور المسلم، ينتمي الى جماعات اسلامية مختلفة.(57) واستخدم فيها منهج التحاليبل العاملية. وتأكيدا لنتائج الدراسات الاعلامية(58) وجد المؤلف اختلافا في قيمة الصفة ذاتها عند الجمهور نفسه، وذلك بسبب اختلاف نوع الرسالة. ففي حالة الرسالة الدعوية (الاقناعية) كان خمسا من صفات القدوة في رأس القائمة التنازلية المبنية على قيمة كل صفة.

وهي بالترتيب: ضرورة مطابقة السلوك للقول، والتزام الداعية بمبادئها الأخلاقية، وكون الداعية قدوة طيبة في مجتمعه، والالتزام بالعقيدة التي ينتمي اليها، والاعتقاد في الأفكار التي يروج لها، والاستفادة من معرفته.

واحتلت صفات الأخلاق المرتبة الثانية متمثلة في الكرم والايثار، والأمانة الكاملة. وكان في ذيل القائمة صفة النضج العقلي. أنظر الجدول (1)

وهذا يعني ترجيح كفة الصفات المتصلة بالأخلاق، والسلوك الشخصي على وضوح الأسلوب، والعلم، والموضوعية، والايجاز الوافي، وغزارة المعلومات، والانصاف، والبلاغة في الأسلوب...

الجدول (1)

---------- القيمة

الصـــــــــــــــــــــــــــــفة

---------- 2ر42

يجب أن يطابق سلوك الداعية قوله.

2ر38 يجب أن تكون الداعية ملتزمة بالمباديء الأخلاقية التي تؤمن بها.

2ر34 يجب أن يكون الداعية قدوة طيبة في مجتمعه.

1ر88 اذا لم تكن الداعية ملتزمة بعقيدتها فكيف لنا أن نصدقها؟

1ر71 يجب أن يكون الداعية أول معتقد في الأفكار التي يروجها.

1ر69 يجب أن تكون الداعية أول مستفيدة من معرفتها.

1ر50 الكرم والايثار من الصفات الهامة في الداعية المثالي.

1ر25 الداعية بدون الأمانة الكاملة لا يساوي شيئا.

1ر12 النضج العقلي صفة أساسية في الداعية.

(تم االاقتصار على الصفات ذات القيمة الموجبة بمعدل "زي" المعياري.)(59)

أما بالنسبة لمجال رواية الأخبار فقد لوحظ أن الصفة الأولى هي الكرم والايثار من مجموع ثلاث عشرة صفة ذات قيمة موجبة. وكانت الصفة الثانية حسن

التأهيل. وكان المركز الأول لست من الصفات العقلية هي: الحذر، والنضج، واليقظة، والابداع، والذاكرة القوية، والنشاط.

واحتلت المرتبة الثانية خمس من صفات القدوة وهي: أن يكون قدوة في مجتمه، ومطابقة السلوك للقول، والاعتقاد فيما يروج له، وتجنب ماينتقد عليه الآخرين، والالتزام بالعقيدة التي ينتمي اليها. أنظر الجدول (2)

الجدول (2)

---------- القيمة

الصـــــــــــــــــــــــــــــفة

---------- 1ر54

الكرم والايثار من الصفات الهامة في الراوية المثالي.

1ر42 يجب أن يكون راوي الأخبار مؤهلا لما يقوم به من عمل.

1ر38 يجب أن يكون راوي الأخبار قدوة طيبة في مجتمعه.

1ر38 راوي الأخبار الحذر عادة تصدر عنه رسائل أكثر دقة.

1ر30 يجب أن يطابق سلوك الداعية قوله.

1ر25 يجب أن يكون راوي الأخبار أول معتقد في الافكار التي يروج لها.

1ر17 النضج العقلي صفة أساسية لراوية الأخبار.

1ر17 راوية الأخبار اليقظة غالبا ما تصدر عنها معلومات صحيحة.

1ر08 راوية الأخبار ذات العقلية المبدعة جديرة بأن تقدم موضوعاتها في أسلوب مؤثر.

1ر04 من الأشياء التي تعيب راوية الأخبار أن تنتقد الآخرين على اغتيابهم الناس وتعمل الشيء نفسه.

1ر00 اذا لم تكن راوية الاخبار ملتزمة بعقيدتها فكيف لنا أن نصدقها؟

1ر00 قوة الذاكرة مقوم أساسي في رواية الأخبار.

1ر00 المرأة النشيطة الحيوية أكثر احتمالا للنجاح بصفتها راوية.

(تم الاقتصار على الصفات ذات الأوزان الموجبة بمعيار زي المعياري)(60)

القائم بالاتصال والجمهور:

ان أثر نوع الجمهور على درجة فعالية العملية الاتصالية أصبحت أيضا قضية ثابتة. بل هناك دراسات أثبتت هذا الأثر على درجة أهمية بعض الصفات المشروطة للمصدر المثالي.(61).

وقد وجد المؤلف في دراسته المذكورة(62) بأن المسيحيين يرجحون -بشكل واضح- كفة الصفات المتصلة بالمعرفة والأسلوب على الصفات المتصلة بالأخلاق والقدوة، فيما يتصل بمجال رواية الأخبار. وحتى بالنسبة لمجال الدعوة كان هناك اختلاف ولكن لم يبلغ درجة الأهمية الاحصائية. وبعبارة أخرى يرجح المسيحيون كفة الصفات المتصلة بالمعرفة والقدرات العقلية على الصفات المتصلة بالأخلاق والقدوة. وعلى العكس يرجح المسلمون كفة الأخيرة على الأولى.

الخلاصـــــة:

وبهذا نلاحظ أن هناك شبها واضحا بين الصفات التي وردت في الدراسات المقننة والكتابات التي تمثل منظور الاعلام الاسلامي. بيد أن التشابه بين صفات القائم بالاتصال من منظور الكتابات الاعلامية الاسلامية، من جهة وصفات القائم بالاتصال أو المرسل من منظور الكتابات الدعوية والتعليمية ورواة الأخبار يكاد يكون متطابقا. وهذا التشابه قد يعود الى الأسباب الرئيسة التالية:

1 - تأثر الكتابات الاعلامية الاسلامية بالكتابات في المجالات الأخرى ولاسيما الدعوية. ويؤكد ذلك قائمة المراجع الدعوية في الكتب الاعلامية الاسلامية.

2 - الاستنتاج من مصادر واحدة وهي: القرآن والسنة والسيرة والتاريخ الاسلامي، وبعبارة أخرى الصدور عن منطلق فكري واحد.

3 - استفادة الاعلاميين الاسلاميين من الكتابات السابقة في مجال الاعلام، سواء تم توثيقها أو لم يتم.

4 - يحتفظ الانسان عادة بجزء كبير من طبيعيته الانسانية المشتركة الواحدة على الرغم من اكتسابه انتماءات عقدية وفكرية مختلفة.

كما يتضح أن شروط القائم بالاتصال ليست واحدة دائما، ولكنها قد تختلف بحسب مضمونات الرسالة التي يبثها القائم بالاتصال وبحسب طبيعة الجمهور الذي يتعامل معه. والاختلاف قد يكون بالاستغناء تماما عن بعض الصفات، أو يكون بالتركيز على بعض الصفات أكثر من غيرها.

د. سعيد اسماعيل صيني 17/8/1411 هـ

حواشـي الفصل الخامس

توثيق المصدر

1 - كلمة "المصدر" أكثر شمولا من كلمة "المرسل" لأن المصدر يشمل المصادر العاكسة. أما المرسل فلا يشمل المصادر العاكسة. وقد يقتصر استعماله على البشر أو ما يشبه ذلك مثل الشخصيات الاعتبارية. كما أن المرسل أكثر شمولا من "القائم بالاتصال". وذلك لأن المرسل يشمل

المصادر المجهولة ولكن القائم بالاتصال يعطي معنى بأن المصدر معروف لدي الجمهور وهناك نوع من الصلة المباشرة أو ما يشبهها.

2 - صيني، رسالة الدكتوراه، ص 28.

3 - أبو زهرة، الخطابة، ص 12.

4 - صيني، رسالة الدكتوراه، ص 28-30.

5 - Watson.

6 - صيني، رسالة، 30-35.

7 - صيني، رسالة، 35-40.

8 - يوسف، صفات مقدمي، ص 13-126؛ الفتياني، ص 101-303؛ يحي مصطفى، 22-23؛ مصطفى والصيرفي، 300-307.

9 - حجاب، نظريات، ص 143-204.

10 - حمزة، الاعلام في صدر، ص 65-81؛ التلمساني، ص 208-261؛ نصر، 37 -70؛ عبد الحليم، ص 33-35؛ نجيب، ص 120-123؛ حجاب، نظريات، ص 143-204؛ محمد، المسئولية، ص 270؛ حاتم، الاعلام في القرآن، ص 155-175؛ مصطفى، والصيرفي، التلفزيون، ص 300-307؛ كحيل، 37-40؛ يوسف، ص 13-126؛ يحي مصطفى، الاذاعة، ص 33-35؛ الفتياني، 101-303؛ محمود مصطفى، 624-635.

11 - حمزة، الاعلام في صدر، المقدمة.

12 - أبو زهرة، ص 14-18؛ بدوي، تلخيص الخطابة لابن رشد.

13 - ابن هشام، السيرة النبوية؛ Meyrhof and Schacht.

14 - البخاري، كتاب المناقب: باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم.

15 - أبو فارس، ص26-27.

16 - مصطفى والصيرفي، ص 300؛ يوسف، 120-122؛ الفتياني، ص 188.

17 - انظر مثلا صحيح البخاري كتاب الوضوء حول الطهارة بمعناها الشامل، وكتاب الجمعة عن الغسل والطيب والدهن، ولبس أحسن الثياب والسواك، وفي كتاب العيدين عن التجمل فيهما.

18 - الضحى: 11.

19 - أبو زهرة، الخطابة، ص 14-18، 153-216.

20 - محفوظ، ص 99-134.

21 - فائز، ج1: 191-195.

22 - أحمد صقر، ص15 - 117.

23 - علوان، صفات

24 - فريد، ص 18-22.

25 - القرضاوي، ثقافة، ص7.

26 - عبدالبديع صقر، ص119.

27 - النحل: 125.

28 - الأنعام: 108.
29 - عبدالبديع صقر، ص 119.
30 - عبدالبديع صقر، ص107؛ النشمي، ص175-176؛ أمين، ص52-53؛ الخولي، ص67-69.
31 - صيني، رسالة، ص 41-47.
32 - يكن: مشكلات الدعوة، ص66.
33 - البقرة: 44.
34 - الصف : 2-3.
35 - بن باز، الدعوة الى الله، ص 40.
36 - مسلم، كتاب الزهد والدفاع، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله.
37 - المودودي: تذكرة، ص34.
38 - يكن: قوارب، ص78.
39 - اصلاحي، منهج الدعوة، ص24-26.
40 - انظر مثلا محمد أبو زهرة، الدعوة الى الاسلام ص138-140؛ أحمد البيانوني، الدعوة الى الاسلام، ص25-191؛ عبدالكريم الخطيب، الدعوة ص39-53؛ سرور، حكمة الدعوة ص33-45؛ الصباغ، من صفات الداعية، ص9-63، حسن عبد الظاهر، فصول في الدعوة، ص17-20؛ يكن، الاستيعاب في حياة، ص15-7.
41 - النووي، ص 29-43.
42 - عبود، في التربية، ص106-107.
43 - Nawwab P. 45
44 - النحلاوي، أصول التربية، ص 154-160.
45 - الجزري، المبارك، جامع الأصول، ج1: 39-43.
46 - بليق، منهاج، ص29-41.
47 - الزين، منطق ابن تيمية، ص 201-205؛ وانظر محمد الأعظمي، كتاب التمييز، ص 65-70.
48 - الطحان، أصول التخريج.
49 - Azami PP. 32-45.
50 - حسين: الجرح، ص76-82.
51 - الجزري، ج1: ص 69-78.
52 - ابن تيمية، علم الحديث، ص37-38.
53 - حسين، ص 79-80.
54 - الجزري، ص72- 74، 99-101.
55 - بليق ص100.
56 - يوسف، 70-126؛ يحي مصطفى 22-2.3، مصطفى والصيرفي، 300-307.
57 - صيني، رسالة، 137-180.

58 - صيني، رسالة، 48-49.
59 - صيني، رسالة، ص 156.
60 - صيني، رسالة، ص 158.
61 - صيني، رسالة، ص 50-59.
62 - صيني، رسالة، ص 137-180.

د. سعيد اسماعيل صيني 2/8/1411هـ

الفصل السادس
منشـأ اللغــة

مقــدمة:

اللغة ليست سوى واحدة من وسائل التعبير العديدة، ولاسيما بالنسبة للاعلامي؛ فهناك الوسائل الصوتية والبصرية غير المحدودة. ومع هذا فان اللغة من القدرات التي لا غنى للانسان عنها، حتى بالنسبة للاعلامي. لهذا فان اهتمام الانسان بمعرفة منشئها قديم جدا. وكان من أولى التجارب لاكتشاف أصل اللغة هي التجربة التي أمر بها فرعون مصر في القرن السابع قبل الميلاد وتحدث عنها هيرودوت المؤرخ اليوناني بعد قرنين من حدوثها(1).

وفي هذه التجربة تم وضع رضيعين في كوخ منعزل، في عناية أحد الخدم مع تعليمات بعدم التحدث اليهما. وتقول الرواية بأن الرضيعين عندما بلغا سن التعامل مع اللغة أول ما نطقا به هو "بيكوز" وتعني الخبز بلغة كانت دارجة في شمال غرب تركيا.

والحقيقة ان قضية أصل الانسان وأصل اللغة متلازمتان؛ لا تقبلان الفصل. ولما كان هناك مذهبان رئيسان في أصل الانسان هما: المعتقد الديني والنظرية الداروينية فانه من غير المستغرب أن نجد أن جميع النظريات حول منشأ اللغة ترتكز على هاتين النظريتين أو تسير في محاذاتهما.

النظرية التطورية:

وتستند النظريات التطورية مباشرة الى نظرية داروين لمنشأ الانسان وأصله، أو تسير في خط مواز لها فتقول بأن منشأ اللغة انما هو الانسان. وقد اعتقد اليونان القدامى بأن أحد المشرعين هو الذي وضع الأسماء للأشياء.(2) وقال آخرون بأن اللغة تطورت عن بعض الأصوات الطبيعية، مثل تقليد صوت الذئب لوصف الذئب. وعندما نراجع عددا قليلا من المفردات في أي لغة سنجد أن عملية ايجاد أصول لها من هذا النوع يعتبر نوعا من المحال. اضافة الى ذلك فان اللغة لاتتكون فقط من المفردات. فاللغة تتكون من نظام للأصوات phonology (علم الأصوات)، ونظام للدلالة semantics (علم المعاني)، وقواعد لتصريف الكلمات morphology) علم الصرف)، وقواعد لتركيب الجمل syntax (علم النحو)، وحصيلة المفردات dictionary.(3)

وتقول نظرية تطورية أخرى بأن اللغة في الأصل كانت تتكون من صيحات عاطفية مثل: صراخ ألم أو خوف، أو دهشة، أو لذة، أو غضب. بعبارة أخرى مثل الانسان في ذلك مثل الحيوان. ويقول أحد أصحاب هذه النظرية بأن الانسان قد استخدم كلا من الصرخات العاطفية والاشارات، ولكنه وجد أن الاشارات قاصرة كوسيلة للتعبير فاخترع اللغة.(4)

وهناك من يقول بأن الغناء الفطري هو أساس اللغة.(5)

وحسب تصور روسو Rousseau فان الكلمات الأولى كانت عبارة عن أسماء لأشياء محسوسة، والجمل الأولى كانت عبارة عن كلمات مفردة. ولم يتم اختراع المفردات المعنوية الا في وقت لاحق، وكذلك الحال بالنسبة للتكوينات الأخرى للغة. أما الأفكار العامة فتولدت بمساعدة الكلمات، والفهم ثم تم حفظها بواسطة أشياء معروضة محسوسة(6) مثل الكلمات.

وتقول فرومكن Fromkin وزميلها بأنه من الصعب استيعاب مثل هذا القول الذي يدعي بأن الانسان اكتسب القدرة على التفكير المعنوي بواسطة استخدامه الكلمات المحسوسة، اذا لم يكن الانسان من البداية مؤهلا بقدرات عقلية خاصة. وروسو لم يقدم تفسيرات منطقية لطريقة حدوث هذا، والتوصل في النهاية الى أنظمة وقواعد معقدة مكنت الانسان من تكوين جمل جديدة.(7)

ويقول آخر بأن اللغة هي نتيجة استعمال الانسان لأعضاء جسمه ومنها حركات فمه وشفته.(8) وهناك من يقول بأن اللغة نشأت أثناء أداء العمل، وبدأت في هيئة حركات واشارات مختصرة لتمثل الأنشطة المختلفة. ولم تبدأ اللغة اللفظية الا في وقت متأخر نسبيا.(9)

ولكن تعترض هذه النظريات بعض المشكلات منها:

1 ـ مقدرة الأطفال على استعمال اللغة تعتمد فقط على ما يسمعونه ويقرؤونه فكم من السنين يكلفهم تعلم اللغة بمفرداتها وقواعدها؟

2 ـ التشابه بين اللغات سيكون قليلا جدا ويحدث بمحض الصدفة فقط.

3 ـ كل انسان يستطيع أن يخترع نظرية يدعمها ببعض الحقائق فأي نظرية هي الصحيحة؟

وهناك توجه آخر بين أفراد هذه المدرسة تقول بأن هناك ارتباط وثيق بين القدرة اللغوية والقدرة على التفكير، لايمكن الفصل بينهما. اذ يرى أحدهم وهو هيردر Herder بأن اللغة قدرة ذاتية في البشر وأن القدرة اللغوية ليست من اختراع البشر وليست هبة، ولكنها جزء من التكوين البشري.

وقد دلل هيردر على ذلك بالفرق الواضح بين الأصوات الغريزية للحيوانات وبين اللغة البشرية. فالاختلاف بين اللغة البشرية والأصوات الطبيعية للحيوان كالاختلاف بين التفكير البشري والغريزة الحيوانية. ويقول أيضا أن البشرية تنحدر من نفس الوالدين، وبالتالي جميع اللغات تنحدر من لغة واحدة. وذلك لأنه على الرغم من تنوع اللغات فان لها سمات عالمية مشتركة.(10)

ويدفع بعض علماء اللغة من أصحاب المدرسة التطورية هذه المقولة الى الأمام قليلا ليقول بأن هناك تكوينات مخية خاصة باللغة، خاصة بنوع أو مرحلة من مراحل التطور، ولم تأت نتيجة لشكل من أشكال التطور التدريجي.(11) وهذا التفسير جاء لعجز أصحاب النظرية عن تفسير هذا الانقطاع في سلسلة ما يسمى بالنظرية التطورية. فاما حيوانات لا تمك القدرة اللغوية البشرية، أو انسان بلغته المكتملة النمو.

ومن حيث الأجهزة الصوتية فان ليبرمان Lieberman (12) يفترض أن الحيوانات غير البشرية (التي لم تصل في تطورها الى المستوى البشري) لاتمتلك الأجهزة الصوتية اللازمة للغة البشرية.

والمشكلة أن بعض الطيور مثل الببغاء تمتلك القدرة على تقليد بعض الأصوات البشرية وترديدها ولكن القدرات الصوتية لوحدها لاتحل المشكلة بأبعادها المختلفة.

ويبدو أن أصحاب النظرية التطورية يحاولون باصرار ربط منشأ اللغة بنظرية داروين التي لم تثبت هي الأخرى، وتواجه نقدا علميا شديدا. وعموما هناك مشكلات عديدة تواجه النظريات التي تقول بتطور اللغة بالتدريج عبر مراحل الارتقاء (المبنية على نظرية داروين) أو عبر الأجيال البشرية المتعاقبة وأن اللغة من اختراع الانسان. ومن هذه المشكلات تفسير النتائج التالية التي توصلت اليها الدراسات العلمية الحديثة:(13)

1 - أينما توجد مجموعة بشرية توجد لغة.

2 - ليست هناك لغات بدائية فجميع اللغات معقدة وقادرة على التعبير عن أي فكرة في العالم. ومفردات أؤ لغة قابلة للتوالد لتشمل كلمات جديدة لمفاهيم أو معاني جديدة.

3 - جميع اللغات تتغير عبر الزمان، مع اختلاف النسبة. ففي حالة وجود كتب مقدسة، قد أحسن حفظها مثل القرآن الكريم والأحاديث النبوية، كما هو الحال بالنسبة للغة العربية فان درجة التغيير فيها أقل من غيرها.

4 - العلاقة بين أصوات ومعاني اللغة الشفوية، والاشارات أو الرموز المستعملة في الكتابة ومعانيها، علاقة في معظمه علاقة عشوائي.

5 - جميع اللغات البشرية تستخدم مجموعة ثابتة من الأصوات أو الاشارات تتألف منها عناصر أو كلمات ذات معنى، التي بدورها تؤلف مجموعات من الجمل لانهاية لها.

6 - القواعد اللغية جميعها تتضمن قواعد لتكوين الكلمات والجمل المتماثلة.

7 - جميع اللغات المنطوقة تتألف من مقاطع صوتية محددة تتمثل في الأحرف، والحركات، يمكن تحديد صفاتها بدقة.

8 - وجود تصنيفات متشابهة لمقاطع الجمل، مثل: الاسم والفعل، في جميع اللغات.

9 - وجود تمييز دلالي بين الذكر والأنثى والانسان والحيوان، في جمع اللغات.

10 - جميع اللغات توجد فيها قواعد للاشارة الى الماضي، وللنفي، ولصياغة الأسئلة، وصياغة الأوامر...

11 - المتحدثون بجميع اللغات لديهم قدرة لانتاج وفهم مجموعات لانهائية من الجمل، تدور حول معنى واحد رئيس مثل:(14)

- علم الاعلام موضوع شيق.
- أنا أعرف أن علم الاعلام موضوع شيق.
- أنت تعرف أني أعرف بأن الاعلام موضوع شيق.
- هو يعرف بأنك تعرف بأني أعرف بأن الاعلام موضوع شيق.
- هل صحيح هويعرف بأنك تعرف بأني أعرف بأن الاعلام موضوع شيق؟

12 - أي طفل في العالم يستطيع تعلم أي لغة يتعرض لها بصرف النظر عن العنصر، والموقع الجغرافي، والتراث الاقتصادي... والاختلاف في اللغات لايمكن أن نعزوها الى أسباب عضوية وراثية.

كل هذه الحقائق تحتاج الى تفسير من النظرية التطورية أو التي تسير في محاذاتها.

النظرية الدينية:

عند العودة الى المصادر الدينية نجد العهد القديم في الكتاب المقدس عند المسيحيين وهو أيضا مقدس عن اليهود، نجد النص التالي:

"وجبل الرب الاله من الأرض كل حيواناتت البرية وكل طيور السماء. فأحضرها لآدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعى آدم ذات نفس حية فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية."(15)

بعبارة أخرى منح الله آدم القدرة على تسمية الأشياء.

أما بالنسبة للديانة المصرية القديمة فالههم "توت" هو الذي خلق اللغة. وبالنسبة للبابليين فمانح اللغة عندهم هو الاله "نابو". غير ان موجدة اللغة في الهندوكية هي زوجة الـههم "براهما" المسماة "ساراسفاتي".(16)

وقد أكدت العديد من الدراسات القديمة والحديثة القول بأن اللغة هي هبة من الله.

ومن تلك الدراسات القديمة دراسة أعدها "ماذر" Mather في القرن السابع عشر حيث خصص رسالة ماجتير للدفاع عن وجهة النظر هذه. ومنها أيضا دراسة قام بها راهب متعمق في الاحصاء يدعى "جوهان سوسميلش" Johann Suessmilch تضمنت النقاط التالية:(17)

1 - لايمكن للانسان أن يخترع اللغة بدون القدرة على التفكير، وعملية التفكير تعتمد على وجود مسبق للغة.

2 - جميع اللغات تامة وذلك بأدلة أوردها من اللغات الأوربية واللغات السامية ولغات جماعات بدائية. وأشار الى أن جميع اللغات لديها القدرة على مناقشة الأفكار المسيحية المغرقة في المعنويات.

3 - يستطيع أي طفل تعلم أي لغة بطريقة متقنة ولكن الكبار لايستطيعون، وكأنه يشير الى الفرق بين درجة اتقان اللغة التي يتعلمها الانسان الى حد سن معين ودرجة اتقان اللغة التي يتعلمها بعد ذلك السن.

ويلاحظ أن النظريات الدينية لا تتفق على اجابة السؤال: أي لغة كانت هي اللغة الأولى.

فهناك من يقول بأنها اللغة العبرية القديمة، وآخر يقول بأنها اللغة الجرمانية، وثالث يقول بأنها اللغة الآرامية التي كانت لغة عصر المسيح، ورابع يقول بأنها اللغة الصينية.(18)

بيد أن الدراسات الحديثة أثبتت بأن كثيرا من اللغات الموجودة انما تفرعت عن لغات رئيسة.

وهناك تفسير لهذا في الكتاب المقدس عند المسيحيين، حيث ورد بأن الناس كانوا شعبا واحدا وأصحاب لغة واحدة. ففرقهم الرب وفرق لغاتهم بحيث لايفهم بعضهم بعضا.(19)

ويلاحظ بصفة عامة على النظريات الدينية أنها أقدر على تفسير كثير من السمات المشتركة بين اللغات، والنظرية الحديثة التي تقسم اللغات الى مجموعات عائلية رئيسة، وأكثر اتساقا مع بعض النتائج التي توصلت اليها الدراسات الحديثة من حيث قدرة الأطفال على تعلم اللغات باتقان أكثر من كبار السن...

وبما أن الاسلام خاتم الأديان السماوية، وبقيت أصالتها محفوظة كما نزلت فلعل من المناسب معرفة كلمة المصادر الاسلامية في هذا الموضوع الذي شغل بال علماء اللغة عبر العصور.

مشكلة الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على وجهة نظر المصادر الاسلامية في منشأ اللغة، وتفسيرها للتشابه في السمات الرئيسة للغات العالم، وغيرها من الحقائق التي توصلت اليها الدراسات المبنية على المقارنة بين اللغات واستقراء الواقع.

منهج الدراسة:

وفي سبيل حل مشكلة الدراسة سوف يتم اتباع المنهج التالي:

1 - استعراض ماورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية من نصوص متصلة بموضوع منشأ الانسان والقدرات التي تم تزويده بها، وبخاصة مايتصل منها بالقدرة اللغوية. ثم تتبع تفسيرات العلماء لهذه النصوص، وتعليقاتهم عليها.

2 - وفي حالة غياب النصوص التفصيلية سيستفيد الباحث من الكتابات العلمية المتسقة مع التصور العام الموجود في القرآن الكريم والسنة.

3 - الاستعانة بالأدلة العقلية للخروج بصورة مكتملة مرجحة، في حالة تعارض المنقول أو سكوتها عن بعض النقاط التي لاتكتمل الصورة بدونها.

نتائج الدراسة:

وسيكون الحديث عن النتائج تحت العناوين التالية أصل الانسان، ومنشأ اللغة، والخلاصة العامة.

<u>أصل الانسان:</u>

لقد بدا واضحا من تتبع النصوص في المصادر الاسلامية أن التصور المستمد منها لا يختلف من حيث المبدأ عن النظريات الدينية السماوية الأخرى. وهي ترتكز بشكل عام على أربعة أسس:

1 - لقد خلق الله الانسان من رجل واحد هو آدم عليه السلام.

2 - وهذا الانسان مخلوق ميزه الله بسمات خاصة، تختلف عن بقية مخلوقات الله بما في ذلك الحيوانات، وجعل له قدرات خاصة متفوقة على كل الحيوانات.

3 - أن من تلك القدرات المتميزة العقل الذي يفكر به، ويستوعب به الهدى الرباني، وبه يميز بين الخير والشر حسب ذلك الهدى.

وجعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا، وهداهم النجدين. وفي آية أخرى يقول تعالى: ((واذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون. فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.))(20)

وكانت هذه هي بداية الانسان. فقد كان آدم ترابا ثم أضيفت اليه الروح. ومع أن أول انسان كان من التراب والصلصال فان بقية نسله كانوا من الماء المهين فيما عدا حواء وعيسى عليه السلام. فالله سبحانه وتعالى يقول:

((الذي أحسن كل شييء خلقه وبدأ خلق الانسـن من طين. ثم جعل نسله من سلـلة من ماء مهين.))[21]

ومن حيث نوعية الانسان وصفاته المميزة فالله عز وجل يؤكد في كتابه الكريم: ((لقد خلقنا الانسـن في أحسن تقويم.))[22] وقد زود الله هذا المخلوق الذي يستحق أن يكون في أحسن تقويم بمواهب مختلفة منها السمع والبصر والعقل اذ يقو ل تعالى:

((قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصـر والأفئدة قليلا ما تشكرون.))[23] وكان من أبرز هذه المواهب القدرة على الاحساس والادراك التي جعلته قادرا على التفكير والتدبر والتخطيط.

وهذا التفكير والتخطيط هو الذي يشير اليه قوله تعالى: ((وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون.))[24] وسيحاسب الانسان عليه كما في قوله تعالى: ((وان تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله.))[25] وهذا يعني أن الانسان يفكر؛ وقد يعبر عن تفكيره باللغة أو غيرها وقد لايفعل ذلك.

وما تكن الصدور ليس مجرد مشاعر ولكن أيضا أفكار، وهذا واضح من قوله تعالى: ((ولقد حلقنا الانسـن ونعلم ماتوسوس به نفسه، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد. اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد.))[26]

كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "ان الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل."[27] والوسوسة هي الهواجس، و ما يحدث الانسان بها نفسه.[28]

والسمع والبصر من وسائل الادراك التي لا تكتمل عملية اكتساب المعرفة الا بواسطتهما. ومعلوم أن اللسان والشفتين لهما وظائف كثيرة ولكن من وظائفهما أنهما يساعدان في عملية النطق. ولعل هناك سر في ورودهما مع نعمة العينيين ونعمة القدرة على الاختيار سر في قوله تعالى: ((ألم نجعل له عينين. ولسانا وشفتين. وهدينـه النجدين.))[29]

وكأن الآية هنا تركز على اللسان والشفتين بصفتهما وسائل تعبير واختيار علني. ففي ظل الآيات السابقة والحديث يمكن القول بأن الله قد خلق الانسان بصفات مميزة ومن تلك الصفات القدرة على التفكير والاختيار، والقدرة على استيعاب ما يتلقاه من رسائل، ودرجة من حرية الارادة. وزوده بأدات لاكتساب المعرفة التي تجعله يفكر ومنها السمع والبصر، وزوده بأدوات للتعبير عن ذلك الفكر ومنها اللسان والشفتين.

ثم جعله مسئولا عن حرية الاختيار (الخلافة الجزئية) اذااستثمرها وعبر عنها.

<u>أصل اللغـة:</u>

ويتضح مما سبق أن القرآن الكريم يؤكد بأن الانسان مزود بالأدوات اللازمة للنطق، كجزء من مكوناته الاساسية، اذ جعله خليفة في الأرض، حيث يقول

تعالى: ((واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الأرض خليفة)).(30) ولا تتم الخلافة الا بالقدرة على الادراك للمسئولية وعلى القدرة للتعبير عن الارادة النابعة من تلك المسئولية؛ واللغة واحدة من وسائل التعبير عن تلك الارادة.

وتضمنت الآية التي تلت الآية الأولى تصريحا بتزويد هذا الخليفة بجزء من هذه القدرة اللغوية: ((وعلم ءادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملئكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلآء ان كنتم صادقين. قالوا سبحنك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم.))(31)

وانقسم علماء المسلمين الى فريقين في تفسير كلمة "الأسماء". فريق يقول بأن الله علم آدم أسماء الأشياء "المفردات". ويمثل هذا الفريق من المفسرين السدى نقلا عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومجاهد(32). ومن المحدثين الذين رأوا هذا الرأي البخاري اذ يروي قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يوم الحشر "فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء..."(33) ومن علماء اللغة ذهب ابن فارس الى الرأي نفسه(34).

ويمثل الفريق الثاني من العلماء ابن جني(35) والقاضي ابن العربي(36) ؛ ويذهبون الى أن الآية تعني أن الله قد وهب آدم القدرة على الكلام (القواعد مع المفردات) واعتمادا على المعنى الظاهر للآية والحديث الشريف فان الفريق الأول يبدو أكثر اقترابا من الصواب، أي أن قسما من مفردات اللغة هي وحي الهي. وبعبارة أخرى فان الآية لاتقول شيئا عن قواعد اللغة.

بيد أن هناك آية أخرى في القرآن الكريم تفيد أكثر من ذلك. اذ تؤكد أن الله لم يعلم الانسان بعض المفردات فحسب، ولكن علمه أيضا القدرة على التعبير بالكلام فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ((خلق الانسن. علمه البيان)). ويورد ابن كثير تعليق الحسن على "علمه البيان" حيث يقول: "يعني النطق، وهو أداء تلاوته، وانما يكون ذلك بتيسير النطق على الحلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف في مخارجها وأنواعها."(37)

ويؤكد القرآن الكريم بأن آدم وحواء -حتى قبل أن يكون لديهما أطفال وهما في الجنة- كانا يتحاوران مع ابليس اذ يقول تعالى: ((فوسوس لهما الشيطن ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما، وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخلدين. وقاسمهما اني لكما لمن النصحين.))(38)

وبينما يدل ظاهر الآية الأولى على أن بعض المفردات فقط هي من الله فان الآيتين الأخيرتين تؤكدان بأن الله قد خلق مع الانسان قدرته على التعبير عن مشاعرهما وأفكارهما. وبعبارة أخرى فان القدرة اللغوية هي ذاتية في الانسان وجزء من تكويناته الموروثة.

وقد أعرب بعض علماء اللغة في الغرب عن هذه الحقيقة الأخيرة من أمثال "تشومسكي" Chomsky (39) و "هيردر" Herder (40).

وهذه الحقيقة تفسر السمات العالمية المشتركة التي سبق ذكرها بين اللغات، وسرعة اكتساب الأطفال على اللغة، والأصل المشترك للغات. مع ملاحظة أن هذه المجمعات اللغوية أو العائلات اللغوية التي توصل اليها علماء اللغة بالدراسات العلمية المقارنة ليست سوى مرحلة من المراحل التي ستؤدي الى الحقيقة التي أشارت اليها الأديان السماوية لمنشأ اللغة.

وتؤكد فرومكن Fromkin ومعها رودمان Rodman هذا التوقع بقولهما: "ان معظم علماء اللغة في العصر الحديث مع القول بعالمية اللغة، وذلك للعناصر العالمية المشتركة الموجودة بين لغات العالم."(41)

ويذهب الى هذا الرأي من علماء اللغة "بوت نام"Putnam.(42) ويقول هذا الرأي بأن قبولنا للقول بأن اللغة قدرة موروثة يشير بشكل قريب من القطع الى أن جميع اللغات تنحدر من لغة واحدة.

ويعتبر "قرين بيرق" Greenberg (43) من بين أشد علماء االلغة حماسا لهذا المذهب.

ويعلق البعض بأن اللغة كائن حي متحرك، متغير، بيد أنه يستند الى قواعد ثابتة؛ وهي تنمو بلا حدود معتمدا على قواعد محدودة(44).

أما عن قدرة الأطفال في تعلم أي لغة باتقان وبسرعة لا تكون بدون وجود هذه الموهبة الفطرية فيقول "شرام" Schramm (45) في تعليقه على ظاهرة قدرة الاطفال في توليد الكلمات بقوله:

"انه لمما يثير الدهشة أن الأطفال يستطيعون التمييز بين الأصوات المختلفة والتغاير الأساسي بين تكويناتها ومعانيها فيتحكمون على مستوين من الرموز ـ مستوى المعاني ومستوى المفردات التي يتم ترتيبها بطريقة معينة لتقود الى مستوى المعاني المفيدة ـ وذلك في السنين المبكرة في أعمارهم".

ومما يلفت الانتباه أيضا قدرة الأطفال، في سن مبكرة على ابتداع كلمات جديدة مبنية على قواعد لغوية معينة. مثلا بمعرفتهم كلمة "داد"(الأب بالانجليزية) وباد (سيء بالانجليزية) يستطيع الطفل أن يخلق كلمة داب (لاتعني شيئا) دون أن يكون سمعها من قبل. هذا مع أن الطيور الناطقة كالببغاء -مثلا- لا تستطيع الا ترديد ما سمعته من قبل.(46)

ويؤكد هذه الحقيقة كون القدرة على السمع ليست من المتطلبات الأساسية لتنمية القدرة على التعبير باللغة. وبعبارة آخرى فان عملية اكتساب اللغة، عند الانسان، تشبه عملية اكتساب قدرة المشي على القدمين.

وهذه ألاراء كلها تؤكد التصور المستمد من المصادر الاسلامية بأن القدرة اللغوية موجودة في الانسان، منذ ولادته. وكلما يحتاج اليه هو بعض التمارين لتنميتها وصقلها. وهذا بالضبط مما يميز الانسان عن بقية الحيوانات. ومن جهة أخرى فان اللغة لاتقتصر على كونها قدرات ذهنية للتمييز بين الاصوات (أو الرموز التي

تمثلها) ولكنها أيضا قدرات عضوية متميزة ومرونة في الأجهزة الصوتية، التي تمكنها من انتاج أصوات متميزة دقيقة.(47)

وأمام سكوت المصادر الاسلامية عن طريقة نمو دلالات المفردات، وطريقة نمو الكلمات فيمكن القول بأن النظريات التي تقول بأن اللغة من اختراع الانسان فيها شيء من الصدق أيضا. فالملاحظ أن كثيرا من الأسماء سواء لأشياء مستحدة أو قديمة قد اخترعها الانسان لسبب أو آخر. ومن هذه الأسباب التصميم المسبق ومن هذه الأسباب محض الصدفة.

كما أن علم الصرف يؤكد اختراع الانسان لكثير من التصريفات لهذه الكلمات ولاسيما الأفعال والأسماء مثل كلمة "يهود" بتشديد الواو مع الفتح، و"ينصر" بتشديد النون مع الفتح.

الخلاصــة:

مما سبق ايضاحه يمكننا الوصول الى الاستنتاجات التالية:

أ ـ ان القدرة اللغوية لها مصدرين: القدرة الموروثة والقدرة المكتسبة.

1 - وتتصل القدرة الموروثة بقواعد اللغة، والقدرة على انتاج أصوات متناهية في الدقة، والقدرة على التمييز بينها.

2 - وتتصل القدرة المكتسبة أكثر بالمفردات.

ب ـ وتبدأ المفردات المكتسبة محليا ثم يتم تصدير بعضها الى لغات أخرى.

وتنقسم المصادر المكتسبة المستمرة في النمو الى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

1ـ الوحي الالهي لآدم وغيره من الرسل. وما تعلمه الانسان من هذا المصدر بقي بعضه محفوظا، وانقرض بعضه الآخر أو تبدل فظهر بشكل مختلف في كل مجموعة من المجموعات التي انشقت على الأصل، ثم نمى بشكل مستقل. كما اشتق الانسان من صيغه الاسمية صيغا فعلية، مثل "هود" بتشديد الواو مع الفتحة، و"نصر" بتشديد الصاد مع الفتحة.

2ـ أصوات صدرت من الانسان كاستجابة طبيعية لظروف اجتماعية أو نفسية، أو أصوات طبيعية لجمادات أو حيوانات تطورت الى أسماء، ثم تم استخراج أفعال من بعضها. بعبارة أخرى تطورت هذه الأسماء والأفعال الى مفردات تعارف الناس على استخدامات محددة لها. وهذا النوع من المفردات يبدأ غالبا بأفراد عاديين يستعملونه بطريقة عفوية، ثم ينتشر استعماله بين مجموعة من الناس تربطهم روابط عرقية وجغرافية.

ولعل من الكلمات التي بدأت بصفتها تمثل أصوات أشياء طبيعية الآهة، والأنين، وخرير المياه، وشقشقة العصافير، وهديل الحمام، ومواء القط، وعواء الذئب.3ـ الابتداع المقصود ومن هذا النوع المصطلحات العلمية والفنية التي تبدأ عادة من أفراد قياديين في مجتمعاتهم، أي تبدأ من القمة ثم تنتشر بين صفوف الناس العاديين.

4- هناك نصوص صريحة بالنسبة لنشأ اللغة، وكونها في الآصل لغة واحدة، ولكن ليس هناك أدلة كافية، في المصادر الاسلامية، على أن العربية هي اللغة الأولى. وذلك على الرغم من كون القرآن الكريم نزل بالعربية، وهو من كلام رب العالمين الذي لم يتبدل، ورغم القول بأن العربية هي لغة أهل الجنة.

د. سعيد اسماعيل صيني 18/8/1411 هـ

حواشي الفصل السادس
منشأ اللغة

1 - Fromkin and Robert Rodman, p. 21.

2 - Fromkin et. al. p. 23.

3 - Rousseau, in Salus, ed. pp. 18-25; Fabre.

4 - Fromkin et. al. p. 15.

5 - باي، ص 18.

6 - Rousseau, in Salus; Hewes.

7 - Fromkin et. al. p. 24.

8 - Paget.

9 - Luria, p. 80.

10 - Herder, in Saus.

11 - Fromkin, et. al. p. 27.

12 - Lieberman.

13 - Fromkin et. al. p. 16-17؛ وظاظا، ص 164.

14 - Fromkin. et. al. 17. بتصرف.

15 - سفر التكوين: 9، الاصحاح، 2، 19-20.

16 - Fromkin , et. al. p. 19.

17 - Fromkin, et. al. p. 20-21.

18 - Fromkin et. al. pp 21-22.

19 - سفر التكوين: الاصحاح 11، 1.

20 - الحجر: 28-29.

21 - السجدة: 7-8.

22 - التين: 4.

23 - الملك: 23؛ النحل: 78؛ السجدة: 9؛ المؤمنون: 78؛ وانظر سيد قطب، في ظلال، والصبوني، صفوة التفاسير.

24 - النمل: 74.

25 - البقرة:284.

26 - ق: 16-18.

27 - البخاري، كتاب الطلاق: باب الطلاق المعلق...
28 - سيد قطب، في ظلال. ص 3362-3363.
29 - البلد: 8-10.
30 - البقرة: 30.
31 - البقرة: 31-32.
32 - الصابوني، مختصر تفسير، مجلد 1، ص 51-52.
33 - محمد خان (مترجم)، صحيح البخاري المجلد 6، ص 4-4.
34 - وافي، نشأة اللغة، ص 30-42.
35 - الصالح، دراسات في فقه، ص 20-21.
36 - الأنطاكي، الوجيز في فقه ص 58-60.
37 - الرحمن: 4؛ وانظر الصابوني، مختصر تفسير، وسيد قطب ص 3446-3447؛ وحتى الطيور لها لغتها الخاصة وقد فهمها داوود وسليمان، سورة النمل: 16؛ الرفاعي، تيسير العلي القدير.
38 - الأعراف :20-23.
39 - Chomsky, Syntactic; Language and; Jovanrich.
40 - Herder, Salus, pp. 147-66.
41 - Fromkin, et. al. p.27.
42 - Greenberg, Universals of.
43 - Greenberg, Universals of.
44 - Fromkin, et. al. p. 27.
45 - Schramm, Men, Messages. p. 82.
46 - Fromkin et. al. pp. 347-359.
47 - Lieberman,

د. سعيد اسماعيل صيني 18/8/1411 هـ

الفصل السابع
المنظورالاسلامي للأخبار

لققد تحدث المختصون طويلا في موضوع الأخبار ودرسوه من زوايا فكرية وعقدية مختلفة.

وكان من بين تلك الدراسات بحوث تناولت الموضوع من زاوية اسلامية، مستندة الى نصوص الكتاب والسنة والسيرة. فكان ثمرة هذه الجهود كتابات تناولت تعريف الخبر، وضوابط نشر الاخبار، وأسلوب تحريرها ووظائفها.

ويبدو أن هناك اتفاق بين من تناولوا الموضوع على أن كلمتي "خبر" و "نبأ" هما كلمتان مترادفتان من جوانب كثيرة.(1) أما من حيث التفاصيل فميز بعض هؤلاء - استنادا الى معجم تاج العروس - بين النبأ والخبر حيث خصوا كلمة نبأ بالخبر العظيم، أو الخبر الذي يتعرى عن الكذب، أو الاخبار بالأمور الغائبة. وتردد البعض بين القولين ولم يحاولوا حسمه أو لم يأتوا بدليل حاسم يقوم بالترجيح.(2)

وزاد عزت بأن الخبر للأحداث القريبة الوقوع أما النبأ فللبعيدة الوقوع، وقيد الاحداث بأنها حصلت في الماضي - في موضع - ثم عاد فاتفق مع شلبي في احتمال كون الخبر مما سيحدث في المستقبل أيضا.(3)

ومن حيث الضوابط فهناك اتفاق على ضرورة الصدق والموضوعية في جمع الخبر ونقله. وأضاف عزت عنصر الحكمة مثل الرفق وتجنب استخدام السب، و اجتناب الجهر بالسوء، و لاسيما في أخبار الجرائم والجنس، وضرورة الاخلاص والتقوى والصبر.(4) كما اشار الى بعض الوسائل التي تزيد من فعالية الخبر مثل حسن التوقيت لنشر الخبر.(5)

ويؤكد شلبي ما ذهب اليه عزت من أهمية حفظ الاسرار ومنها أسرار مصادر الحبر ويضيف ضرورة الحصول على الخبر بالوسائل المشروعة ومشروعية استخدام الاشاعة ضد العدو.(6)

أما عن فن كتابة الخبر فقد لقي اهتماما خاصا في كتاب "دراسات في فن التحرير الصحفي". حيث عرض مؤلفه القوالب المعروفة في التحرير الصحفي و ضرب عليها أمثلة من القرآن الكريم. شملت هذه أنواع المقدمات Leads وتكوين الخبر والخاتمة(7)

ويلاحظ أن وظائف الاخبار كما حصرها شلبي في أكثر من عشرين نقطة بعضها مكرر(8) لا تخرج عن التحذير والتعليم والاقناع والدفاع عن الاسلام اما بمهاجمة أعدائه أو بكشف أسراره.

مشكلة الدراسة:

مما سبق يبدو أن تعريف الخبر لا يزال في حاجة الى كلمة فصل، كما أن طريقة التعامل مع الخبر الذي نستقبله يحتاج الى تفصيل، ووظائف الخبرتحتاج الى مزيد من التركيز، وموضوعية الخبر في حاجة الى المناقشة.

فهدف هذه الدراسة اذا هو استنباط بعض المفاهيم الاسلامية المتصلة بطريقة التعامل مع الاخبار للاجابة على التساؤلات التالية:

ما هو المقصود بالاخبار؟ كيف يتعامل الانسان مع الأخبار التي يتلقاها؟ وبشكل عام، أي أنواع الأخبار ينشر، وفي أي الظروف، وبأي أسلوب؟ وماهي الموضوعية من المنظور الاسلامي؟

المعالم الرئيسة للمنهج:

التزم الباحث في هذه الدراسة اضافة الى القواعد العامة الموجودة في المقدمة مايلي:

1 - ليست هناك نصوص مباشرة تزود ناشر الخبر بأساليب فنية محددة، ولكن لأهمية الخبر نلاحظ أن هناك نصوص كثيرة تمثل جانب الضوابط العامة وهي التي سوف تتناولها الدراسة بالاستنباط.

2 - سيلجأ الباحث الى الاستقراء عند استناج بعض قواعد التحقيق، وعند تحديد معالم الموضوعية.

3 - الاقتصار على القواعد العامة، دون التوغل في القضايا الفقهية المتصلة بعقوبة القذف والنيل من الأعراض. وذلك لأن القضايا الفقهية متشعبة

4 - عدم الخوض في القوالب الفنية لصياغة الخبر لأسباب منها أنها هذه تحتاج الى درلسة خاصة بها.

نتائج الدراسة:

سيتم التحدث فيما يلي عن التعريف المستنتج من النصوص القرآنية والحديثية للخبر، والوسائل المتصلة بالتحقيق، الاتجاه العام للضوابط، حالات النشر، والموضوعية.

<u>التـــــــعريف:</u>

ورد عند استعراض الدراسات السابقة أن هناك فرقا بين كلمتي: "خبر" و"نبأ" من حيث ضخامة الحدث ومن حيث قرب زمان وقوعه وبعده،وفي قول أنهما تعبران عن حدث وقع في الماضي.

وعند استعراض الآيات التي وردت فيها كلمة "خبر" بفتح الخاء وجمعها "أخبار" و"نبأ" وجمعها " أنباء" نجد في هذا القول شيئا من الحقيقة فى الوهلة الأولى.

بيد أنه عند استحضار سورة "النبأ" نجد كلمة "نبأ" تتحدث عن حدث عظيم، يقع في المستقبل البعيد نسبيا، جمعها في آية أخرى(9) تعني الاحداث القريبة العادية.

ومن جهة أخرى نجد كلمة "أخبار" في سورة الزلزلة (10) تتحدث عن ما وقع على ظهر الارض منذ بدء الخليقة من أحداث، بما فيها الاحداث العظيمة. وهكذا يظهر أن الكلمتين مترادفتان من جميع الجوانب. ولو كان النبأ خاصا بالخبر العظيم فربما لم تكن هناك حاجة لقول "النبأ العضيم".

والاعلاميون في تعريفهم لكلمة "خبر" News لا يختلفون عن ما ورد في قواميس اللغة العربية، وعن المعنى الوارد في القرآن الكريم من حيث كون الخبر وصفا لواقع من المفروض أن يكون صحيحا، وكون الأخبار قد تكون عن مخلوقات بشرية وغير بشرية،أو أحداث.(11)

غير أن الاعلاميين قد يضيقون دائرة المعنى قليلا فيشترطون الحداثة في الوقوع غالبا، و قليلا مايكون عندهم حدثا مستقبليا كالاخبار التي تبدأ ب"سوف" أو "من المتوقع"... كما يشترطون خروج الواقعة عن المألوف بشكل أو آخر، وأن يكون ذا أهمية لمجموعة من الناس،كما أشار "قيفن" Given عام 1907 و "ليبمان Lippman " عام 1922 .(12)

بهذا نلاحظ أن الخبر في المنظور الاسلامي أكثر شمولا، اذ يشمل الوقائع في الماضي السحيق والمستقبل البعيد.

ولكن يلاحظ أن النصوص لاتشير الى مصطلح التاريخ. فالتاريخ جزء من الأخبار. ونظرا لنمو المعارف البشرية وتوسعها والحاجة الملحة لتقسيمها الى فروع وتخصصات يمكن التعامل معها عند عملية الدراسة أو التعليم فقد يكون من المناسب الأخذ بتعريف الاعلاميين من حيث الأبعاد المانية، ولاسيما بالنسبة للماضي أو شرط الحداثة في الوقوع.

وقد يبدو من المناسب أيضا عدم اقحام الأخبار الغيبية مثل يوم القيامة وماشابهها للأسباب التالية:

1 - الغيبيات التي يؤمن بها المسلم هي حقائق ربانية المصدر، ولا تحتمل الخطأ بتاتا بالنسبة للمسلم. أما الأخبار التي يجمعها البشر فهي تحتمل الخطأ من حيث صدق الخبر كله أو بعض تفاصيله.

2 - في مجال الاتصال البشري ما يعنينا هي الأخبار بشرية المصدر.

أما الأخبار الغيبية عند المسلمين فهي خاصة بالمسلمين ويقابلها في الديانات الأخرى غيبيات مثلها.

3 - الهدف من هذه الدراسة هو التوصل الى تصور، عالمي السمة، رغم كونه مستنتج من المصادر الاسلامية التي يؤمن بمصداقيتها المسلمون فقط.

والأخبار ، حتى بشرية المصدر، ذا خطر كبير في حالات كثيرة. لهذا ولغيره يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتحقق من الاخبار ليحموا أنفسهم من مغبة الوقوع في فخاخ الأخبار الكاذبة.

اذ يقول تعالى عن ضرورة التحقق:

(يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)(13).

ولعل أحدا يقول ان هذه الآية انما هي خاصة بالأخبار التي يأتي بها الفاسق. ولكن عندما نعود الى سياق الآية وأسباب النزول المتعددة نجد أنها جميعا لاتشير الى الرجل الفاسق حسب علمنا نحن البشر، وانما حسب علم الله الذي لا تخفى عليه خافية. لهذا فالصواب أن نقول بأنه يجب أن نتحقق من أخبار أي مخبر عدالته أو درجة مصداقيته مجهولة لدينا.

قواعد للتحـــقيق:

ان عملية التحقق من الأخبار أو المعلومات ليس بالأمر السهل، ووضع قواعد للتحقق، مفصلة ومضمونة النتائج أمر هو أقرب للاستحالة منه الى التحقيق. ولكن الاسلام ،بصفة عامة، يزودنا ببعض القواعد التي يمكن استنتاجها، بالاستنباط أو الاستقراء، من القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويغلب على بعض هذه القواعد أنه نقلي والبعض الآخر يغلب عليه أنه عقلي، ويمكن حصر هذه القواعد فيما يلي:

1 - رد الخبر الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
2 - اقرار المعني بالخبر واعترافه.
3 - الرجوع الى شهود العيان.
4 - مقارنة الخبر بالسمة البارزة المشهورة للمعني بالخبر.
5 - الاحاطة بملابسات الخبر و تطوراته.
6 - الحذر من المبالغة.

أولا- رد الخبر الى الله ورسوله:

من تلك القواعد المتعددة قوله وتعالى:

(و اذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به. ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم. ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا).(14)

انطلاقا من هذه القاعدة فان المسلمين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعودون اليه للتحقق فيما قد يصل الى أسماعهم من أخبار. فماذا عن اليوم؟ في الحقيقة، حتى نحن اليوم نستطيع ذلك، ولكن بطريقة أخرى. هناك القرآن الكريم وهناك السنة الموثقة، نعود اليهما. كما أن أولي الأمر من ذوي السلطان، والعلماء المتخصصين في كل مجال متوفرون نستطيع الرجوع اليهم. كل في مجال تخصصه يستطيع ان يميز الخبر الذي يحتمل الصدق عن غيره.

والاستعانة بالقرآن الكريم والسنة في التحقيق يتم بمعارضة محتوى الخبر بما جاء فيهما من نصوص صريحة فنقبل ما يوافقهما ونرفض ما يعارضهما ونحقق ما سكتا عنه بوسائل أخرى.

ومثال الأول أن يأتي مؤرخ برواية يتعارض مضمونها مع مضمون ما ورد في القرآن الكريم أو السنة مع أنهم جميعا يتحدثون عن الواقعة نفسها والشخصيات نفسها.

أو أن يأتي انسان بنظريات "علمية" تتعارض مع النصوص الصريحة في القرآن أو السنة .

وحتى في حالة عدم وجود نصوص صريحة تتصل مباشرة بالموضوع رهن التحقيق فان القرآن والسنة يقدمان قواعد عامة نستفيد منها في التحقيق كما سيتضح عند الحديث عن القواعد الاخرى.

ثانيا- اقرارالمعني بالامر واعترافه:(15)

يأتي هذا الدليل في صورة المقالات التي يكتبها الانسان أو التصريحات التي يدلى بها، سواء كانت شفهية أو مكتوبة. وهذا الدليل كاف في العادة ولكن قد لايتوفر وقد ينكره المصرح به عند التحقيق اذا كان الخبر سلبيا. وقد أصبحت مهمة التحقق هذه ميسورة نسبيا، بسبب وجود المندوبين الصحفيين في مواقع مختلفة وتوفر وسائل الاتصال كالهاتف والفاكس وغير ذلك.

الشـــــهود:(16)

ترتبط قوة هذه الحجة أو الدليل -عادة- بعدد الشهود ودرجة عدالتهم (17).

وقد قامت هذه القاعدة في التحقيق بدور حاسم في تحقيق السنة النبوية والرويات التاريخية(18). ويعود الفضل في تطوير هذه القاعدة الى علماء الحديث. فعلى أيديهم أصبحت هذه القاعدة علما مستقلا له شأنه، وأهميته، تفرع الى علوم أخرى منها علم الاسناد وعلم الجرح والتعديل. فقد تم جمع تراجم عديدة لرواة الحديث للتعرف على أخلاقهم وكفايتهم العلمية وميولهم واتجاهاتهم ومستوى تطبيقهم لتعاليم الدين الاسلامي والتزامهم بمبادئه. وفي ضوء هذه التراجم أمكن تعديلهم أو جرحهم ليتم في ضوء ذلك تقدير مصداقية الخبر المنسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريقهم.

ولكن مع الأسف اختار بعض المؤرخين الطريق السهل وتجاهلوا هذه القاعدة في جمعهم المعلومات التي ضمنوها بطون كتبهم، فكانوا ضحايا سهلة للرويات المزيفة(19). وكانت قاعدتهم في الجمع هي حصر كل مايتفق مع التوجه الشخصي أو ما يصل الى الأذن أو تقع العين عليه. وجمع حشد آخر ما هب ودب من الرويات المتعارضة والمتناقضة فيما وضعوه من كتب تاريخية غير أنهم حرصوا على الاشارة الى اسانيد تلك الروايات (20).

ونقل بعض المؤرخين المتأخرين من تلك الروايات دون محاولة للبحث في أسانيدها فلم يستفيدوا من قواعد علماء الحديث. بل اعتمد بعضهم على مصادر ثانوية خلت من الاشارات الكافية الى المراجع الأصلية، او خلت من الاشارة الى المراجع كلية. وكانت النتيجة الحتمية لهذا الاهمال هي الدوران في حلقة مفرغة من المصادر الثانوية المتعددة التي تشير الى الرواية المزيفة نفسها. وهي في الأصل رواية واحدة من الروايات التي أوردها مصدر واحد.

ومما زاد الطين بلة أن بعض المؤرخين المتأخرين اعتبروا هذا التعدد في المصادر الثانوية نوعا من التواتر فاحتجوا به على صدق الرواية المزيفة.

ومن المؤرخين المتأخرين من انتقى من المصادر المتوفرة ما يتفق مع موضوع الكتاب الذي يؤلفه. فجمع كثيرا من القصص المزيفة التي تسند اعجابهم بشخصية الكتاب الذي يعدونه.

وفاتهم أن تلك القصص نفسها تزري بشخصية أخرى يحترمونها ويخططون لاعداد ترجمة لها. ثم نجد المؤلف نفسه عندما يأتي الى الكتابة عن الشخصية الأخرى يغض النظر عن القصة التي استخدمها من قبل لأنها تزري بمن يكتب عنه. بعبارة أخرى يتعمد أو يضطر الى معاملة كل كتاب من مؤلفاته على أنه عمل مستقل يجوز التناقض بينه وبين غيره.

وقد قيض الله للتاريخ الاسلامي وبخاصة الفترة الحرجة منها من بذل الجهود الطية في تحقيق رواياته، فظهرت بذلك براءة كثير من الشخصيات الاسلامية البارزة من التهم التي ألصقها بهم أعداء الاسلام وجهالهم. ومن هذه الجهود -على سبيل المثال- منهاج السنة لابن تيمية (21)، والعواصم من القواصم لابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب له (22)، وأبا طيل لابراهيم شعوط وعثمان (23) وغير ذلك.

والحقيقة ان المؤرخين المهملين بتقاعسهم عن التحقيق فيما كتبوه أسهموا لا شعوريا في ترويج الأفكار والعقائد المنحرفة، وعارضوا الحقائق الراسخة التي يؤمن بها هؤلاء الكتاب أنفسهم.

ولعل من أبرز النتائج التي تمخضت عن ذلك الاهمال هي ترويج بعض الروايات التي تدور حول قضية الخلافة السياسية الدينية التي أقحم فيها أمير المؤمنين علي وابنه الحسين -رضي الله عنهما- ظلما وافكا.

وهي روايات حاكها أعداء الاسلام فأوجدت عقيدة منحرفة أريد بها اضعاف المسلمين وتشويه دينهم فوقع ضحيتها بعض المسلمين من الأبرياء، واستغلها الشعوبيون والقبليون الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم. ففي الكتابة عنهم قام بعض المؤرخين بجمع ما هب ودب من الأحاديث والأخبار المزيفة وغير المزيفة فوقعوا بحسن نية في مزالق خطيرة حيث كذبوا بطريقة مباشرة وغير مباشرة حقائق ثابتة يؤيدها القرآن الكريم والسنة الموثقة، بل وحتى منطق الفطرة السليمة فتسببوا في تشويهات جسيمة لوجه العصورالذهبية من التاريخ الاسلامي.(24)

وهكذا وقع كثير من المؤرخين في مخالب أعداء الاسلام والمتطرفين من كل ذي هوى ونحلة والذين كان أكبر هدف لهم هو القضاء على الاسلام والكسب من وراء الفتن التي يثيرونها بين المسلمين.

وعلى أية حال فانه يجب أن نلاحظ أن امكانية استثمار منهج المحدثين في تحقيق الأحداث التاريخية محدودة، ويعود هذا الى ثلاثة أسباب رئيسة:

1 - أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله معلنة أمام الناس بما في ذلك كثير من جوانب حياته الخاصة، فهي اما نماذج يجب أن يحتذى بها واما تعليمات يجب أن يطبقها المسلم للفلاح في الدنيا والآخرة. وهو -صلى الله عليه وسلم- مأمور باظهارها للناس فهي ليست أسرارا يحرص على اخفائها أو التمويه عليها و هي ليست صفاتا لا تتوافر في الواقع فيضطر الى ادعائها أو التظاهر بها مما يجعل عملية التحقيق صعبة.

2 - أفعاله عليه الصلاة والسلام نماذج و أقواله و اقراراته أوامر وارشادات. لهذا فان المسلم عندما يكون في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن يكون متيقظا لما يفعله الرسول ويقوله أو يقره. ولهذا حرص بعض الصحابة على التناوب للمثول في حضرته.(25) كما كانوا يسألون أمهات المؤمنين، ومن كانوا يقومون على خدمته، حتى لا يفوتهم شيء مما يجب معرفته.

بينما حياة الشخصيات التاريخية الأخرى مهما بلغت عظمتها لا تحظى بمثل هذه الأهمية، و بالتالي لا تلقى مثل هذا الاهتمام. أما حياة العوام من الناس فقلما يلتفت اليها الناس، ولهذا لا نعجب اذا وجدنا مئات الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يروون أقوال النبي عليه الصلاة والسلام بعباراتها ويروون أعماله بتفاصيلها، بينما تتضارب الروايات بالنسبة للأحداث التاريخية الأخرى، حتى البارزة منها.

3 - لقد كان التواتر في الماضي دليلا قويا ولكن اليوم مع وسائل الاعلام الكاسحة أصبحت قضية التواتر تختلط في أذهان الناس بسهولة بالتعدد السطحي لوسائل الاعلام التي تذيع الخبر الواحد وبالصيغة الواحدة. فعندما تردد جميع الاذاعات ومحطات التلفاز و الوسائل المطبوعة الخبر نفسه، فانها توحي الى مستقبل الخبر أن هناك اجماعا يؤكد صحة الخبر. غير أننا عندما نتدبر الأمر ونبحث عن جذورالخبر، قد نجد أن وراء كل هذا التعدد مراسلا واحدا لوكالة أنباء واحدة أو رجل علاقات عامة واحد. وهذا يختلف تماما عن مفهوم التواتر في أصول الحديث حيث يتعدد الرواة في الجذور ويستمر هذا التعدد من جيل الى جيل.

و نظرا لهذا التعدد الخادع الذي ينتج عن تعدد وسائل الاعلام يتخيل الانسان أن المصادر الأصلية أيضا متعددة. وقد يتخيل أنه سمع الخبر من مصادر أصلية أخرى غير وسائل الاعلام الجماهيرية. وهذا يحصل خاصة عندما يكون الانسان متحمسا لذلك الخبر.

و هذا بالطبع يعني استحالة الوصول الى الاصل الصحيح لكل خبر في هذا العصر فليحذر المسلم الكيس من الوقوع في شراك الأخبار التي يروجها الأعداء؟

رابعا - السمة البارزة:

هذه القاعدة في التحقيق تعتمد -الى حد ما- على القواعد السابقة يلجأ اليها في غياب القواعد السابقة. فهي من البراهين العقلية التي تستند الى النقل غير المباشر. وهي بشكل عام تستند الى حديثين : الحديث الأول يشير الى أن الانسان قد يتقمص - أحيانا- صفة من الصفات الحسنة أو السيئة. ثم ينتهي الامر الى أن تصبح هذه العادة سمة بارزة فيه. وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم:(26)

"... وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا،
... وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا."
(متفق عليه).

أما الحديث الثاني فيشير الى أن الشهود العدول لا يخطئون السمة العامة أو التوجه العام للاشخاص، سواء كانت صلاحا أو فسادا. فقد روى أنس رضي الله عنه:(27)

"مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي صلى
الله عليه وسلم: "وجبت"، ثم مروا بأخرى فأثنوا
عليها شرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وجبت".
فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ فقال:
"هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم
عليه شرا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في
الأرض." (متفق عليه)

وترتكز هذه القاعدة التي يلجأ اليها كثير من المؤرخين تلقائيا الى حقيقتين :

1 - قصص وروايات كثيرة تشير الى أن انسانا محددا يميل الى الخير أو الشر.

2 - العديد من شهود العيان يقررون أن انسانا محددا هو أقرب الى الخير منه الى الشر.

و مثال ذلك : اذا كانت أكثر القصص والشهود الذين يتمتعون بمستوى مقبول من العدالة يشيرون الى صلاح رجل معين بينما الخبر موضع التحقيق يشير الى فساده، فاننا نرفض هذا الخبر. أما اذا كان الخبر يبدو متوائما مع معلوماتنا السابقة فاننا نقبله الى أن يثبت عكس ذلك بالوسائل الأخرى للتحقيق.

ولما كان العفو عن شخص مذنب خير من عقاب انسان بريء، فان ترجيح كفة هذه القاعدة على الشهود الآحاد يبدو جليا وبخاصة فيما يتصل بالشخصيات التي انتقلت الى رحمة الله. و لا شك أن لكل قاعدة حالات استثنائية.

ومن الحالات الاستثنائية حالة الانسان الذي يروي أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أو ينقل فتاوي عن العلماء الاجلاء والصفة الذميمة المتهم بها وان خالفت سماته العامة فهي متصلة مباشرة بعملية الجرح والتعديل. وذلك كأن تكون

التهمة هي الكذب أو النفاق أو فقدان الذاكرة أو ماشابهها مما يعرض رواياته الى الشك. وفي هذه الحالة فان الاحبار المتعارضة مع سمته العامة يجب أن تكون ذات مصداقية عالية، حتى يمكن قبولها.(28)

خامسا -الالمام بظروف الحادثة وتطوراتها:

كماأن الله يأمرنا بالتأ كد والتبين من صحة الخبر الذي نتلقاه فانه ينهانا أيضا عن الخوض فيما ليس لنا به علم. فالتبين من صدق الخبر لا يكفي، اذ لابد من الالمام بظروفه مثل اسبابه وملابساته. وبالنسبة للروايات التاريخية فانه يجب أيضا معرفة تطوراته.

فكثيرا ما يؤدي الغاء الأسباب والتطورات الاخيرة الى قلب الحقائق رأسا على عقب. فتبدو الفضيلة رذيلة و الرذيلة فضيلة. ولعل خير مثال يوضح هذه الحقيقة ما ورد في صحيح البخاري من حوار بين عبد الله بن عمر رضي الله عنه ورجل من مصر حول بعض الحقائق التي تمس حياة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه(29).

"لقد روى عثمان بن موهب أنه جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القوم ؟ فقالوا هؤلاء قريش، قال فمن الشيخ فيهم؟ قالوا عبدالله بن عمر، قال يابن عمر اني سائلك عن شيء فحدثني عنه. هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، فقال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فاشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ان لك أجر رجل ممن شهد بدرا و سهم. أما تغيبه عن بيعة الرضوان فلولا كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان الى مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى. هذه يد عثمان فضرب بها على يده، فقال هذه لعثمان، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك."

لو وقف المسلم عند الحقائق الأولى للأحداث الثلاثة فربما خرج بفكرة سيئة عن الخليفة الذي تستحي منه الملائكة و الشهيد المبشر بالجنة، والذي تزوج بابنتين لرسول رب العالمين.(30) ولكن بمعرفة بقية الحقائق عن تلك الأحداث الثلاثة زال ذلك اللبس وزادت نصاعة صورته في ذهن القاريء.

سادسا-المبالغة والطبيعة البشرية:

ومن بين قواعد التحقيق الأخرى التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم و السنة هي حاجة المحقق الى معرفة الطبيعة البشرية، فالانسان مجبول على تذكر محاسنه الشخصية و فضائل من يحبهم، وغالبا ما تدفعه هذه الفطرة تلقائيا الى المبالغة

في وصف تلك المحاسن أو تخيلها. والانسان أيضا مدفوع بالفطرة الى تتبع مساوىء من يكرههم والى غمط فضائلهم، وربما دفعه ذلك الى تضخيم رذائلهم.

ولنا في قصة امرأة العزيز مع يوسف عبرة حيث أدخلته السجن دفاعا عن نفسها ولكنها أقرت بخطئها حيث ورد عن لسانها في القرآن الكريم قولها:

((وما أبريء نفسي، ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي، ان ربي غفور رحيم)).(31)

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر(ذي حقد وشحناء) على أخيه، ولا تجوز شهادة القانع (الخادم المنقطع للخدمة) لأهل البيت." رواه أحمد وأبو داود(32)

فالحديث هنا ينطلق من المعرفة الجيدة للطبيعة البشرية، فالحاقد كالمحب قد يشط في شهادته. اما أو بالتحيز ضد من يحقد أو بالتحيز لمن يحب.

وتهذيبا لهذا التوجه فاننا نجد القرآن الكريم ينهى عن تزكية النفس في قوله تعالى: ((فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى))(33)، ونهى عن السخرية بلآخرين والتنزيه للذات من العيوب وذلك في قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم، عسى أن يكونوا خيرا منهم...)).(34) كما نهت السنة النبوية عن المبالغة في الثناء (35) وعن الكراهية التي تؤدي الى شتيمة الخصم ولعنه من المنهيات بل ويعدها الاسلام من المحرمات بين المسلمين(36).

والقاعدة التي يمكن استنباطها من هذا كله هو أنه يجب علينا أن نتوقع مدح الانسان نفسه وذم الانسان أعداءه مع شيء من المبالغة، قد تكون مصحوبة بالكذب المتعمد.

ان القواعد السابقة قد تعين -بعض الشيء- على تحديد السمات العامة للشخصيات المختلفة أو الوقائع الرئيسية للأحداث، بيد أن التفاصيل غالبا ما تبقى محاطة بالغموض والتناقضات.

فلو أخذنا أي حدث أو شخصية ثم حاولنا التعرف على الحقائق التفصيلية التي تحيط بها سنجد أنفسنا غارقين في قصص متناقضة عديدة. فأيا منها نصدق ونأخذ؟ وبخاصة -اليوم- مع الأساليب المتطورة في الخداع والتضليل؟

فعملية مونتاج بدائية يمكن أن تضع على صوت الانسان كلاما لم يقله الا أن فقرات ذلك الكلام مما قاله.

مثال ذلك أن تقول: "لعنة الله على الشيطان." في مناسبة من المناسبات؛ وتقول في مناسبة أخرى: "بارك الله في "فلان" و جزاه خير الجزاء." تقصد صديقا أحسن اليك فتدعوا له.

فيأتي وغد لئيم ويقطع اسم صديقك من الجملة الثانية ويضعها مكان كلمة "الشيطان".

هذا عدا التقليد المتقن للأصوات، وهذا عدا القدرة على تأليف كلام من مقاطع لأحرف نطق بها الانسان. وعملية الخدع التصويرية في تأليف المناظر

معروفة. فقد يضطر المخرج البارع الى تصوير دور كل ممثل على انفراد ثم بعملية المونتاج الماهرة يظهرهما في المسلسل يتحادثان أو يتحاوران أو يتشاجران معا.

لهذا يجب على المسلم أن يحذر من الجرأة في اصدار أحكام تدين الشخصيات التاريخية، بصفة خاصة، بالخطأ معتمدا في ذلك على بعض الروايات التاريخية. وينبغي للمسلم أن لا يصدق أو يؤمن بهذه الروايات التاريخية والأخبار- حتى الحاضرة منها- تصديقه وايمانه بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الموثقة.

وينقل بن تيمية عن الامام أحمد بن حنبل قوله:" ثلاثة أمور ليس لها اسناد: التفسير والملاحم والمغزي" وأن معظمها من المراسيل.(37)لهذا لا يعول على تلك المصادر في اصدار الفتاوي أو ألاحكام الشرعية ما لم توثق حسب قواعد التوثيق في أصول الحديث أو تسندها روايات موثقة.

ولما كان من الجور اصدار أحكام الادانة على أي انسان الا بالمحاكمة العادلة حيث الخصم والمتهم أو من يمثلهما حاضران وشهودهما. ومن باب أولى أن نخوض في أعراض المسلمين الأموات فكيف بمحاكمتهم. والأسلم في ظروف لا تتوفر فيها شروط المحاكمة العادلة هو أن نصدر حكما بالبراءة بدلا أن نصدر حكما بالادانة، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم(38): "لئن يخطأ الحاكم في العفو خير له من أن يخطأ في العقوبة".

وكل ما نستطيعه في مثل هذه الظروف هو أن نعلن بأن العمل المعين الذي سمعنا به خطأ أو صواب أو يحتمل الاثنين. بيد أنه ليس من حقنا أو في مقدورنا أن نعلن بالتأكيد أن الذي قام به كان على خطأ ويأثم. وهذا ينطبق بخاصة على الأمور التي يختلف فيها الناس حيث تتعدد الروايات وتتعارض فيختلط الحابل بالنابل ويصعب حينئذ تمييز الحق فيها من الباطل.

وحتى عندما نكون متأكدين بأن الشخص ذاته قد ارتكب خطأ فاننا لانستطيع الخوض في الدوافع التي جعلته يرتكب ذلك وليس لنا أن نسيء الظن به فقد تكون الأسباب خارجية وقاهرة والغيب لا يعلمه الا الله. ويجب ان لا ننسى أننا أحيانا نفشل في تقصى الحقائق والوصول اليها مع توفر كل شروط المحاكمة العادلة، فكيف في ظروف لا تتوفر فيها مثل هذه الشروط.

وحتى عندما يكون خطأ أحد الطرفين مؤكدا يجب ان لا نكون من الجهل بحيث ندين أحدهما ونحكم عليه بالجرم وننسى احتمال كون الاثنين مصيبان فيما ذهبا اليه، كل حسب نيته ووجهة نظره. قد يبدو لعلمنا البشري القاصر أن أحدهما كان مخطئا ويستحق العقاب، ولكن بالنسبة للعلم الالهي و العدل الالهي قد لا يكون كذلك. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (39): "اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر". وما ينطبق في حال الحاكم الذي يجتهد للآخرين ينطبق في حق الفرد الذي يجتهد لنفسه.

لهذا فاننا يجب أن لانستبعد كون الطرفان كانا مخلصين في نواياهما وحريصين على الوصول الى الحق وبذلا قصارى جهودهما في سبيل الوصول اليه.

واذا كان هناك حاكم أو قاضي جدير بحسن الظن بدوافعه فان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يستحقون مثل هذا الظن و قد رضي الله عنهم وتوفى رسوله وهو عنهم راض . و كل ما نستطيع قوله هو أن هذا القرار أو ذك كان أقرب البالصواب من الآخر. لا نشك في حسن نواياهم و نسأل الله المثوبة لهم والعفو عنهم، ثم نحرص على تجنب ما بدا لنا أنه أقرب الى الخطأ.

وهذه القاعدة يجب أن تشمل جميع من انتقلوا الى رحمة الله و الأحياء الذين لا نستطيع محاكمتهم في ظروف تتوفر فيها شروط المحاكمة العادلة.

ولكن -في الواقع- ما أسرع الانسان الى اصدار أحكام الجناية على الآخرين بمجرد قراءة خبر واحد عنهم قد يكون مصدره عدو متحيز.

ويجب أن نميز بين الحذر المبني على الشك أو التردد بين احتمالين متساويين من جهة، والظن الذي يرجح صدق الخبر السلبي الذي لم يثبت بعد من جهة أخرى.

<u>الموقف العام من النشر:</u>

ويشمل النشر ما ينشئه الانسان من أخبار أو يتلقاه من الآخرين. ومن يقرأ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بقواعد النشر فانه يخرج بانطباع أن النصوص عموما لا تشجع على النشر بالمفهوم الذي تطبقه وكالات الأنباء وصحف اليوم. فنشر كل شيء يهم الناس ويجذب انتباههم مليء بالمحاذير.

اذ يحذر الله المسلم من نشر الأخبار السيئة الضارة في قوله تعالى:

((ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)).(40)

وفي آية أخرى يقول تعالى: ((و الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا و اثما مبينا)).(41)

هذا هو مصير من يروج أخبارا كاذبة ويذيع أخبارا تؤذي الناس الأبرياء. بيد أن الاسلام - لا يشجع نشر الاخبار السيئة عموما حتى عندما يكون الخبر صحيحا اذ يقول الله سبحانه وتعالى: ((لا يحب الله الجهر بالسوء الا من ظلم وكان الله سميعا عليما)).(42)

وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت ان كان في أخي ما أقول؟ قال: ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته).(43)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".(44) وهذا يشمل الاساءة باللسان غيبة أو مواجهة وسواء كان يشير الى صفة ذميمة موجودة او غير موجودة، حتى لو كان الاسلوب ليس أسلوب سباب.

كما يحث الرسول صلى الله عليه وسلم على ستر عيوب الناس، بقوله: "ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة".(45)

ليس هذا فحسب بل ان الاسلام يحرم على المسلم أن يكشف ستر نفسه، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "كل أمتي معافى الا المجاهرين، وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول يا فلان ، عملت البارحة كذاوكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عليه) متفق عليه.(46)

والصفات التي يتم نشرها قد لا تكون سلبية ومع هذا يمنع الاسلام من نشرها مثل كشف الانسان المحاسن المخبوءة للمرأة، والكشف عن أسرار العلاقة الزوجية. وذلك لأن فيه افشاء للسر وكشف للعورة.(47)

والمسالة لا تقف عند هذا الحد فاللغو عموما سواء كان مما يضرالآخرين أو لايضرهم، ومما يتسم مضمونه بالسوء أو لا يتسم بالسوء أمر منهي عنه. فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان " ينهى عن قيل وقال" وأنه قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"، وقال: "ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم"، أي نشر كل ما يسمعه مما لايعلم صحته ولا يظنه.(48)

أما اذا كان المضمون غير موثق فالأمر أشد وترك اللغو بما في ذلك تناقل الاخبار غير الضروري يصبح محظورا، اذ يقول تعالى : ((و لا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا.))(49)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع".(50)

غير أنه هناك حالات نجد فيها ضرورة لنشر بعض المعلومات حتى تلك التي تتخذ طابع التقويم والنقد أو التي فيها اساءة للآخرين.

ففي مجال التعليم هناك علوم دينية ودنيوية، تسهم في سعادة البشر في الدارين لا بد من نشرها. مع أنه عندما ندعو الى التوحيد مثلا لانملك الا أن ننكر مظاهر الشرك كلها وندين فاعليها.

والعادات والتقاليد الصالحة لا بد من نقلها من جيل الى جيل، والدعوة الى سبيل الله والذود عن المعتقدات الأساسية لابد منه.

أما في مجال الأخبار فان عملية ايجاد الوعي بما يجري حول الانسان وفي بيئته يبدو أمرا ضروريا. وفي كل ذلك لا نسطيع تجنب نشر أخبار قد يستاء منها البعض، وهذا البعض قد يكون من المسلمين أو من غير المسلمين.

حالات نشر الأخبار:

لقد تقدم في التعريف بالخبر أنه -من المنظور الاسلامي- يشمل كل وصف لموجود في الماضي أو الحاضر أو المستقبل مما يتناقله الناس. لا يختلف في ذلك ان

كان الموجود انسانا أو حيوانا أو جمادا أو حدثا... كما تمت الاشارة الى أن الله خلق الناس مختلفين عموما ليتعارفوا. و عمليات الاتصال أو نشر الأخبار انما هي من وسائل هذا التعارف ولكن ماهي أهداف نشر الأخبار من المنظور الاسلامي، وماهي الوظائف التي يمكن رصدها من خلال استقراء المجتمعات الاسلامية في الماضي والحاضر.

أهداف نشر الأخبار:

عند اسقراء المصادر الاسلامية نجد أن الاسلام يحث على عملية نشر الأخبار وتداولها بشروطها المشار اليها سابقا. وذلك لتحقيق بعض الأهداف التي يمكن استنباطها مباشرة من بعض النصوص أو استقراءها بطريقة غير مباشرة من نصوص أو ممارسات غير مباشرة.

أ - من الأهداف تحقيق التعارف بين الناس(51) ومع التعارف يكون تبادل المعارف النافعة والخبرات المفيدة.

ومن الأهداف خدمة المجتمع الاسلامي بالمساهمة في عملية تنظيم العلاقات بين افراده وحفظ حقوقهم كما هو الحال في نشر أخبار الزواج والولادة(52) واشتراط الشهود في عقود النكاح والبيوع وكتابة الوصية...(53).

ب - ومن الأهداف العبرة مما حصل ويحصل للآخرين من عواقب سيئة لاتخاذهم قرارات غير موفقة. ويمكن استنباط هذا المعنى من قوله تعالى: ((لقد كان في قصصهم عبرة لألي الألباب، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)).(54)

وكذلك ما يمكن استنتاجه من الأمر بنشر أخبار العقوبة(55).

وفي جميع الأحوال فانه ليس من أهداف الأخبار تقديم أدلة كافية لمحاكمة الآخرين، وذلك لأن المحاكمة لها شروطها الخاصة التي يجب أن تتوفر لكي تكون المحاكمة عادلة وذات معنى، كما تم بيانه سابقا.

ويمكن استنباط ذلك من تأكيد القرآن الكريم بأن قصص الغابرين ليست لمحاكمتهم في قوله تعالى، في موضعين من القرآن الكريم:

((تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون.))(56)

ولا يستثنى من قاعدة تجنب اصدار الأحكام على الآخرين الا أولئك الذين أصدر الله تعالى ورسوله أحكاما بصددهم مثل وصف بعض الأقوام الغابرة أو بعض الافراد بالظلم وباستحقاق اللعنة. فالله جل وعلا أعلم بمن يستحق مثل هذا الحكم وكذلك رسوله بما يتلقى من وحي.

وتتمثل العبرة في كون بعض الأحداث تتضمن تحذيرا من أخطار واقعة أو محتملة الوقوع. وذلك استنباطا من قوله تعالى: ((أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر

مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)).(57)

ويقول عبد الحميد صديقي معلقا على هذه الآية: " حوادث الماضي ليست مجرد قصص تروى عن الأيام الغابرة، وانما هي عبرة للناس ففيها تحذير من المهاوي الواقعة في طريقنا، فهي كالفنار الذي ينبىء الملاحين الجدد الذين يمخرون عباب الحياة عبر الصخور المهلكة".(58)

وبما أن العبرة قد تحصل دون نشر الأسماء فالاتجاه العام هو عدم نشر الأسماء(59) الا في بعض الحالات التي تقتضي فيها المصلحة العامة التصريح فيها باسماء الأشخاص أو المؤسسات، كما يرد ذكره فيما يلي. ج - ومن أهداف نشر الأخبار حتى السلبية منها عن الأفراد والمؤسسات هو حماية المجتمع وأفراده من الوقوع ضحايا سهلة للخداع، سواء كان مصدره أفراد أو مؤسسات داخلية أو خارجية. وهذا الهدف يمكن استنتاجه من الحالات الاستثنائية التي يسمح فيها الاسلام بالغيبة والتشهير. ومن تلك الحالات حالة المطالبة بالحقوق، وفي حالة الاستعانة على تغيير المنكر، وبذل النصح لطالب المشورة. ومن هذه الحالات تحذير المسلمين مثل: كشف ضعف رواة الحديث، والشهود، وكشف عيوب الصهر والشريك والأجير. ومن هذه الحالات أيضا كون المخالف للقانون انسانا مجاهرا بمخالفته ولاسيما اذا كان يقوم بوظيفة عامة، وفي حالة كون الانسان لايعرف الا بلقب كالأعمش والأعمى...(60)

د - ومن الأهداف التي يمكن استنتاجها من الأحكام الشرعية سابقة الذكر هو تمكين أصحاب الحقوق من المطالبة بحقوقهم، وتمكين المصلحين من تكوين رأي عام، يشكل ضغطا جماعيا على المخالف حتى يرجع عن مخافته.

وهذه الأهداف تنطبق في حق الشخصيات العادية في المجتمع، وهي في حق قادة الرأي والسلطة في المجتمع أوجب. ومن فضول القول بأن وسيلة الاصلاح بالنشر لا نلجأ اليه الا بعد فشلت وسيلة المصالحة ووسائل النصح السرية.

ويجب أن لا ننسى أن هذه الحالات هي في الأصل حالات استثنائية، فالقاعدة الأساسية في هذه القضية هي تجنب اذاعة أخبارالآخرين مقرونة بالاسم أو بما يعرف به صاحبها، ما داموا يكرهون اذاعتها أو الاشارة اليها.(61)

مما سبق ندرك أنه في حالة الاشارةالى أشخاص معينين أو وصفهم حتى لأغراض التحذير الضرورية فانه يجب علينا الاقتصار على المعلومات التي لا مفر من ذكرها للغرض المقصود. مثلا عندما يكون هدف التقويم هو معرفة صدق الرجل وعلمه فانه يجب أن لا نشير الى عاهات الرجل الجسمية. وعندما يكون موضوع التقويم هوالقدرات والمهارات الجسمية، فان العيوب الأخلاقية لا يجب الاشارة اليها ما لم تكن خطيرة وتؤثر على كفايته في أدائه للعمل المطلوب. وعلى أية حال فان عملية التقويم يجب أن لا تقوم الا على معلومات محققة.

هـ- ومن الأهداف الذود عن الدين والنفس والمجتمع الاسلامي. ويمكن استنتاج ذلك مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من استخدامه الخطب والشعر للذود عن الاسلام، ولبث الحماسة في نفوس المسلمين وللرد على هجمات الخصوم الكلامية وفي القضاء على الاشاعات والفتن.(62)

وقد تكون الأخبار التي تبث الحماس صحيحة وحيادية (مثل فعلت اسرائيل كذا وكذا بالفلسطينيين، وليست دعوية مثل: يجب أن نهب لمحاربة اسرائيل لأنها فعلت...). فنشر الأخبار الصحيحة الايجابية تسهم في تصحح التصورات الخاطئة و في القضاء على الاشاعات المكذوبة.

وقد تكون الأخبار كاذبة في الحالات الخاصة جدا والدفاع عن النفس.

فالاسلام -كما هي الاعراف الدولية- يسمح للانسان بالذود عن نفسه وما يتصل بها بالسلاح الذي فيه ازهاق للارواح والانفس، ومن باب أولى السماح بالدفاع عن النفس بسلاح لا اراقة دماء فيها.(63) والدفاع لا يكون الا لاعتداء يسبقه ويمكن اسستنباط ذلك من قوله تعالى:

"فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم."(64)

فالسماح باستخدام نشر الاخبار المضللة للخصم و بث الاشاعات الموهنة للخصم في حالات الدفاع من مبدأ الانصاف للنفس والغير، تقتضيه الموضوعية الحقة في التعامل مع الواقع.

وظائف الأخبار:

وقبل الحديث عن الوظائف لابد من التذكير بالفرق بين الهدف والوظيفة، الذي سبق طرحه عند الحديث عن المصدر. لقد اتضح بأن الهدف جهد ذهني يساوي النية والخطة؛ أما الوظيفة فهي الظواهر الواقعية المحسوسة التي يمكن رصدها من قبل الآخرين.

وبعبارة أخرى فان الفرق بين الهدف والوظيفة أشبه بالفرق بين الارادة الشرعية لله عز وجل والارادة الكونية -مع الفارق العظيم بين الخالق والمخلوق.(65)

ويؤكد سيد الشنقيطي (66) في كتابه: "وظيفة الاخبار في سورة الأنعام" هذا المعنى للوظيفة بمجموعة استشهادات، غير أنه يعود فيقول بأن "الوظيفة هي ما يلقى على أجهزة الاعلام من مهام وواجبات ومسؤوليات تشكل في مجموعها نظاما اعلاميا متكاملا له منطلقاته واهدافه..." وبعبارة أخرى يعود فيقول بأن الوظيفة هي الهدف والخطة المرسومة التي تحدد الواجبات والمسئوليات. وللفرق الذي تم بيانه فانه لا يمكن الحديث عن الوظائف التي تؤديها الأخبار الا من خلال استقراء سلوك المستقبلين للأخبار وردود فعلهم تجاهها، أو الاعتماد على ما توصلت اليه الاستقراءات السابقة.

وقد تطرق الشنقيطي في كتابه السابق الى موضوع وظيفة الاخبار في سورة الأنعام فجعلها في الأصناف التالية: الاخبار عن الله، والاخبار عن الغيب،

والاخبار عن واقع الحياة. والصنف الأخير يشمل الأشخاص، والحقائق والأفكار، ووقائع الحياة.

ولما كان الاخبار عن الله و الغيبيات في الاسلام يختص بالمسلمين فلعل من المناسب الاقتصار على الصنف الأخير فهو الذي يدخل في موضوع الدراسة. وكذلك لآن موضوع الدراسة هي الأخبار التي يجمعها البشر ويروجون لها، وهي قابلة للصواب والخطأ أما الأخبار التي تأتينا من الله يقينية فان الأخيرة لا تدخل ضمن موضوع هذه الدراسة بصفتها أخبارا. ولكن قد تدخل في موضوع الكتاب بصفتها نماذج أو قواعد أو نظريات نستفيد منها في اطار الاتصال البشري.

وقد أشار الشنقيطي في الكتاب نفسه الى بعض الأساليب القرآنية التي يمكن الاستفادة منها عند الحديث عن الأساليب القرآنية. ولكنها لا تدخل ضمن موضوع هذه الدراسة.

وقد لخص "شرام" الوظائف الرئيسة لوسائل الاتصال في أربعة أصناف هي: الاخبار، والتعليم، والترفيه، والاقتراح أو الاقناع.(67)

ان شرام يتحدث عن الاتصال بأنواعه المختلفة، ومنها نشر الأخبار. بيد أنه لو نظرنا الى الوظائف الواقعية لنشر الأخبار في ظل لأهداف الاسلامية وفي ظل ما يمكن ادراكه من الملاحظات العابرة، لوجدناها لاتخرج عن التصنيف الرباعي. وذلك باعتبار الدفاع عن النفس نوعا من الاقناع.

ولو استقرأنا ما يمكن رصده من سلوك المستقبلين للأخبار وفي ظل أهداف نشر الأخبار من المنظور الاسلامي لوجدنا أنه لايخرج عن التالي:

1 - الأخبار تؤدي وظيفة تعريف الناس ببعض، وتنمية معلومات المستقبلين لتلك الأخبار، بشكل واضح.

2 - الأخبار -ربما- تؤدي وظيفة التنبيه الى العواقب الوخيمة التي تنتج عن اتخاذ قرارات خاطئة.

3 - الأخبار تؤدي وظيفة التنبيه الى المخاطر المحدقة بالانسان. بشمل بارز. ولكن اضافة الى ذلك وعلى عكس الأهداف من المنظور الاسلامي فانها تؤدي وظيفة محاكمة الآخرين بدون توفر شروط المحاكمة العادلة، ولو باجراء عملية تحقق ببعض الوسائل المتيسرة المذكورة في بداية الفصل.

4 - الأخبار تؤدي، بنسب متفاوتة حسب السياسات المحلية والظروف البيئية...، وظيفة احقاق الحق وازهاق الباطل.

5 - الأخبار تؤدي وظيفة بث الحماس، والدفاع عن النفس.

6 - الأخبار تقوم بعملية التسلية وسد الفراغ في الوقت.

<u>الموضـــوعية:</u>

لقد أصبح ربط الحقيقة بالموضوعية أمرا شائعا بين الكتاب، واعتبره الصحفيون ومؤسساتهم شرطا أساسيا من شروط الدقة في نقل الأخبار.(68) و مع هذا فان الموضوعية قد بقيت مصطلحا يحيط به الغموض.

في عام 1973 ميلادية قامت جمعية الصحفيين المحترفين بالولايات المتحدة الأمريكية بتعريف "الموضوعية" على أنها الدقة والتمييز بين الخبر والرأي وتقديم كافة الحقائق التي تمثل جميع الأطراف المشتركة في الخبر(69). وعرف ليب مان Lippmann الموضوعية بأنها حالة التحرر من المشاعر العاطفية والتحيزات الشخصية والتجارب الشخصية. أي نقل الوقائع الملحوظة فقط.(70) أما وكالات الأنباء الأمريكية فقد قنعت بتعريف الموضوعية على أنها تقديم وجهتي نظر الأطراف المتناقضة في الخبر، بقدر الامكان والاشارة الى المصدر المعتمد المتوفر في حالة التصريحات القابلة للنقاش والجدل. ويؤكد تعريف آخر بأن الموضوعية هي اعطاء فرص متساوية لجميع الأطراف المعنية في الخبر.(71)

عندما نلخص التعريفات السابقة نجد أن الموضوعية تعني:

1- نقل الوقائع الملحوظة فقط.
2- التحرر من العاطفة والتجارب الشخصية.
3- التحرر من الآراء الشخصية.
4- التحرر من القيم الأخلاقية الشخصية.
5- اعطاء فرص متساوية لجميع الأطراف المعنية في الخبر.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل هذه الموضوعية ممكنة؟

يذهب كثير من الاعلاميين بأن الموضوعية هذه غير ممكنة.(72) والحق يقال ان هذه الموضوعية غير ممكنة حتى بالنسبة لوسائل الوصف أو النقل غير البشرية مثل الآلات. هذا مع أن آلات التسجيل لا تنقل سوى الملحوظة وليست لديها عاطفة أو تجارب سابقة أو آراء شحصية أو قيم أخلاقية. والسبب في ذلك هي أنها لا تستطيع أن تصف كل الآشياء أو تنقلها دفعة واحدة ولا بشكل متساوي. فمجرد ترتيب اللقطات او اختلاف المسافات بينها وبين الاشياء تعتبر مخالفة للفرص المتساوية.

بيد أنه اذا كانت الموضوعية المطلقة مستحيلة فان الموضوعية النسبية لا غنى عنها. أما الموضوعية النسبية فهي ممكنة وتختلف كلية أو بدرجات متفاوتة من انسان لآخر ومن مجتمع لآخر ومن ظرف لآخر. فهي تخضع للمهارات الفردية للسيطرة على المشاعر العاطفية، والآراء الشخصية، والظروف المختلفة.

والموضوعية في الاسلام هي موضوعية نسبية كما تشير اليه الأدلة المتقدمة وتعني العدالة والانصاف، ولكن ليست العدالة البشرية وانما العدالة الربانية، أي العدالة والانصاف التي تحكمها الشريعة الاسلامية، حيث يتم فيها اخضاع المشاعر العاطفية وألآراء والأفعال لتحقيق السعادة المؤقتة والابدية حسب هدى الله.

وعموما، تتفق الموضوعية من المنظور الاسلامي مع الموضوعية العامة في وجوب التمييز بين وصف الواقع حسب أفضل الامكانات المتوفرة للبشرية، وبين

محاولة اقناع الآخرين بما نعتقد أنه الوصف الصادق للواقع. وربما أن الموضوعية النظرية السائدة أكثر حيادا، لعدم تقيدها نظريا بعقيدة محددة.

ولكن وجود التعاليم الاسلامية والمواثيق الصحفية للصحفيين عند غير المسلمين لا يمنع كون الاخبار، في حالات كثيرة وبنسب متفاوتة، تخدم أهدافا محددة. فتترك هذه الاهداف بصماتها على عملية انتقاء الاخبار أو صياغتها. وهذا يحدث سواء بتخطيط مسبق أو لا اراديا. ومن هذه الاهداف مايلي:

1 - المتاجرة بالاخبار، فالخبر بضاعة قد تكون بضاعة رائجة يبيعها مالكها الى المؤسسات الاعلامية، والمؤسسات الاعلامية تشتريها لاجتذاب الجمهور بها. وهذا واضح في الأنظمة التي تمتلك فيها المؤسسات الخاصة هذه المؤسسات. فالجمهور وسيلة لكسب النقود.

ففي هذه الأنظمة تعيش وسائل الاعلام على ما تكسبه من الاعلانات. وقيمة الاعلان -عادة- تحسب بمضاعفة المدة الزمنية في العدد المتوقع من المشاهدين لذلك الاعلان. وقد يصل عدد المشاهدين الى المليون، وقيمة سدس الدقيقة الواحدة ريالا (1 × 1 000 000) مقابل عشر ثواني فقط. وللقاريء أن يتصور مقدار الكسب المادي الذي تجنيه الوسيلة الاعلامية.(73)

2 - الدعاية للافراد أو المؤسسات، وعن سياساتها فالخبر عبارة عن معلومات ذات درجات متفاوتة في المصداقية. والجمهور في الأنظمة التي تمتلك فيها الدولة تلك المؤسسات يعني فرصة أكبر للدعية عن سياساته وشخصياته الرئيسة، ولاسيما أن فرصة الأخبار الايجابية عن الدولة هي التي سيكون لها نصيب الأسد.

سعيد اسماعيل صيني 18/8/1411هـ

حواشي الفصل السابع

المنظور الاسلامي للأخبار

1 - محمد فريد عزت، دراسات في فن ص 20؛ كرم شلبي، الخبر الصحفي ص ؟؟؛ الشنقيطي، أصول الاعلام الاسلامي وأسسه ص 6-14؛

2 - عزت، مرجع سابق، دراسات ص43-44؛ شلبي، الخبر ص 49. الشنقيطي، أصول الاعلام ص 15-21.

3 - عزت، دراسات ص 20؛ شلبي، الخبر ص 53. عزت، دراسات..ص42.

4 - عزت، بحوث في الاعلام الاسلامي ص 110-115، 142-144، دراسات ص 45-56، 71-81، 407-444.

5 - عزت، دراسات ص83-97.

6 - شلبي، الخبر ص 117-121، 166-168.

7 - عزت، دراسات ص57-69، 99-406.
8 - شلبي، الخبر ص58-65، 163-168.
9 - النبأ:2، الاحزاب:20.
10- الزلزلة: 4.
11- Metzeler pp. 77-79.
12- Given; Lippmann, Public Openion
13- الحجرات:6.
14- النساء:83.
15- البقرة:180-282.
16- النور:4؛ وانظر البيانوني، وخاطر، .ج 4: 253-263.
17- القاضي بن العربي ص 53؛ الطحان، أصول؛ أبو لبابة، الجرح والتعديل.
18- المراجع السابقة.
19- القاضي ابن العربي، العواصم ويقسم الخطيب المؤرخين المسلمين الى ثلاث فئات: 1) الذين يتزلفون الحكام في أزمانهم بتسويد صفحات المغلوبين. 2) الذين يتشيعون لمباديء منحرفة ويتحيز بطريقة عمياء مع أو ضد فئات من الناس. 3) المنصفون من مثل الطبري وابن عساكر وابن الأثير وابن كثير، الذين حمعوا جميع الروايات حول الشخصيات والاحداث التاريخية المختلفة مع الاشارة الى أسانيدهم.
20- القاضي ابن العربي، العواصم؛ الجندي، التاريخ ص 18-25.
21- ابن تيمية، منهاج السنة.
22- القاضي ابن العربي، العواصم
23- شعوط؛ وانظر عثمان للاستدراك عليه.
24- القاضي ابن العربي، العواصم.
25- البخاري، كتاب العلم: التناوب في العلم.
26- الصالح، منهل، ج 1: 89.
27- الصالح، منهل، ج2: 574-575.
28- أبو لبابة، الجرح ص 137-139.
29- البخاري، كتاب مناقب الصحابة: باب مناقب عثمان.
30- ابن الأثير الجزري، جامع الأصول ج:8 ص 557-567؛ 632-647.
31- يوسف:53.
32- الصنعاني، ج4: 256-285 للحديث والحكم المبني علي.
33- النجم:32.
34- الحجرات:11.
35- الصالح، ج2: 961-964.
36- الصالح، ج2:856-870.
37- الجلينيد.

38- الترمذي، الحدود:2.
39- البخاري، الاعتصام: باب أجر الحاكم.
40- النور: 19.
41- الاحزاب: 58.
42- النساء: 148.
43- البخاري، كتاب المظالم: باب لا يظلم المسلم المسلم.
44- الصالح ج1: 197.
45- الصالح، منهل، ج1: 210.
46- الصالح منهل، ج1: 211-212.
47- مسلم، كتاب النكاح: افشاء سر المرأة.
48- البخاري، كتاب الرقاق: باب مايكره من قيل وقال وباب حفظ اللسان.
49- الاسراء: 36.
50- مسلم، المقدمة: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.
51- الحجرات: 13.
52- سابق ج: 2 ص 231؛ واعلان العقوبة سورة النور:2
53- البقرة: 282، المائدة: 106؛ وانظر سابق: 3 ص 70-71، ج:2 56- 59، 257-260؛ البخاري، كتاب العيدين: باب الحراب وباب سنة العيدين، وكتاب النكاح: باب الضرب على الدف.
54- يوسف: 111.
55- النور: 2.
56- البقرة: 134، 141.
57- الروم: 9.
58- الجوادي، (مترجم) ص 146.
59- قاسم، ص 34.
60- الصالح، ج2: 834-839.
61- الصالح، مرجع سابق ج2: 830، 832-834.
62- حمزة، الاعلام في صدر ص 175-187؛ شلبي 163-168.
63- البخاري ، كتاب الجهاد: الحرب خدعة.
64- البقرة: 194
65- السليمان، الكواشف ص 150-151؛ اسماعيل، مباديء العقيدة ص 34-38.
66- الشنيقيطي، وظيفة الأخبار ص 111-119.
Schramm, The Nature of. in chramm et. al.The Process.
67- p. 19.
68- Francois, pp.256-757, 301, 305,312.
69- Francois, pp. 260-261

70- Francois, p. 298.
71- Hage, et. al. p.15.
72- Sandsman, et. al. pp. 82-7, 243-4, 369-70.
73- المائدة: 8 وانظر الأنعام: 152، النساء: 58، الحجرات: 9.
74- Sandsman, et. al. pp. 126-137.

د. سعيد اسماعيل صيني 1411/8/18هـ

الفصل الثامن
أسـاليب الاقـناع في القرآن الكريم

ليس هناك خلاف في كون الاقناع يعتمد على عدد من العوامل مثل الصفات الايجابية والسلبية للقائم بالاتصال والوسيلة التي تنقل الرسالة (المصدر الثانوي) والجمهور المستقبل، والرسالة. ولكن الرسالة هي الأداة الرئيسـة التي يعتمد عليها في احداث أثر في آراء الآخرين ومشاعرهم وسلوكهم.(1)

ولعل من أهم عناصر الرسالة الاقناعية بعد المضمون هو الأسلوب الذي يعالج به المضمون ويقدم به. ولا فرق في ذلك بين أن تكون عملية الاتصال الاقناعية هي للدعوة أو الدعاية أو الاعلان، أو لتأسيس علاقات طيبة.

والقرآن الكريم من أغنى المصادر لمثل هذه الأساليب التي ينبغي أن يتعرف عليها الاعلامي المتخصص في الرسائل الاقناعية.

وهناك جهود كثيرة قام بها علماء الاسلام عبر العصور المختلفة للكشف عن أساليب الاقناع في القرآن الكريم. ولعل من أقدمها هي الجهود المتفرقة التي تضمنتها كتب التفسير. ثم تليها الجهود التي خصصت مؤلفات مستقلة، تعتني بعلوم القرآن الكريم وفنونه، أو التي خصصت مؤلفا بأكمله لموضوع الاقناع في القرآن الكريم.

وكان من أقدم تلك الجهود البارزة ما وضعه ابن الحنبلي المولود في منتصف القرن السادس(2). وقد جعل المؤلف كتابه في قسمين رئيسيين: قسم صنفه حسب موضوعات الجدل، وقسم آخر حسب أشكال الجدل. و تضمن الجزء الثاني من أنواع الجدل: سؤال المنع، والنقض، والقول بالموجب، والمعارضة، والترجيح،

والمفهوم، و ذم التقليد والمقلدين، و التجوز، والمباكتة والتشنيع، والتخصيص بالذكر لا يدل على الاختصاص في الحكم.

وأضاف السيوطي(3) الى هذه الانواع عددا آخر مستندا الى أقيسة المنطق، فكان منها: قياس الاعادة على الابتداء وعلى ماهو أعظم منه وقياس المنع. كما أورد من أشكال الجدل عند الأصوليين السبر والتقسيم، والتسليم، والأسجال، والانتقال، والمناقضة، ومجاراة الخصم.

واستفاد الالمعي من نوعين مما أورده بن الحنبلي وكل ما أورده السيوطي ثم أضاف اليه عددا آخر من أشكال الجدل. وكانت اضافته تتمثل فيما يلي:

الاقيسة الاضمارية، والقصص القرآني، ومطالبة الخصم بتصحيح دعواه، والاستدلال على الخصم باظهار مكابرته، وابطال دعوى الخصم باثبات النقيض، والاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر، وبيان أن حجة الخصم هي ضده، والزام الخصم بالمشاهد المحسوس، وأن قول الخصم مما ينكره هو بنفسه.(4)

ويلاحظ على الجهود المتصلة بموضوع الدراسة أنها قد اقتصرت على الآساليب العقلية التي تخاطب العقل أكثر من مخاطبتها للعاطفة، هذا مع أن الأساليب العاطفية ذات أهمية.(5) ويؤكد عرجون(6) وجود مثل هذه الأساليب في القرآن متمثلة في الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، كما يؤكد الالمعي هذه الحقيقة بقوله ان "القرآن الكريم في جداله يخاطب العقل والوجدان".(7)

وفي معرض الحديث عن الاخبار في سورة الأنعام أشار الشنقيطي عشرة من الأساليب وضرب لها أمثلة كان منها اثنتان تقعان ضمن الأسلوب العاطفي. تتضمن احداهما استعطافا والأخرى تهديدا.(8)

ولعل السبب في التركيز على الأدلة العقلية يعود الى تقدم علم المنطق وعلم الأصول اللذين مهدا لمثل هذا النوع من الدراسات. ولعلنا نجد في بعض الدراسات التي عنيت بالبحث في الاشكال الاتصالية بين البشر قاعدة نرتكز عليها في تناول الأساليب العاطفية، ولا سيما التجريبية منها.

لقد قام المعنيون بالرسائل الاقناعية بدراسات كثيرة شملت أساليب الاقناع بأنواعها المختلفة. وكان منها الدراسات التي تميل الى التفسير العاطفي والوظيفي لطريقة تعامل الجمهور مع الرسالة. وتقول النظريات العاطفية ان الانسان يتعامل مع المضمونات التي يستقبلها بالطريقة التي تحقق له الاستقرار النفسي. أما النظريات الوظيفية فتشير الى أن الانسان يتجاوب مع مايستقبله من معلومات بالطريقة التي تتفق مع احتياجاته ومصالحه الشخصية.(9)

ويلاحظ أن النظرية الأخيرة في حقيقتها تتصل بالمضمون في الدرجة الأولى؛ ولا تتصل بالأسلوب الا من حيث قدرة الأسلوب في ابراز تلك المصلحة. وهي في هذه الحالة تندرج تحت الأساليب العاطفية، غالبا.

ويؤكد "لارسون" Larson(10) أنه مما يقرب مصدر المعلومات الى المستقبل هو أن يوحي الأسلوب بأن المصدر يشترك مع المستقبل في كثير من الصفات، أو يشاركه بعض آرائه ومواقفه.(11) كما وجدت دراسة أخرى أن من الاحتياجات الأساسية للانسان: حب التملك، والحاجة الى الحب، والشعور بالأمن والأمان.(12) فهو يميل الى التأثر بالرسالة التي تحقق له ذلك أو تؤمله فيها. كما أن التهديد قد يدفعه الى الاقتناع عمليا وذهنيا.(13) بيد أنه من حيث درجة التهديد وأثره فان الدراسات التجريبية لم تحل المسألة بعد. فهناك من يقول بأن درجة الخوف العالية تجعل الشخص أكثر طواعية وهناك من يقول بأن الدرجة المتوسطة أكثر فعالية.

ووجد "باكارد" Packard(14) أيضا أن من الاحتياجات البشرية تقدير الآخرين له، واعجابهم به، وحيازة نوع من السلطة، والشعور بأن له جذور ينتمي اليها.

ويبدوا واضحا من هذه الدراسات أن أساليب الاقناع لاتقتصر على الأساليب العقلية، بل تشمل الأساليب العاطفية. وعند الحديث عن أساليب الاقناع في القرآن الكريم لابد من مراعاة هذه الحقيقة لنخرج بصورة أكثر شمولية.

مشكلة الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى التأكد من تنوع الأساليب الاقناعية في القرآن الكريم، والى القاء نظرة شاملة على هذه الأساليب.

وليس من الاهداف الرئيسة لهذه الدراسة متابعة الاشكال الجدلية في الجهود السابقة لا من حيث الاضافة اليها أو من حيث نقدها لبيان تداخلاتها، أوتعدد مسميات النوع الواحد منها.

كما أنه ليس من أهداف هذه الدراسة حصر جميع الأساليب التي وردت في القرآن الكريم.

منهج الدراسة:

اضافة الى وتنحصر السمات العامة لهذه الدراسة في النقاط التالية:

1 - الاقتصار على نموذج واحد من هذه الأساليب أو عدد محدود.

2 - الاستفادة من التصنيفات التي توحي بها الدراسات السابقة مجتمعة، ومنها الدراسات المقننة التجريبية.

3 - الاشارة الى أوجه الاتفاق بين التصنيفات السابقة المتصلة بالقرآن، متى كان ذلك مناسبا. وقد يستفيد الباحث من تلك الدراسات، اما بتسمياتها القديمة او بتسميات جديدة. كما أن الباحث سيعمل على تبسيط عناوين التصنيفات اما عند تسميتها أو بشرحها ان تعذر الأول.

4 - نظرا للاتقان الذي ينفرد به القرآن الكريم في استخدامه للأساليب المختلفة فان القاريء سيلاحظ أن العبارة القصيرة الواحدة في القرآن قد تتضمن أكثر من أسلوب ممزوج باتقان لا يبارى، بحيث يندرج المثال الواحد تحت أكثر من أسلوب.

5 - ويلاحظ أن هذه الأساليب اما أنها وردت في صيغة أمر محدد أو ورد استعمالها في القرآن أو ورد ذكرها في القرآن، رواية.

6 - تجدر الاشارة هنا الى أن ما ورد في هذا البحث لا يشمل الأساليب الاقناعية التي وردت في القرآن كلها. وليست هذه المحاولة هي الأولى للكشف عن الأسلوب الاقناعي في القرآن وليست هي الأخيرة. بيد أنها محاولة متواضعة للربط بين جهود علماء المسلمين الاولين لكشف النقاب عن أساليب الاقناع في القرآن الكريم وبين الجهود العلمية الحديثة في دراسة أساليب الاقناع بصفة عامة.

7 - لعله لا يغيب عن بال اللبيب أن أي دراسة أو محاولة للكشف عن عظمة القرآن الكريم من حيث المعاني التي تضمنها، أو الأساليب التي وردت فيه، أو ورد ذكرها فيه انما هي جهود بشرية اجتهادية. فان كانت هذه الجهود قاصرة فذلك طبيعي، ولن يؤثر ذلك على كمال القرآن الكريم، كلام رب العالمين.

نتيجة الدراسة:

عند استعراض الأساليب القرآنية وجد الباحث أن أساليب الاقناع في القرآن يمكن تقسيمها الى الأساليب العقلية والعاطفية، ولكن أيضا يمكن تقسيم كل واحدة من هذه الى قسمين: قولية، وعملية. اضافة الى ذلك وجد أن هناك أساليب عقلية أو عاطفية ولكن تعتمد على قدرات ربانية متفردة، فجعلها في صنف ثالث.

وبهذا سيتم تقسيم النماذج القرآنية الى الاصناف الرئيسة التالية: الأساليب العقلية، والعاطفية، والفريدة.

<u>الأساليب العقلية:</u>

المقصود بالأساليب العقلية هي تلك الأساليب التي يغلب عليها مخاطبة عقل الانسان وهي تنقسم الى قسمين: أساسيين: القولية والعملية.

العقلية القولية:

ومن نماذجها مايلي:

1 - الفطرة السليمة: عندما يستند البرهان الى الفطرة السليمة البسيطة بحيث يفهمها كل المستويات العقلية فان البرهان يأتي قويا ويتسم بالديمومة. وأغلب أدلة اثبات وحدانية الله من هذا القبيل. ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ((لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحن الله رب العرش عما يصفون.))(15) وقوله تعالى: ((ماتخذ الله

من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون.)) (16)

ويقول عز وجل عن لسان حال ابراهيم: ((اذ قال لأبيه يـأبت لم تعبد مالا يسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئا.))(17) وهو أسلوب رقيق يمتزج فيه الأسلوب العقلي مع العاطفي الذي يليق بين الابن وأبيه.

ولكن عندما يكون الأمر بينه وبين النمرود المتكبر فان الله تعالى يروي لنا القصة كما يلي: ((ألم تر الى الذي حاج ابر هيم في ربه أن

ءاتـه الله الملك اذ قال ابر هيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت. قال ابر هيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظـلمين.))(18)

2 - الاستنتاج القياسي: هذا النوع نجده كثيرا في القران الكريم ويستند الى مقدمة أو مسلمة تقود الى نتيجة حتمية. فالمنطق هنا يقول: ان الذي استطاع عمل ما هو أصعب لايعجزه عمل ما هو أسهل فيستدل بالعام على الخاص. ومثاله الاجابة على المتشكك في يوم البعث اذ يقول تعالى : ((وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظـم وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون. أوليس الذي خلق السمـوات والارض بقـدر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلـق العليم.))(19)

وقوله تعالى: ((وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السمـوات والأرض وهو العزيز الحكيم.))(20)

ولاثبات أن خلق المسيح بدون أب لم يجعله أهلا لأن يعبد ولم يعبد آدم الذي لم يكن له أب ولا أم يقول تعالى: ((ان مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.))(21)

3 - الاستنتاج الاستقرائي: في هذا الأسلوب يشير فيه عدد من الحقائق الجزئية الواقعية تلقائيا الى حقيقة عامة. وفي النموذج التالي نجد حقيقة وجود الله وخلقه لهذا الكون صارخة في قوله تعالى : ((ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون. فالق الاصباح وجعل اليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم. وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمـت البر والبحر قد فصلنا الآيـت لقوم يعلمون. وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيـت لقوم يفقهون. وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنـت من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشـبه. أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيـت لقوم يؤمنـون.))(22)

4 - التشبيه: يهدف هذا الأسلوب الى تجسيد الاشياء المعنوية حتى تظهر حقيقتها وتتضح خطورتها وهو أسلوب يتكرر كثيرا في القرآن الكريم.

والتشبيه قد يكون بأشياء واقعية موجودة وقد يكون بأحداث واقعية، وقد يكون بأحداث اقتراضية.

ومن أمثلة الاشياء الواقعية ممزوجة بالمقارنة بين الضدين قوله تعالى: ((ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كل حين باذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار.))(23)

ومن أمثلة الاحداث الواقعية قوله تعالى : ((ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكثا تتخذون أيمنكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة...))(24) وكذلك قوله تعالى: ((له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كبسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببلغه وما دعاء الكفرين الا في ضلال.))(25) وقوله تعالى: ((مثل الذين كفروا بربهم أعملهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلل البعيد.))(26)

وفي بعض الظروف تكون الأمثلة الافتراضية أنسب من غيرها للاقناع

وتجعل الصورة أكثر وضوحا والفروق أكثر جلاء كما نلاحظ في المثال الآتي في قوله تعالى: ((يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له. ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب.))(27)

5 - تقديم وجهتي النظر: قد لايسمح الوقت دائما للجوء الى تقديم وجهتي النظر المتضاربتين لتتضح الحقيقة ويظهر الراجح من المرجوح عليه كما يسميه ابن الحنبلي.(28) ولكن هذا الأسلوب المنطقي قد أثبت فعاليته بين من يعتزون بقدرتهم على التفكير المنصف ونضجهم العقلي.(29) ومن النماذج القرآنية لهذا الأسلوب في القرآن الكريم قوله تعالى عن الخمر والميسر والعلة في تحريمها: ((يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنفع للناس واثمهما أكبر من نفعهما.))(30)، وقوله تعالى: ((ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون.))(31)

6 - المقدمات التاريخية: وترتبط هذه المقدمات بجوهر الرسالة، اذ تمتلأ قصصها بالمدلولات التي تجعل الرسالة تنزل هينة على قلب المستقبل لها. ومن الأمثلة القرآنية على ذلك سورة العنكبوت حيث تبدأ الرسالة الاقناعية بالحديث عن قصة قوم نوح وابراهيم ولوط واسحاق ويعقوب وشعيب وصالح وموسى وهارون. ثم نجد الآية احدى وأربعين تقرر أنه بدون الايمان بوحدانية الله تعالى لا فلاح اذ يقول تعالى : ((مثل الذين أتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)).(32)

7 - التساؤلات: وقد أورد السيوطي(33) نماذج لها تحت عنوان قياس الاعادة على الابتداء وأورد الألمعي أمثلة لها بعنوان أستفهام تقريري.(34) في هذا

الأسلوب تتابع الأدلة والأسئلة التقريرية لتشير تلقائيا الى نتيجة محددة. ولعل أبرز مثال لهذا الأسلوب نجده في سورة الرحمن حيث تبدأ بقوله تعالى: ((الرحمن. علم القرءان. خلق الانسـن. علمه البيان. الشمس والقمر بحسبان. والنجم والشجر يسجدان. والسماء رفعها ووضع الميزان. ألاتطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان. والأرض وضعها للأنام فيها فكهة والنخل ذات الأكمام. والحب ذو العصف والريحان. فبأي ءالاء ربكما تكذبان.))

وتستمر السورة تعدد آلاء الله (عظائم خلقه) ويتكرر السؤال التقريري احدى وثلاثين مرة. ثم تنتهي السورة بنتيجة حتمية هي أن الخالق الذي يستحق الحمد والاجلال هو الله: ((تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام)).(35)

ويستوجب بعض الخصوم شيئا من الشدة فتأتي الأسئلة التقريعية لتبين لهم حقيقة أنفسهم ومثال ذلك قوله تعالى: ((أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون. قل تربصوا فاني معكم من المتربصين. أم تامرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون. أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون. فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين. أم خلقوا من غير شييء أم هم الخالقون.))

وتستمر الآيات على هذا النسق ويأتي السؤال أخيرا ليقرر وحدانية الله تعالى: ((أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون.))(36)

8 - موقع الدليل: البرهان قد يأتي في المقدمة أو المؤخرة أو في الوسط ولكل وضع من الأوضاع ميزة. وجميع هذه الأوضاع مستعملة في القرآن الكريم ولكن في الغالب يعتمد تقدير الوضع على أين يبدأ القاريء في القراءة وأين ينتهي.

ولو اعتبرنا وصف ما يحدث في اليوم الآخر كبرهان نجد أن الرسالة تأتي في النهاية في قوله تعالى: ((ويوم يناديهم فيقول أين شركاءي الذين كنتم تزعمون. قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغوينـهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون. وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون. و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين. فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لايتساءلون. فأما من تاب وءامن وعمل صـلحا فعسى أن يكون من المفلحين. وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحـن الله وتعالى عما يشركون. وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون. وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون.))(37)

وفي هذه الآية نجد البرهان يأتي بعد الرسالة المقصودة وهي وحدانية الله وتفرده بالعلو والعظمة. يقول تعالى: ((الله لا اله الا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم له ما في السمو ت وما في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السمو ت والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم.))(38)

وفي آية أخرى نجد جوهر الرسالة وهو أن الله هو المتصرف في الكون يأتي بين برهانين. يقول تعالى: ((قل لمن ما في السمو ت والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون. وله ما سكن في اليل والنهار وهو السميع العليم.))(39)

9 - التسليم الافتراضي: هنا يظهر صاحب الحق لصاحب الباطل أنه على استعداد لأن يفترض بأن دعواه متساوية مع دعوى الخصم من حيث احتمال الخطأ والصواب، فلعل الخصم ينظر نظرة جادة ومدققة بعيدا عن التحيزات الشخصية تجاه الموضوع.

و قد يأتي هذا التسليم الافتراضي في صيغة رقيقة، ومثال ذلك في قوله تعالى: ((وقال رجل مؤمن من ءال فرعون يكتم ايمنه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينت من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لايهدي من هو مسرف كذاب.))(40)

وقوله تعالي على لسان أحد الانبياء: ((قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم)).(41) ويعلق عليه ابن الحنبلي " ولا هداية لآبائهم وانما ذكر ذلك توطئة لاستماعهم وتلطفا في الدعاية الى هدايته".(42)

وقد يأخذ هذا الاسلوب صيغة التحدي اللين ومثال ذلك في قوله تعالى مرشدا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ((قل من يرزقكم من السمو ت والأرض، قل الله، وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلل مبين.))(43)

و قد يأخذ هذا التسليم الافتراضي صيغة التحدي السافر لانهاء نقاش عقيم لا فائدة فيه مع خصم مراوغ عنيد ولكن ليؤثر على آخرين. ومثال ذلك قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: ((فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكذبين.))(44)

العقلية العملية:

ان الأسلوب العقلي لا يقتصر على الأسلوب القولي كما رأينا في المثال السابق. فقد يأتي في صيغة عملية. ومن أمثلة ذلك:

1 - دليل مفحم: في الآية التالية يأخذ الحوار بين نبي الله ابراهيم عليه السلام وقومه صبغة عملية ليثبت بأن الآلهة التي يعبدونها لا تملك الدفاع حتى عن نفسها: ((وتالله لأكيدن أصنمكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جذ ذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون. قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظلمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يابراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون. فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظلمون. ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.))(45)

2 - العقد والحل: طريقة الحل التدريجي للمشكلة هي واحدة من الأساليب العقلية وقد يسميه علماء الأصول بالسبر والتقسيم حيث تكون هناك مشكلة وتكون هناك احتمالات متعددة لحلها. فيتم اختبار كل احتمال على حدة حتى يتم التوصل الى الاحتمال المرجح. ولعل أبرز مثال لهذا الأسلوب العملي هو قصة ابراهيم عليه السلام وهو يتظاهر بالبحث أويبحث عن ربه اذ يقول تعالى: ((فلما جن عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رءا القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم اني بريء مما تشركون. اني وجهت وجهي للذي فطر السمو ت والارض حنيفا وما أنا من المشركين.))(46)

3 - تحدي ثقافي: وعندما يكون الخصم ممن يعتز بميزة ثقافية معينة فالدليل يأتي في صيغة تحدي ثقافي ونجد هذا واضحا في تحدي قريش بالاتيان بمثل القرآن ولو بسورة مثله، اذ يقول تعالى: ((قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صـدقين.))(47)

<u>الأساليب العاطفية:</u>

ويتسم هذا الأسلوب بأنه يخاطب المشاعر والوجدان أكثر مما يخاطب العقل. ويتمثل في الثناء والانكار، والخوف والأمل، والعقوبة والمكافأة. ولعل من المناسب هنا التقديم لهذا الأسلوب بما قاله المودودي عن الدوافع التي تجعل المسلم يقوم بتطبيق أوامر الله.

يقول المودودي (48): "نظرا لأن التشريعات الاسلامية هي قوانين الهية فانها تفرض نفسها للتطبيق، دون الاعتماد كلية على المراقبة الخارجية فالمؤمن يجد سعادة في ارضاء الله...لهذا فان الدافع الذي يقود المؤمن الى تطبيق القواعد الأخلاقية هو شعوره بالواجب وحبه للحق وبغضه للباطل ابتغاء مرضاة الله."

وفي كتاب آخر(49) يوضح المودودي .المعنى المقصود برضى الله فيقول ان رضا الله يتمثل في اجتياز الامتحان العسير يوم القيامة، وفي السعادة في هذه الدنيا والسعادة في الدار الآخرة خاصة وفي النجاة من العقاب الأبدي.

وما ينطبق على المسلم من حيث أثر الدوافع النفسية، المتمثلة في اشباع الحاجات الشخصية أو الحرمان منها، والرغبة في المكافأة والرهبة من العقوبة ينطبق على بني البشر جميعا. فكل انسان لديه ما يكرهه ولديه ما يحبه؛ وعنده ما يعتبره مكافأة وعنده ما يعتبره عقوبة.

ويمكن تقسيم هذه الأساليب الى نوعين أيضا: قولية وعملية.

العاطفية القولية:

ومن نماذجها ما يلي:

1 - المديح: وهي مكافاة يستحقها الانسان لعمل يقوم به أو لالتزام يوفي بشروطه. وكثيرا ما يأخذ الثناء في القرآن الكريم صيغة النعت العام بالمرغوب فيه مثل: هم مسلمون (50)، المتقين (51)، لقوم يعلمون، (52)، قوم عابدين(53)، قوم يعقلون (54)، قوم يتفكرون(55)، قوم يذكرون (56)، لقوم يؤمنون.(57)

كما يأتي الثناء أحيانا محددا للصفة الممدوحة كقوله تعالى: ((...فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين.))(58) وقوله تعالى: ((والذين تبوءو الدار والايمـن من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.))(59)

2 - التقريع: وقد يأتي في صيغة النعت العام الممقوت مثل: كانوا ظالمين، مفسدين، الكافرون، الخاسرون(60)، قوما مجرمين(61)، قوما فاسقين (62)، المقبوحين(63)، قوما طاغين(64)، القوم الظالمين.(65)

كما يأتي التقريع بصيغة محددة مثل قوله تعالى: ((والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردتا الا الحسنى والله يشهد انهم لكـذبون.))(66)

3 - الوعد: ويأتي الوعد في القرآن الكريم عادة في صيغتين: عام يشمل الدنيا وألآخرة، أو خاص بالحياة في الدار الآخرة. ومثال الصيغة الأولى قوله تعالى: ((ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب.))(67)

ومثال الصيغة الثانية قوله تعالى : ((وجز هم بما صبروا جنة وحريرا. متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمسا ولازمهريرا. ودانية عليهم ظـلـلها وذللت قطوفها تذليلا. ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا. قوارير من فضة قدروها تقديرا. ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا. عينا فيها تسمى سلسبيلا. ويطوف عليهم ولد ن مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا. واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا. عـليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقـهم ربهم شرابا طهورا. ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا.))(68)

4 - الوعيد: يكاد التهديد في القرآن الكريم يتعادل -من حيث الكم- مع الوعود ويأتي أيضا في صيغتين :الوعيد العام الذي يشمل الحياة الدنيا والآخرة، والوعيد الذي ينحصر في العقاب في الدار الآخرة.

ومثال الوعيد العام نجده في قوله تعالى: ((يـأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربـوا ان كنتم مؤمنين. فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس أمو لكم لاتظلمون ولاتظلمون.))(69)

أما المثال الخاص بالآخرة فنجده في قوله تعالى: ((الذين يأكلون الربـوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطـن من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل

الربـوا وأحل الله البيع وحرم الربـوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف. وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحـب النار هم فيها خـلدون. يمحق الله الربـوا ويربي الصدقـت والله لا يحب كل كفار أثيم.))(70)

والعقاب في الآية التالية أكثر تحديدا وتفصيلا ((هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم. يصهر به ما في بطونهم والجلود .ولهم مقمع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوامنها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق.))(71)

5 - الوعد والوعيد معا: ولعل اللجوء الى الوعد والوعيد معا من أكثر الأساليب العاطفية فعالية، اذ يكون التخويف مع ترك باب الأمل مفتوحا. وهذا الأسلوب يظهر في القرآن الكريم حتى في العبارة القصيرة مثل قوله تعالى : ((ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم.4))(72) وقوله تعالى: ((وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم، وان ربك لشديد العقاب.))(73)

6 - الاستعطاف واللين: والأساليب العاطفية لا تقتصر على المدح والتقريع أو الوعد والوعيد. فمثلا الدعوة باللين واحدة من تلك الأساليب التي يأمرنا الله بها: ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجـدلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين.))(74)

ومن قبيل الدعوة بالأسلوب العاطفي اللين ما نراه من استعطاف نبي الله صالح لقومه ثمود اذ يقول تعالى: ((قال يـقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتـني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير.))(75)

ومن قبيل الاستعطاف المقرون بالمقابلة بين النقيضين قول الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ((ويـقوم مالي أدعوكم الى النجو ة وتدعونني الى النار.))(76)

ومن قبيل اللين أيضا عدم استثارة الخصم بحيث ينتقل من الانصات الى التحدي اذ يأمرنا الله عز وجل: ((ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم. كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون.))(77)

7 - التذكير بالفضل: قد ينكر الانسان فضل الآخرين عليه ولكن الاحسان عموما يترك بصمات واضحة في النفس الانسانية. ويحسن تذكير مستقبل الرسالة بها عند محاولة التأثير عليه بالصيغة المناسبة، والظروف المناسبة. والقرآن الكريم يزخر بالأمثلة على استثمار هذه الحقيقة. ومثال ذلك قوله تعالى: ((واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فئاوئكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبـت لعلكم تشكرون.))(78)

العاطفية العملية:

كثير من الناس يكون غارقا في اتجاه معين، لايحس بالرسالة التي يبثها اليه المصدر أو القائم بالاتصال الا اذا تم عرض الرسالة بطريقة عنيفة فلعله ينتبه. وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن أو اشارات اليها في صور عديدة. ومن أمثلة ذلك:

1 - تجربة مريرة: يضرب الله لنا مثلا بالرجلين الذين جعل الله لأحدهما جنتين فظن أنها دائمة، ونسي أنها نعمة من الخالق، يستطيع أن يحرمه اياها متى شاء. فيقول في عنفوان كبريائه: ((...ما أظن أن تبيد هذه أبدا. وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا.)) ولكن جاءه الدرس الذي نبهه من غفوته: ((وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يـليتني لم أشرك بربي أحدا.))(79)

2 - تجارب متعددة: ان سورة يوسف حافلة بالأساليب العاطفية العملية. فالقرآن الكريم يروي لنا قصة النبي يوسف عليه السلام واخوته: ((اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلـل مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صـلحين.))(80)

ويتآمر الاخوة على التخلص من أخيهم فيلقوه في بئر، وتأبى عناية الله غير ما يخططون فتنقذه قافلة من القوافل المسافرة الى مصر. فيباع فيها وتتم تربيته في بيت مسؤول كبير، ويمر بتجارب عديدة تنتهي به الى أن يحتل منصبا كبيرا. ثم يحتاج اخوته اليه فيعمل على الحصول على أخيه؛ ويكون له ذلك. فيذكرهم يوسف بما فعلوه معه وأخيه فيعرفوه ويروي لنا القرآن حين: ((قالوا أئنك لأنت يوسف، قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين. قالوا تالله لقد ءاثرك الله علينا وان كنا لخـطئين.))(81)

فهذه تجربة ليوسف عليه السلام انتهت بنواله مكافأة صبره وتقواه. وهي أيضا تجربة لاخوة يوسف انتهت بادراكهم للخطأ الذي وقعوا فيه واعترفوا بذلك توبة منهم.

الأساليب الفريدة:

يبدو أن معظم الأساليب التي تم استعراضها فيما تقدم تقع في نطاق القدرات البشرية مع أن درجة الاتقان تتفاوت بين البشر- وحتما- لا تصل الى المستوى القرآني. ولكن نظرا لقدرة الله عز وجل التي تفرد بها فان بعض الأساليب وما يسندها من خوارق تقع خارج نطاق القدرة البشرية أو ليس في امكان الانسان الاتيان بمثلها. ومن ذلك العلم اليقيني بالماضي والحاضر والمستقبل، والمعجزات.

ويلاحظ أن الأساليب الفريدة كلها أساليب عملية، وليست قولية. وهي تنقسم الى نوعين: نوع يندرج تحت الأسلوب العقلي لأنه يخاطب العقل أكثر، ونوع يندرج تحت الأسلوب العاطفي لأنه يخاطب العاطفة أكثر.

أساليب فريدة عقلية:

ومن الأمثلة على هذه الأساليب مايلي:

1 - العلم اليقيني بالماضى: وهنا يبرز العلم الالهي المتميز، حيث لايقيده قيد الزمان أو قيد المكان أو الوسائل المحدودة للمعرفة. فكل شيء في علم الله حاضر.

وهو بخلاف العلم البشري المحدود بقيد الزمان والمكان والوسائل المحدودة للمعرفة. فالانسان لايدرك ادراك يقين الا شيئا يسيرا من حاضره، أما أحداث الماضي فهي صور باهتة، وأما أحداث المستقبل فلا يزال في عالم المجهول.

ومثال ذلك العلم اليقيني بالماضي ما ورد من تعليق على الجدل بين اليهود والنصارى حول ما اذا كان ابراهيم عليه السلام يهوديا أو نصرانيا. فاليهود يدعون بأن التوراة والزبور هما وحدهما يمثلان دين الله، وينكرون ما جاء به عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فيقول عز وجل: ((يا أهل الكتـب لم تحاجون في ابر هيم وما أنزلت التورية والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون. هــأنتم هؤلاء حـججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان ابر هيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين. ان أولى الناس بابر هيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا، والله ولي المؤمنين.))(82)

ومثال ذلك عندما يشير الله عز وجل الى حقيقة لايعرفها معرفة يقين الا العلماء من اليهود فيقول: ((كل الطعام كان حلا لبني اسراءيل الا ما حرم اسراءيل على نفسه من قبل ان تنزل التور ة قل فأتوا بالتور ة فاتلوها ان كنتم صـدقين.))(83)

2 - كشف النقاب عن الحقائق الكونية: ان البشرية، منذ أن أوجدها الله على الأرض وهي تعمل لكشف النقاب عن القوانين الطبيعية، وأسرار هذا الكون. ولا تزال هناك أشياء كثيرة مجهولة، وأشياء لم يتم اكتشافها الا في القرن الماضي. ولكن الله كشف النقاب عن بعضها، منذ أربعة عشر قرنا في القرآن الكريم.

ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ((ولقد خلقنا الانسان من سلـلة من طين. ثم جعلنـه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظـما فكسونا العظـم لحما ثم أنشأنـه خلقا ءاخر فتبارك الله أحسن الخـلقين.))(84) وذلك لتكون هذه الحقيقة عبرة للبشرية عبر القرون، فلعلهم يؤمنون برسالة خاتم النبيين.

3 - العلم اليقيني بالمستقبل: والأسلوب القرآني في اللجؤ الى كشف المجهول كوسيلة اقناعية لم يتوقف عند كشف الأسرار الكونية الموجودة بل يتعداه الى كشف ما سيحدث مستقبلا ويكون مستبعد الحدوث حسب المنطق البشري. لقد أخبر الله المؤمنين بانتصار الروم على الفرس في وقت كان ذلك يبدوا في حكم المستحيل. فالامبراطورية الرومانية كانت على حافة السقوط كلية على يد الفرس. لكن الله سبحانه وتعالى بكل شيء عليم وهكذا جاء نبأ الانتصار غير المتوقع في قوله تعالى :

((الم. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون.))(85)

4 - تزويد الأنبياء بامكانات استثنائية: قد يلجأ بعض البشر الى بعض الخدع والسحر ليضلوا الناس ولكن فوق كل ذي علم عليم. والله القاهر فوق عباده، وقادر على ابطال السحر بما هو أقوى، بكن فيكون. ومن ذلك قصة موسى مع السحرة. يقول تعالى : ((قالوا يـموسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى. قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى. فأوجس في نفسه خيفة موسى. قلنا لا تخف انك أنت الأعلى. والق مافي يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد سـحر ولا يفلح الساحر حيث أتى. فألقى السحرة سجدا قالوا ءامنا برب هـرون وموسى)).(86).

وكذلك الحال بالنسبة لقصة المعجزات المتتالية لموسى عليه السلام اذ يقول تعالى: ((فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ءايـت مفصلـت فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين.))(87)

5 - من الأساليب التي أثبتت نجاحها هي كسب الجمهور بتقديم خدمات هم في حاجة شديدة اليها. وقد زود الله نبيه عيسى علي السلام بمعجزات كثيرة منها القدرة على تقديم هذه الخدمات. يقول تعالى: ((اذ قالت الملـئكة يـمريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصـلحين. قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسـسني بشر. قال كذلك الله يخلق ما يشاء، اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون. ويعلمه الكتـب والحكمة والتورية والانجيل. ورسولا الى بني اسراءيل أني قد جئتكم بآية من ربكم. أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحي الموتى باذن الله . وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم. ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين. ومصدقا لما بين يدي من التورية ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم. وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون.))

ثم يأتي الهدف من كل هذه المعجزات صريحا في قوله تعالى: ((ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم.))(88)

أساليب فريدة عاطفية:

6 - العلم اليقيني للاسرار: كثير من الأ حداث نعاصرها ولا نعلم عنها شيئا، خاصة اذا كانت هناك محاولات لاخفائها وكتمانها ولكن لاشيء يخفي على الله. وكان المنافقون على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي كل العصور يظهرون غير الذي يبطنون فيكشف الله أسرارهم كأسلوب اقناعي كان سببا في ايمان البعض وتثبيت ايمان البعض.

ومثال ذلك قوله تعالى: ((ومن الناس من يقول ءامنا بالله واليوم الآ خر وما هم بمؤمنين. يخـدعون الله والذين ءامنوا وما يخـدعون الا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون. ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. واذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس قالوا أنؤمن كما ءامن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون. واذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا واذا خلو الى شيـطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن.))(89)

7 - الحياة في الآخرة: ومن الغيب الذي يكشفه الله ليزداد المؤمن ايمانا وليبدأ الكافر في التفكير الجدي ما سيحصل يوم القيامة وبعد الممات في الحياة الأخرى. يقول الله تعالى: ((بل الله فاعبد وكن من الشـكرين. وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا في قبضته يوم القيـمة والسـمو ت مطويـت بيمينه سبحـنه وتعـلى عما يشركون. ونفخ في الصور فصعق من في السمـو ت ومن في الأرض الا ما شاء الله. ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون...)) الى آخر السورة.(90)

اما المعجزة الكبرى لمحمد صلى الله عليه وسلم فهي القرآن الكريم. حيث كشف القرآن الكريم عن الحقائق التاريخية الماضية على لسان نبي أمي لم يقرأ ولم يكتب. وكشف عن مؤامرت معارضية من الكفرة والمنافقين في حياته، وكشف عن حقائق كونية لا تزال البشرية تعمل لاكتشاف المزيد منها.(91)

تعقيــبات:

ان الأساليب الاقناعية التي استخدمها القرآن الكريم أو ورد لها ذكر فيه لها خصائص معينة. من بين تلك الخصائص مايلي:

1 - البراهين والحجج تتوجه - بشكل عام - الى الفطرة السليمة التي لا تحتاج الى معلومات معقدة أو قواعد معقدة، خاصة عندما يكون موضوع الرسالة هو وجود الخالق و وحدانية الله، أو الايمان بيوم القيامة والحياة في الدار الآخرة. وهذا مما يجعل هذه الموضوعات أو القضايا الأساسية في متناول عقلية أبسط الناس تفكيرا حتى لا تكون هناك حجة للناس على الله. لهذا لايرفض هذه القضايا الا انسان مدفوع بالكبرياء مع معرفة الحق، أو ان تكون الفلسفات البشرية الفاسدة قد لوثت فطرته السليمة فهو عاجز عن رؤية الأشياء على حقيقتها. ولا يراها الا مصبوغة بتحيزاته الأعمى.

2 ـ عندما يكون الحوار مع مجموعة بشرية محددة مثل اليهود أو النصارى فان الأدلة والبراهين في العادة ترتكز على علم يقيني ودقيق لماضي تلك المجموعة وحاضرها ومستقبلها ومصيرها أيضا.

3 - القاعدة الأساسية في الحوار هي اللطف والوعظ والتذكير ولكن عندما يكون الخصم عنيدا أو مكابرا فان البراهين المفحمة الصارمة المغلفة

بالوعيد والتهديد تصبح هي الوسيلة المناسبة. وقد لا يهدف هذا النوع من البراهين الى اقناع المخاطب بتلك الادلة بقدر ما يهدف الى حماية ايمان المؤمنين وتعزيز موقفهم، أو لكشف ضلالات المخاطبين للآخرين، حتى لا يضلوهم.

قد يعتقد الاعلاميون بأن هذه الوسائل خاصة بالدعوة الى دين رب العالمين، ولكن الحقيقة أن هذه الأساليب عامة يمكن تسخير كثير منها عند بث الرسائل الاقناعية. فالاعلامي يستطيع استثمار الأساليب القولية كما هي، ويستطيع الاستعاضة بالأعمال الدرامية عن الأساليب العملية الواقعية.

د. سعيد اسماعيل صيني 1411/8/18هـ

حواشي الفصل الثامن

1 - Andersen, p. 137.
2 - ابن الحنبلي.
3 - جلال الدين السيوطي، ص 135-136.
4 - الالمعي، مناهج. ص 67-85.
5 - Anderson op. cit pp. 103-58.
6 - عرجون، ص 283-289.
7 - الالمعي، مناهج ص 422.
8 - الشنقيطي، وظيفة الاخبار، ص 71-73.
9 - Tan, pp 167-168.
10 - Larson, p. 101.
11- Zimbardo, p. 20.
12- Maslow.
13- McGuire, p. 213.
14- Packard.
15 - الأنبياء: 22.
16 - المؤمنون: 91.
17 مريم: 42.
18 - البقرة: 258.
19 - يسن: 78-81.
20 - الروم: 27.
21 - آل عمران: 59.
22 - الأنعام: 95-99.

23 - ابراهيم: 24-26.
24 - النحل: 91-92.
25 - الرعد: 14.
26 - ابراهيم: 18.
27 - الحج: 73.
28 - ابن الحنبلي ص 120.
29 - Hovland.
30 - البقرة: 219.
31 - النساء: 104.
32 - العنكبوت: 41.
33 - السيوطي، مرجع سابق ص 135.
34 - الالمعي، مرجع سابق ص 69.
35 - الرحمن: 1-78.
36 - الطور: 30-43.
37 - القصص: 62-70.
38 - البقرة: 255.
39 - الأنعام: 12.
40 - غافر: 28.
41 - الزخرف: 24.
42 - ابن الحنبلي، 125.
43 - سبا: 24.
44 - آل عمران: 61.
45 - الأنبياء: 57-65.
46 - الأنعام: 76-79.
47 - يونس: 38.
48 - al Mauduudii, pp. 30-31.
49 - المودودي ، تذكرة ص 31-33 .
50 - النمل: 81.
51 - المرسلات: 41.
52 - فصلت: 3.
53 - الأنبياء: 106.
54 - العنكبوت: 35.
55 - الزمر: 42.
56 - النحل: 13.

57 - النحـل: 79.
58 - التوبـة: 108.
59 - الحشـر: 9.
60 - النمـل: 43.
61 - يونـس: 75.
62 - الزخـرف: 54.
63 - القصـص: 42.
64 - الصافـات: 30.
65 - الأعـراف: 47.
66 - التـوبة: 107.
67 - النـور: 38.
68 - الانسـان: 12-22.
69 - البقرة: 278-279.
70 - البقرة: 275-276.
71 - الحـج: 19-22.
72 - الأنعام: 165.
73 ـ الرعد:6، الدخـان: 42.
74 - النحـل: 125.
75 ـ هـود: 63.
76 ـ غـافر: 41.
77 ـ الأنـعام: 108.
78 - الأنفال: 26.
79 - الكهف: 32-44.
80 - يوسف: 8-9.
81 - يوسف: 90-91.
82 ـ آل عمران: 65-68.
83 ـ آل عمران: 93.
84 ـ المؤمنون: 12-14.
85 ـ الـروم: 1-4.
86 ـ طـه: 65-70.
87 ـ الأعـراف: 133.
88 ـ آل عمران: 45-46.
89 ـ البقـرة: 8-14.
90 ـ الـزمـر: 66-75.

91 ـ أنظر مثلا: السيوطي، ج 1 : 166؛ الجليند، دقائق ج:1 ص 132-162؛ الرافعي، اعجاز؛ نوفل، القرآن؛ شعراوي، معجزة.

د. سعيد اسماعيل صيني 1411/8/18هـ

الفصل التاسع
مستقبل الرسالة

مقدمـــــــة:

لقد بدا واضحا عند عرض النماذج الخاصة بالعملية الاتصالية أن العملية الاتصالية لا تكتمل الا بوجود مستقبل للرسالة؛ فهو الركن المكمل لأي عملية اتصالية. وقد لقي هذا المتلقي عناية كافية سنستعرضها تحت عنوانين: الجهود المبكرة، فيما يلي.

الجهود المبكرة:

هذا المستقبل أو المتلقي للرسالة قد يكون فردا أو مجموعة من الناس. والمجموعة قد تكون صغيرة نسبيا، يجمعها مكان واحد، ويلتقي فيها المرسل بالمستقبل وجها لوجه. وقد تكون المجموعة كبيرة، توجد في أماكن متفرقة، فتستحق كلمة "الجمهور" أو "الجماهير" mass the. ومن هنا جاءت كلمة الاتصال الجماهيري ترجمة معبرة لكلمة communication mass، بالانقليزية.

وقد عرفت الانسانية المستقبل المفرد أو المجموعة الصغيرة نسبيا، منذ عهد آدم وحواء عليهما السلام. بيد أن ظاهرة "الجماهير" أو المستقبلين المتفرقين في أماكن مختلفة، وأزمنة مختلفة ولكن يستقبلون رسالة بعينها هو تطور حديث لم تعرفه الانسانية الا مع عهد الكتابة. ثم نمى مع ظهور الطباعة، وأصبح لهم شأن متزايد مع ظهور وسائل الاتصال الالكترونية. ويقول شرام وبورتر بأن عدد المشاهدين للتلفاز، في الأمسية الشتوية العادية قد يصل الى حوالي المئة مليون مشاهد، في أمريكا.(1)

وبعبارة أخرى بعد أن كان عدد المستقبلين للرسالة الواحدة في الوقت ذاته محدودا بالمكان والقدرة الصوتية للمرسل والقدرة السمعية للمستقبل فقد تطور ولا يزال ليتجاوز حدود المكان والزمان. وما ينطبق على الرسالة المسموعة ينطبق على الرسالة المرئية.

وبقيت حقيقة هذا الجمهور غامضة لفترة حتى أن الدارسين كانوا يعتبرونه مجرد مجموعة من الأفراد لهم سمات خاصة، ويتعرضون لأنواع مختلفة من الرسائل فيتفاعلون معها بطريقة تتفق وسماتهم الشخصية. ثم تطور الأمر الى ادراك أن هذه الجماهير لاتتكون من أفراد يمكن التعرف عليها بواسطة عدد من المتغيرات مثل: السن، ونوع الجنس...التي تقيس السمات الشخصية. فقد أدرك

الباحثون في مجال الاعلام بأن الجمهور -في حقيقة الأمر- يتكون من مجموعات من الناس، لايعرفون بعضهم البعض، ويوجدون في أماكن متفرقة.(2).

ومن حيث التصنيفات التي خضع لها المستقبل أو جماهير المستقبلين فقد كانت مبنية في البداية على المتغيرات الديموقرافية: السن، ونوع الجنس، والتعليم، والحالة الاقتصادية الاجتماعية، والسمات الشخصية الأخرى. (3) ثم ظهرت تصنيفات مبنية أكثر على العلاقات الاجتماعية مثل الانتماءات الأسرية، والفكرية، والتنظيمية، والحضارية...(4)

وأما من حيث الوظيفة التي يؤديها المستقبل للرسالة فقد تدرجت من النظريات التي تصور الجمهور مسلوب الارادة، لا يملك الا أن يستقبل ما يرسله المصدر فيتأثر به الى النظريات التي تصوره ذا ارادة ويستطيع أن يحول الرسالة الى صالحه، على عكس ما يريده لها المصدر. ثم استقرت النظريات على موقف وسط لدور الجمهور في العملية الاتصالية، فهو يؤثر في الرسالة كما تؤثر الرسالة فيه. (5)

وقد حصر تان Tan(6) هذه النظريات في ثلاثة أصناف:

1- النظرية التعليمية التي تفترض أننا أحياء منطقيون لنا عقول نميز بها الأشياء، ونتخذ قراراتنا بناء على أفضل المعلومات التي تتوفر لدينا.

2- النظرية التوازنية التي تفترض أننا أحياء نتجه الى انتقاء الرسالة التي تزودنا بمبررات لما نتخذه من قررات أو نقوم به من سلوك، وما نعتقد فيه؛ وذلك جريا وراء التوازن النفسي.

3- النظرية الاستغلالية التي تفترض أننا عادة نتبنى مواقف جديدة ليس الا لاشباع احتياجات خاصة موجودة لدينا مسبقا، ونستمر في الاحتفاظ بتلك المواقف ما دامت هي مفيدة.

المنظور الاسلامي:

ويستنتج مما سبق أن الجمهور يتفاعل مع الرسالة ويؤثر فيها بوسائل ومن هذه الوسائل العملية الانتقائية: التعرض الانتقائي، والانتباه الانتقائي، والفهم الانتقائي، والتذكر الانتقائي.(7)

ومن النظور الاسلامي يقول نجيب بأن الاعلام الاسلامي في تعامله مع الناس يحرص على تصنيفهم حسب "ما يعقلون ويعرفون ويفهمون ويدركون أي على قدر عقولهم وما تملكه من ثقافة صحيحة، وما تحتاجه لتصحيح ثقافتها الفاسدة ولتنمية ثقافتها الصالحة."

ويضيف: بأن "الاسلام لا يصنف الناس على أساس الجنس ولا على أساس المستوى الاقتصادي ولا على أساس السن..."(8)

ويبدو أن نجيب يخلط بين أمرين: التعامل مع الناس فيما يتصل بالحقوق، والتعامل معهم بصفتهم متلقين نريد معرفة سماتهم المميزة والمشتركة لتعيننا على اتقان العملية الاتصالية معهم.

ولا يزيد الزيني وكحيل على كون جمهور الاعلام الاسلامي هم الناس جميعا(9). ويضيف الدميري الى ذلك تصنيف زيدان الذي يجعل جمهور المدعويين الى الاسلام في أربع فئات: الملأ (قادة الرأي) وهم يميلون الى رفض الرسالة، وجمهور الناس وعامتهم وهم يميلون الى قبول الرسالة، والمنافقون، والعصاة.(10) وفي معرض الحديث عن معسكر الحرب النفسية ضد الاسلام في عصر النبوة يستعرض محمد الفئات التالية:(11)

أ - الكفار (ولعله يقصد عامة المشركين، فالكفار يشمل اليهود أيضاكما جاء في سورة البينة مثلا.)

ب - المنافقون.

ج - اليهود.

د - رؤساء المشركين ومن يتبعهم من الضعفاء.

هـ- المضللون من المسلمين.

و - من ادعوا النبوة لأنفسهم.

ويتبنى العويني (12) تقسيم زيدان السابق لجمهور المدعوين الى الاسلام، ثم يضيف اليه تصنيفا من عنده وتقسيمات فرعية، دون أن يأتي بالاستشهادات التي استنبط منها هذه التقسيمات. ويتكون تصنيفه من ثلاث فئات رئيسة هي: المؤيدون، والمحايدون، والمعارضون. ويقسم المؤيدين الى مؤيدين بشدة، وبدرجة كبيرة، ومؤيدين. ويقسم المحايدين الى محايدين أقرب الى درجة التأييد، ومحايدين، ومحايدين أقرب الى المعارضة. ويقسم المعارضين الى معارضين بشدة، ومعارضين بدرجة كبيرة، ومعارضين.

ويقدم تقسيما آخر بناء على الديانات السماوية الثلاث: المسلمون، والمسيحيون، واليهود. ويفرع المسيحية الى الكاثوليكية والبروتستانتينية، والأرثوذكس؛ ويفرع المسلمون الى مسلمين عرب، وغير عرب.

ويلاحظ على هذا التقسيم عدم اطراد قاعدته فهو يجعل من الفرق أساسا في تقسيم المسيحية، ويجعل من اللغة أساسا لتقسيم المسلمين.

كما يقدم العويني تقسيما ثالثا يتكون من: أصحاب الديانات السماوية، و"أصحاب الديانات غير السماوية" والملحدون. ويقسم أصحاب الديانات السماوية الى الاسلام، والمسيحية، واليهودية. أما "أصحاب غير الديانات السماوية" فيقسمهم الى الهندوسية، والجينية، والبوذية.

ولم يشر الى أصحاب المعتقدات الوثنية الأخرى.

ويقدم الشنقيطي(13) عددا من التصنيفات لجمهور الاعلام الاسلامي فيه شيء من التفصيل، وليس في متن كتابه ولكن في فهرس موضوعات الكتاب. ويحيل القاريء الى صفحات في المتن قد تحتوي على أكثر من استشهاد لينتقي منها القاريء منها ما يحسبه مطابقا للتصنيف الوارد في الفهرس.

وقد بنى تصنيفه الأول على ما أسماه بمعيار التكليف، فالانس والجن مكلفون، والملائكة والحيوانات غير مكلفة. أما تصنيفه الثاني فبناه على ما أسماه بمعيار الاستجابة للدعوة، فهم اما مستجيبون أو غير مستجيبون. وكان التصنيف الثالث تكرار للثاني فقد بناه على ما أسماه بمعيار الكفر والايمان، فهناك المؤمنون وهناك الكافرون. وأضاف تفصيلا حيث قسم الكافرين الى أهل كتاب، ومشركين، ومنافقين.

وأشار بأن هناك فروقا في درجة الالتزام بين المسلمين، وفروقا بين درجة اعراض الكافرين. ويتمثل في الاعراض بقصد والاعراض بدون قصد.

وجاء تقسيمه الرابع وفقا لما أسماه بمعيار المعرفة، فهناك من يعلم ومن لا يعلم، وهناك من يفقه ومن لا يفقه.

وفيما يتصل بالسمات الاتصالية للمتلقين فقد أشار نجيب الى أهمية العقل الذي ميز الله به الانسان عن جميع الكائنات. وأورد نصوص قرآنية كثيرة تشير الى ذلك، وتستثمره في جمهور المتلقين.(14)

ويؤكد الشنقيطي هذه الحقيقة حيث يقول، في فهرس الموضوعات، بأن منهج الاعلام الاسلامي في التعامل مع الجمهور المستقبل مبني على مباديء منها: "نظرة الثقة والاحترام للجمهور المستقبل انطلاقا من تكريم الله له وما خلق فيه من قدرة على الفهم والاستيعاب. وبالتالي فان الاعلام الاسلامي يهتم بتنمية "المشاركة الاتصالية" وتدعيمها وبناء الثقة بين المرسل والمستقبل."(15)

وبهذا يبدو أن أهمية المتلقي وأهمية مراعاة سماته، من منظور الكتابات الاعلامية الاسلامية لا تختلف عن نظرة الدراسات الاعلامية الأخرى.

كما يبدو أيضا أن هذه التصورات الاسلامية تتضمن أفكارا جيدة، ولكن ينقصها التركيز والتنسيق.

مشكلة البحث:

لقد بدا مما سبق استعراضه بأن هناك حاجة لتجميع الأفكار المطروحة في الكتابات التي تناولت الموضوع من منظور اسلامي، وتنقيحها. اضافة الى ذلك هناك حاجة الى اعادة التنقيب، في المصادر الاسلامية، عن مزيد من الاشارات التي تتحدث عن جمهور المتلقين.

فهدف هذه الدراسة هو القيام بذلك.

منهج الدراسة:

اضافة الى المنهج العام فان الباحث سوف يراعي النقاط التالية:

1 - الاستفادة من الأفكار المطروحة في الدراسات السابقة، في تطوير ما كتبه عام 1399 باللغة الانقليزية.

2 - الاقتصار قدر الامكان على الأصناف التي وردت اشارات واضحة اليها، في القرآن الكريم أو السنة النبوية.

3 - محاولة تغطية الموضوع من جميع جوانبه مع الاقتصار على أدلة قليلة.

نتائج الدراسة:

وسيتم عرض النتائج في ظل الموضوعات التالية:

1 - أصناف المتلقين للرسالة.

2 - فعالية الجمهور.

3 - التعامل مع الظروف الحاضرة.

4 - التعامل مع الظروف المتجددة.

أصناف المستقبلين للرسالة:

لقد وردت اشارات الى بعض أصناف المتلقين للرسالة في القرآن الكريم والسنة النبوية. والمستقريء لها يلاحظ أن بعض هذه التصنيفات مبنية على السمات الثابتة مثل العنصر و نوع الجنس والعمر، وبعضها مبني على التكوين النفسي مثل الاتجاه الى الخير أو الشر، ومنها مبني على الانتماء الاجتماعي ولاسيما الانتماءات العقدية. وفيما يلي سيتم تقديم بعض الأمثلة لهذه الأنواع.

السمات الثابتة:

هناك عدد من السمات الديموقرافية التي يحرص الباحثون على الحصول عليها كمتغيرات مستقلة (مؤثرة). وومن أبرز هذه السمات: نوع الجنس، والعمر.

1 - نوع الجنس: هناك حاجة الى التمييز بين الذكر والأنثى، في عملية الاتصال، وهذا التمييز مبني على الاختلاف في التكوين الجسمي والنفسي والذي بدوره يسهم في تحديد الوظائف، ودرجة الاحاطة بما يجري في البيئة التي يعيش فيها الانسان. ويمكن استنتاج هذا الاختلاف من نصوص كثيرة منها قوله تعالى: ((وللرجال عليهن درجة.)) (16)؛ وقوله تعالى: ((الرجال قو مون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض.)) (17)

2 - العمر: اختلاف السن معيار هام في تقدير درجة استيعاب الرسالة وفي القرآن الكريم بعض الاشارات الى هذه الحقيقة، مثل قوله تعالى: ((قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا))(18)

((ووصينا الانسن بو لديه احسنا، حملته أمه كرها...، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على...))(19) فسن الأربعين يمثل قمة النضج، وهي السن التي بعث عندها الرسول .(20)

ولعل من أوضح النصوص في أهمية مراعاة سن المخاطبين ماورد في تحديد سن التكليف والمآخذة على التقصير في تطبيق التعاليم الاسلامية.(21)

السمات العقلية والنفسية:

ويمكن استنتاج السمات العقلية والنفسية من عدد من النصوص منها قوله تعالى: ((ومن أهل الكتب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك الا مادمت عليه قائما.))(22)

فهم جميعا أهل كتاب ولكن مايميزهم هو تلك السمة النفسية الخاصة بكل منهم.

ومن هذه النص أيضا قوله تعالى: ((الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله...))(23)
فمن الأعراب مؤمنون وكافرون ومنافقون؛ وهم عنما يكونوا كافرين أو منافقين فانهم أشد كفرا ونفاقا من غيرهم.
ومن الجمهور من تتوفر لديه القدرة القيادية، ومن الجمهور من كانت طبيعته ضعيفة فيستسهل الاتباع. وفي القرآن الكريم اشارات الى هذه ألأنواع. ولعل أبرز اشارة تجمع هاتين الفئتين تتمثل في قوله تعالى: ((وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون. قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين. قالوا بل لم تكونوا مؤمنين. وما كان لنا عليكم من سلطـن، بل كنتم قوما طاغين. فحق علينا قول ربنا، انا لذائقون. فأغوينـكم أنا كنا غوين.))(24)
ومن الجمهور من طبيعته الركون الى المألوف الموروث، ومنهم من يستثمر عقله ويتعرف على الحق فيتبعه أو الأصوب فيتبناه. ويمكن استنتاج هذين الصنفين من قوله تعالى: ((واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ءاباءنا...))(25)

السمات العقدية:
للانتماء العقدي أو التحلل من الانتماء العقدي آثار على توجهات الانسان وسلوكه وفي القرآن الكريم اشارات الى نوع من التصنيف للناس مبني على هذا الانتماء.
ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ((لتجدن أشد الناس عدوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصرى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون.))(26)
في هذه الآية نجد تمييزا بين المشركين، واليهود، الذين لا يقتصرون على رفض الرسالة ولكن أيضا معاداة من يقبلونها، والنصارى، الذين قد يكون منهم من لايؤمن بالاسلام ولكن لا يعادونها. واليهود والنصارى معروفون بدياناتهم الخاصة. أما المشركون فهم الكافرون من غير اليهود والنصارى الذين كانوا يعرفون أن الله هوخالق كل شيء، ولكن ينكرون أن الاله واحد.(27)
ولعل في هذا التحديد اشارة الى فئة الوثنيين الذين لا يعتقدون بأن الله هو الخالق، ولكن أشياء أخرى. فقد كانت هذه صفة مشركي مكة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
كما يمكن أن يستنبط من القرآن الكريم فئة خامسة هي تلك التي تنكر وجود الخالق بالكلية. وذلك في قوله تعالى: ((وقالوا ماه الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر، ومالهم بذلك من علم، ان هم الا يظنون.))(28)
والمنافقون فرقة سادسة، لهم سماتهم الخاصة بهم. اذ يقول تعالى: ((ان المنـفقين يخـدعون الله وهو خـدعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى، لايذكرون الله الا قليلا. مذبذبين بين ذلك لا الى هـؤلاء ولا الى هـؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا.))(29)
وقد لايكون الشرك والنفاق -دائما- عقيدة ولكنهما بالتأكيد خروج على عقيدة معينة.
ومن جهة أخرى فان الانتماء الى العقيدة درجات كما هو واضح من قوله تعالى: ((واذ قال ابر هيم رب أرني كيف تحي الموتى، قال أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي...))(30)
وهناك صنف آخر درجة انتمائه تختلف عن الأولى، وتتمثل في قوله تعالى: ((قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا.))(31)
وصنف ثالث من درجة الانتماء يقبل مضمون الرسالة ولكن يتهاون في التطبيق بدرجات متفاوتة. ويتمثل هذا الصنف في قوله تعالى: ((ثم أورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخير ت باذن الله))(32)
وكما نعرف فان الظاهرة العقدية هي واحدة من الظواهر الاجتماعية، بل تعتبر من أقوى التنظيمات الاجتماعية التي لها طقوسها الجماعية الخاصة و مبادئها، وقوانينها.

السمات الاتصالية:
ومن حيث طريقة التفاعل مع الرسالة غير المرغوبة فان الجمهور على أربعة أنواع: منهم من يتجنب التعرض للرسالة أو لاينتبه اليها، ومنهم من يحرف مدلولاتها، ومنهم من يعمل على نسيانها، ومنهم من يتجاهلها، ويعرض عنها.
ويمكن استنتاج النوع الأول من قوله تعالى: ((يـأيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولو عنه وأنتم تسمعون.)) وقوله تعالى: ((واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم.))(33)
أما النوع الثاني فيمكن استنتاجه من قوله تعالى: ((ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها.))(34)
ويمكن استنتاج النوع الثاني الذي يقوم بتحريف مضمون الرسالة والثالث الذي يقوم بنسيان ما لا يريد -معا- من قوله تعالى: ((وجعلنا قلوبهم قسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به.))(35)
أما النوع الرابع فهم فريق من الجمهور مع أنهم قد سمعوا الرسالة ووعوها فانهم يصرون على التظاهر بأنهم لم يسمعوها ويتجاهلونها ويمكن استنتاجه من قوله تعالى: ((يسمع ءايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم.))(36)
وكثيرا ما يعمد الجمهور الى نسيان الرسالة التي لا تعجبه اذ يقول تعالى: ((ومن الذين قالوا انا نصرى أخذنا ميثـقهم فنسوا حظا مما ذكروا به...))(37)

<u>أثر سمات المستقبلين:</u>
لسمات المتلقي أو جمهور المتلقين أثر على بقية عناصر العملية الاتصالية، ولاسيما على صفات المصدر، وعلى اختيار توقيت بث الوحدات المختلفة للرسالة، وعلى صياغة الرسالة، وعلى اختيار البراهين المناسبة. وفيما يلى سيتم استعراض بعض الأدلة التي تثبت هذه الحقيقة من المصادر الاسلامية.

صفات المصدر:
ان معرفة تكوينات الجمهور وما يفضله أو يكرهه يقوم بدور هام في عملية اختيار أنسب المصادر أو القائمين بالاتصال.
فقد كان شرف النسب ذا أهمية بالغة عند العرب حينما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم. فكان من الطبيعي أن ينتسب النبي الى قريش أشرف القبائل نسبا، في ذلك العهد وأن يتصل نسبه باسماعيل وابراهيم عليهما السلام. كما كان المجتمع في ذلك الوقت

يعتمد في عيشه على حرفتي التجارة والرعي. لهذا كان مما يزيد في فعالية المصدر أن يكتسب خبرة في مجالي الرعي(38) والتجارة، وأن ينتسب في نفس الوقت الى الطبقة النبيلة ذات الثراء في المجتمع.(39)

واتقان اللغة الرسمية للجمهور شيء ذو أهمية ولكن الالمام باللهجات المختلفة أيضاله أثره الطيب في نفوس المتلقين (40).

واعتقاد الجمهور بأن المصدر منه، ويشاركه آماله وآلامه مما يعين على حسن قبول الرسالة التي يبثها اليهم. لهذا كان من المناسب أن يمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجربة الفقير الكادح ومعاناته، وبتجربة النبيل الغني وامتيازاته. وذلك لأن المجتمع كان فيه النبيل والمكافح والغني والفقير.

فهذه الصفات مما يجعل المصدر قريبا من قلوب الفئات المختلفة في المجتمع. كما أنها تسهم في أن يتعرف المصدر على جمهوره عن طريق الخبرة الشخصية، بدلا من الاقتصار على التعرف عليه عن طريق السماع.

توقيت الرسالة:

مراعاة سمات المتلقين عند تجزئة الرسالة الشاملة الى وحدات، وتوقيت بثها ذات أهمية كبيرة. ويظهر هذا الاهتمام جليا في كلا المصدرين الأساسيين للتعاليم الاسلامية: القرآن الكريم والسنة النبوية، بل وفي المصادر الثانوية للتعاليم الاسلامية أيضا. فالتعاليم الدينية قد تم تقسيمها الى وحدات متعددة حسب أهميتها وأولويتها، ثم تم بثها تدريجيا في ظل الظروف الواقعية للجمهور.

ومثال ذلك بث التعاليم الدينية، ذات المنفعة المباشرة والمحسوسة جنبا الى جنب مع الدعوة الى جوهر الرسالة، وحدانية الله. وبعبارة أخرى تم بث الرسالة الجوهرية، مؤيدة برسائل تكميلية ذات منفعة محسوسة ليكون القبول أفضل لاستقبال الرسالة الجوهرية.

وهذا يمكن استنتاجه من قول جعفر ابن أبي طالب للنجاشي عندما فقد سأل المسلمين عن الأسباب التي جعلتهم يفارقون قومهم. فأجابه متحدثهم جعفر بن أبي طالب قائلا : "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الاصنام، ونأكل الميتتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الارحام، و... حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده... وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم..."(41)

التدرج في بث الرسالة:

ومراعاة الظروف النفسية للجمهور واحتياجاته عامل من عوامل نجاح العملية الاتصالية. وهذه المراعاة قد تجعل من الأنسب مراعاة التدرج في ابلاغ الرسالة. وذلك لحساسية مضمون الرسالة بسبب تعارضها مع العادات الشائعة والتقاليد الراسخة.

ويمكن استنتاج ذلك من الطريقة التي تم بها تحريم الخمر. فقد كان الخمر مرضا اجتماعيا شائعا في العصر الجاهلي وزراعة الأفكار الجديدة -غالبا- أهون من اقتلاع العادات المتأصلة. بيد أن تحريم الخمر جزء أساس، في نظام للحياة متكامل، لا بد من تبليغه للجمهور.

لهذا جاء التحريم في رسائل متدرجة من حيث المضمون.

ففي البداية جاء التمييز بين ما هو خبيث وماهو طيب اذ يقول تعالى: ((ومن ثمر ت النخيل والأعنب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون.))(42)

ثم جاء القرآن الكريم بفوائد ومضار الخبيث ورجح كفة المضار فيه اذ يقول تعالى : ((يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنفع للناس واثمهما اكبر من نفعهما.))(43)

وبعد فترة من الزمن جاء التحريم القاطع في قوله تعالى: ((يـأيها الذين ءامنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلم رجس من عمل الشيطن فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطن أن يوقع بينكم العد وة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون.))(44)

صياغة الرسالة:

وفي بعض الحالات يحتاج الأمر الى صياغة توفر شيئا من المرونة والقدرة على مواءمة مضمون الرسالة مع الظروف الخارجية، ليس لتخفيف وقع مضمون الرسالة على المتلقي فحسب، ولكن للحفاظ على مصلحة المؤمنين بمضمون الرسالة الاقناعية أيضا.

ويمكن استنتاج ذلك من الطريقة التي تم القضاء بها على الاسترقاق. لقد عولجت هذه المشكلة بطريقة غير مباشرة حتى أن المستقبل لايكاد يدرك معها بالنهاية الحتمية المرسومة للرق. فعندما جاء الاسلام كان الرق جزءا لايتجزأ من النظام الاجتماعي، تجيزها الأعراف الدولية في ذلك الوقت. وكان أعداء الاسلام يسترقون أسرى المسلمين؛ ومن الطبيعي أن يعامل المسلمون أسرى أعداءه بالمثل. ولم يكن في صالح المسلمين تحريم الرق بصورة مباشرة وفورية.

ولكن بدلا من التحريم المباشر أو الطريقة المباشرة للقضاء على الاسترقاق أمر الاسلام بحسن معاملة الرقيق. وجعل عتق بعضهم واجبا في حالات وعملا يستحق المكافأة والثناء في حالات أخرى. ولما تغيرت الأعراف الدولية الخاصة بمعاملة الأسرى التحمت الخطة التي جاء بها الاسلام للقضاء على الرق مع هذه الأعراف الدولية فأدى الى زوال العبودية تماما. وذلك بزوال مصدر الرقيق من جهة والعتق المستمر من جهة أخرى.(45)

اختيار البراهين:

عند استقراء أنواع الأدلة والبراهين الواردة في القرآن الكريم بصفة خاصة يدرك أن القرآن حريص على مراعاة سمات جمهور المتلقين عند اختيار البراهين والأدلة اللازمة لاقناع المستقبلين للرسالة.

ويمكن استنتاج ذلك من كثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ((والأنعم خلقها لكم فيها دفء ومنفع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بلغيه الا بشق الأنفس، ان ربكم لرءوف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق ما لا تعلمون.))(46)

وكذلك في قوله تعالى: ((وهو الذي أنشأ جنت معروشت وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشبها وغير متشبه...))(47)

هذه الأدلة تنبع من صميم البيئة التي عاصرت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، والبيءة التي لا تزال موجودة في مناطق كثيرة من العالم. فهي مناسبة لها. أما عن البيئات الصناعية القائمة على الاكتشافات العلمية.

لقد تحدثت كتب الاعجاز العلمي في القرآن طويلا عن هذه المسألة ويمكن الرجوع الي بعضها مما تم اثباته في حاشية الفصل الخاص بالأسليب الاقناعية في القرآن الكريم.

ردود فعل المتلقين:

وتظهر أهمية المتلقي للرسالة وظروفه الخاصة في صورة أخرى هي ردود فعله على الرسالة أو الأجزاء التي تم اسقبالها سواء تم تبنيها أو تم رفضها.

ومن أمثلة ردود الفعل على ماتم استقباله وتبنيه قصة المرأة التي جاءت تشتكي زوجها الى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه قال لها:" أنت علي كظهر أمي". وهي صيغة كانت شائعة في الجاهلية تماثل الطلاق في معناها. فأراد منها ما يريد الزوج من امرأته فصدته حتى ذهبت وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرها.

فنزل قول الله تعالى: ((قد سمع الله قول التي تجدلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما، ان الله سميع بصير. الذين يظـهرون منكم من نسايهم ما هن أمهـتهم ان أمهـتهم الا الـئي ولدنهم... والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا. ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله. وللكفرين عذاب أليم.))(48)

ومن أمثلة ذلك أيضا قصة السائل المنكر لكيفية احياء العظام وهي رميم. فجاءه الرد في قوله تعالى: ((أولم ير الانسن أنا خلقنـه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه. قال من يحيي العظم وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم...))(49)

والأمثلة كثيرة على ذلك وهي فرص تتاح للمتلقي للتعبير عن ردود فعله على الرسالة التي استقبلها، وفرصة للمساهمة في تشكيل الرسالة التي قد يبثها اليه المصدر في المستقبل.

واضافة الى ذلك هناك نصوص صريحة تشجع على عملية رد الفعل حتى بالنسبة للرسائل غير اللفظية. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة. قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: " لله ورسوله ولأولي الأمر...(50)

وفي مثل هذه الحالة قد يتلقى الانسان رسالة لفظية أو غير لفظية تتعارض مع مصلحة مصدر الرسالة نفسه أو مصلحة المجتمع الذي يعيش فيه المستقبل ومبادئه فيتطلب الأمر رد فعل مناسب.

وتصبح عملية رد الفعل واجبة عندما يتلقي الانسان رسالة من هذا النوع. فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان".(51)

ومن جهة أخرى قد يقتنع المستقبل بمضمون رسالة ما، ويهملها المرسل، لسبب أو آخر، أو ينساها فيتحول المستقبل سابقا الى مرسل للرسالة نفسها، ويتحول المرسل سابقا الى مستقبل.

وفي هذه المرحلة تأخذ عملية رد الفعل شكلا آخر ألا وهي الشكل التبادلي حيث يكون كل من المرسل السابق والمستقبل متساويين في المسئولية تجاه نشر الرسالة وبثها وتطبيقها، ويشير القرآن الى هذه الظاهرة في قوله تعالى: ((والمؤمنون والمؤمنت بعضـهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله...))(52)

ومع أن التكوينات الجوهرية للرسالة قد لاتتأثر بردود فعل المتلقي للرسالة فان العناصر المكملة للرسالة غالبا ما تتأثر وكذلك الحال بالنسبة لأسلوب عرضها أو بثها.

قائمة المراجع العربية

ابراهيم، محمد ابراهيم محمد، **الجانب الاعلامي في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم** (بيروت: المكتب الاسلامي 1406هـ).

ابراهيم، عبد الرحيم أحمد، نحو قيام مسرح اسلامي (**مجلة الأمة** عدد ربيع الأول 1402).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق عدنان زرزور (بيروت: دار القرآن الكريم 1391).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد ، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية** (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة—).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد ، **علم الحديث** (بيروت: دار الكتب العلمية 1405).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد ، وابن القيم، وبن باز ، **حكم الغناء** (المدينة المنورة: مكتبة الايمان —).

ابن الحنبلي، ناصر الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي، **كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم**، تحقيق زاهر عواض الألمعي (بيروت مؤسسة الرسالة 1400).

ابن قدامة، **المغني**، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو (القاهرة:هجر 1407).

ابن القيم، محمد ابن أبي بكر ابن القيم الجوزية، **رسالة في أحكام الغناء**، تحقيق محمد حامد الفقي (الرياض: دار طيبة 1403).

ابن هشام أبي محمد عبد الملك، السيرة النبوية (بيروت: دار الجيل 1975).

أبو زهرة، محمد، **أصول الفقه** (القاهرة:دار الفكر العربي 1377)

أبو زهرة، محمد ، **الخطابة: أصولها وتاريخها في عصورها عند العرب** (القاهرة: دار الفكر العربي 1980).

أبو زهرة، محمد ، **الدعوة الى الاسلام** (القاهرة: دار الفكر العربي —).

أبو سليمان، عبد الوهاب ابراهيم، **كتابة البحث العلمي ومصادر الدرسات الاسلامية** (جدة: دار الشروق 1406).

أبو فارس، محمد عبدالقادر، **ارشادات لتحسين الخطبة** (عمان: المؤلف 1405).

اسماعيل، سعيد، **مباديء العقيدة بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم** (جدة: دار المجتمع للنشر ولالتوزيع 1409)

اسماعيل، محمد بن أحمد، **أدلة تحريم مصافحة المرأة الأجنبية** (الرياض: مكتبة المعارف 1406).

اصلاحي، أمين حسن، **منهج الدعوة الى الله**، تعريب سعيد الأعظمي الندوي (الكويت: دار نشر الكتاب الاسلامي 1951).

الأعظمي، محمد مصطفى، **كتاب التمييز** (الرياض: جامعة الرياض 1395).

امام، ابراهيم، **أصول الاعلام الاسلامي**، القاهرة: دار الفكر العربي 1405).

امام، ابراهيم ، **الاعلام الاسلامي: المرحلة الشفهية** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية 1980).

امام، محمد كمال الدين، **النظرةالاسلامية للاعلام** (الكويت: دار البحوث العلمية 1981).

أمين، صادق، **الدعوة الاسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية** (عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية 1978).

آل فوزان، صالح بن فوزان، **الاعلام بنقد كتاب الحلال والحرام** ط4 (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الاسلامي 1397).
آل محمود، عبد الله بن زيد، **منع تصوير شخصية الرسول وكلامه وحركاته** (قطر: المحاكم الشرعية والشئون الدينية 1396).
آل محمود، عبد الله بن زيد ، **رسالة الخليج في منع الاختلاط وما ينجم عنه من مساوي الاخلاق** (قطر: المحاكم الشرعية والشئون الدينية 1394).
الألمعي، زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم** (الرياض: المؤلف ــ).
الأمل (امريكا الشمالية، بلين فيلد: رابطة الشباب المسلم العربي).
الأنطاكي، محمد، **الوجيز في فقه اللغة**، ط3 (بيروت: مكتبة دار الشروق 1969).
باي، ماريو، **لغات البشر: أصولها، طبيعتها، تطورها**، ترجمة صلاح العربي (القاهرة: الجامعة الأمريكية 1970).
بدر، محمد بدر، **الاعلام من أخطر وسائل العصر تأثيرا: كيف نصل الى الاعلام الاسلامي** (مجلة الأمة عدد ربيع الأول 1402).
بن باز، عبد العزيز، **الجواب المفيد في حكم التصوير** (جدة: دار المجتمع 1408).
----------، **حكم الاسلام في التصوير** (القاهرة:دار الفرقان ــ).
----------، **رسالة تبحث في مسائل الحجاب والسفور** (المدينة المنورة: الجامعة الاسلامية ــ).
----------، **الدعوة الى الاسلام وأخلاق الدعاة** (الرياض: الرئاسة العامة لادارت البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد 1982).
----------، **خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله** (المدينة المنورة: الجامعة الاسلامية 1405).
البخاري، محمد بن اسماعيل، **صحيح البخاري**، تعليق وشرح نور الدين السندي (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده 1953).
بدوي، عبد الرحمن، تحقيق وتقديم، **تلخيص الخطابة لابن رشد** (الكويت: وكالة المطبوعات 1959).
البعث الاسلامي (لكنو، الهند:مؤسسة الصحافة والنشر).
بن عثيمين، محمد بن صالح، **رسالة الحجاب** (الدينة المنورة: الجامعة الاسلامية ــ).
بليق، عز الدين، **موازين الاعلام في القرآن الكريم** (بيروت دار الفتح للطباعة والنشر 1403).
----------، **منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين** (بيروت : دار الفتح 1398).
البيانوني، أحمد، **الدعوة الى الاسلام واركانها**، ط2 (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع 1405).
البيانوني، محمد أبو الفتح وخليل ابراهيم ملا خاطر،(تصحيح وتعليق) **سبل السلام: شرح بلوغ المرام**، الصنعاني ط3 (الرياض: جامعةالامام محمد ابن سعود الاسلامية 1405).
بيلو، صالح آدم، **من قضايا الأدب الاسلامي** (جدة: دار المنارة 1405).
جبر، دندل، **حكم الاسلام في الصور والتصوير** (الاردن، الزرقاء: مكتبة المنار ــ).
الجديع، عبد الله بن يوسف، **أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان** (الكويت: مكتبة دار الأقصى 1406).
الجزائري، أبو بكر جابر، **الاعلام بأن العزف والغناء حرام** (جدة: مكتبة الضياء ــ).
----------، **حكم الاسلام في الموسيقى والغناء** (المدينة المنورة: المؤلف نفسه).

الجزري، مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير الجزري) **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط (ـــ مكتبة الحلواني 1389).
الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري، **تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة** (بيروت: دار الكتب العلمية 1404).
الجلينيد، محمد، **دقائق التفسير لابن تيمية** (القاهرة: دارالانصار 1978).
الجمل، ابراهيم محمد، **الغيبة والنميمة** (القاهرة: دار البشير 1404).
الجندي، أنور، **التاريخ في مفهوم الاسلام** (القاهرة: دار الانصار 1979).
الجوادي، كاظم، (مترجم) تفسير التاريخ لعبد الحميد صديقي (الكويت: دار القلم 1980).
حاتم، عبد القادر، **الاعلام في القرآن** (لندن: فادبرس 1405).
حاتم، محمد عبد القادر، **الاعلام والدعاية** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية 1978).
الحارثي، ساعد عرابي، الاعلام الاسلامي مصطلح فارغ المحتوى... (**صحيفة الشرق الأوسط**، عدد 4011 في 1989).
الحامد، محمد، **حكم الاسلام في الغناء** (جدة: دار المجتمع 1407).
ـــــــــــ، **مجموعة رسائل** (القاهرة: دار الأنصار 1399).
حبيب، محمود، عرض، الاذاعة المسموعة والمرئية في مجال الدعوة الاسلامية (**مجلة الأمة** عدد محرم 1404).
حجاب، منير، **نظريات الاعلام الاسلامي: المباديء والتطبيق** (الاسكندرية: الهيئة العامة للكتاب 1981).
حسن، عبد المنعم السيد، **ظاهرة التكرار في القرآن الكريم** (القاهرة: المؤلف نفسه 1400).
حسن، أبو علي، عرض، القرآن والمسرح والالتزام بالحقيقة لمحمد كاظم الظواهري، **مجلة الأمة** (عدد صفر 1403).
حسين، أبو لبابة، **الجرح والتعديل** (الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع 1399).
الحلواني، بسيوني، عرض، حاجتنا الى اعلام اسلامي (**مجلة الأمة**، عدد ذو القعدة 1402).
ـــــــــــ، الاعلام الاسلامي (**مجلة الأمة**، عدد ذو القعدة 1404).
الحلواني، ماجي، **الاذاعات العربية** (القاهرة:دار الفكر العربي 1982).
ـــــــــــ، **الاعلام الاسلامي: التحديات والمواجهة** (جدة: مكتبة المصباح 1411هـ).
حمزة، عبد اللطيف، الاعلام له تاريخه ومذاهبه (القاهرة: دار الفكر العربي 1965).
ـــــــــــ، **الاعلام في صدر الاسلام** ط2 (القاهرة: دار الفكر العربي 1987).
الحنبلي، أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر، **فتاوى في الغناء**، تحقيق حمد بن عبد العزيز الضويان (الرياض: دار طيبة 1409).
الحنبلي، الحافظ عبد الرحمن بن رجب، **نزهة الأسماع في مسألة السماع** تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان، (الرياض: دار طيبة 1407).
حوى، سعيد، **الرسول صلى الله عليه وسلم** (بيروت: دار الكتب الاسلامية 1974).
خان، محمد مصطفى (مترجم)، **صحيح البخاري** ط.2 (أنقرة: هلال ياين لاري، 1976).
الخطيب، عبدالكريم، القصص **القرآني في منطوقه ومفهومه** (القاهرة: دار الفكر العربي 1974).
الخطيب، محب الدين محقق) القاضي بن العربي، **العواصم من القواصم في مواقف الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم** (بيروت: المكتب الاسلامي).

الخطيب، محمد عجاج، **أضواء على الاعلام في صدر الاسلام** (بيروت: مؤسسة الرسالة 1405).
خلاف، عبد الوهاب خلاف، **علم أصول الفقه** ط14 (الكويت: دار القلم 1401).
خلف الله، محمد أحمد، **الفن القصصي في القرآن الكريم** ، ط4 ، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية 1972).
الخولي، البهي، **تذكرة الدعاة** (بغداد: مكتبة المنار الاسلامية 1976).
الدعوة، مجلة، **بين يدي مؤتمر وزراء الاعلام**، (الرياض: مؤسسة الدعوة الاسلامية الصحفية عدد1161 في 29/2/1409).
الدعوة (القاهرة:دار الأنصار).
الدمشقي، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة 1411).
الدميري، مصطفى، **الصحافة في ضوء الاسلام** (مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي 1408).
الرافعي، مصطفى صادق، **اعجاز القرآن والبلاغة النبوية** (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى 1389).
رشتي، جيهان، **الأسس العلمية لنظريات الاعلام** (القاهرة: دار الفكر العربي 1978).
الرفاعي، محمد نسيب، **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير بن كثير** (ـــ المؤلف نفسه 1392).
الركابي، زين العابدين، **النظرية الاسلامية في الاعلام والعلاقات الانسانية** (أمريكا الشمالية: رابطة الشباب المسلم العربي 1404).
زلط، القصبي محمود، **قضايا التكرار في القصص القرآني** (القاهرة:دار الأنصار 1398).
زيدان، عبد الكريم، **حالة الضرورة في الشريعة الاسلامية** (بيروت: مؤسسة الرسالة 1408).
الزين، محمد حسني، **منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري** (بيروت: المكتب الاسلامي 1399).
الزيني، عبد الوهاب سليمان، **الاعلام في خدمة الدعوة للائتمان الاسلامي** (الرياض: مكتبة الخريجي 1404).
السخاوي، شمس الدين، **المقاصد الحسنة**، تحقيق عبد الله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف (بيروت: دار الكتب العلمية 1399).
سرور، رفاعي، **حكمة الدعوة** (القاهرة: مكتبة وهبة 1398).
سعد، طه عبد الرءوف، **السيرة النبوية لابن هشام** (بيروت: دار الجيل 1975).
السلمان، عبد العزيز المحمد، **الكواشف الجلية عن معاني الواسطية** (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة 1398).
سليمان، محمود كرم، **التخطيط الاعلامي في ضوء الاسلام** (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع 1409).
السيوطي، جلال الدين، **الاتقان في علوم القرآن** (بيروت: دار الفكر 1368).
الشرق الأوسط، صحيفة، **الشيخ بن باز في حديث خاص للشرق الاوسط** (لندن: الشرق الاوسط 24/6/1408).
الشرق الأوسط، صحيفة، **ملفات الشرق الأوسط للاعلام الاسلامي** (الملف 1-7 نوفمبر وديسمبر 1989).
الشعراوي، محمد متولي، **معجزة القرآن** (القاهرة:ـــ1980).
شعوط، ابراهيم، **أباطيل** (القاهرة: دار التأليف 1976).

شلبي، كرم، **الخبر الصحفي وضوابطه الاسلامية** (القاهرة: المؤلف 1984).
الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، **أصول الاعلام الاسلامي وأسسه "1"** (الرياض: دار عالم الكتب 1406).
الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، **أصول الاعلام الاسلامي وأسسه "2"** (الرياض: دار عالم الكتب 1406).
الشنقيطي، سيد محمد ساداتي ، **مفاهيم اعلامية من القرآن الكريم** (الرياض: دار عالم الكتب 1406).
الشنقيطي، سيد محمد ساداتي ، **وظيفة الاخبار في سورة الأنعام** ط3 (الرياض: دار عالم الكتب 1410).
الصابوني، محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير** (بيروت: دار القرآن الكريم، 1976).
----------، **صفوة التفاسير** (بيروت: دار القرآن الكريم 1402).
الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة** ط2 (بيروت: المكتبة الأهلية، 1962).
----------، **منهل الواردين: شرح رياض الصالحين** (بيروت: دار العلم للملايين 1970).
الصاوي، أمينة، وعبد العزيز شرف، **نظرية الاعلام في الدعوة الاسلامية** (القاهرة: مكتبة مصر 1985).
----------، وعبد العزيز شرف، ومحمد عبد المنعم خفاجي، **السيرة النبوية والاعلام الاسلامي** (القاهرة: مكتبة مصر 1986).
الصباغ، محمد، **من صفات الداعية**، ط2 (بيروت: المكتب الاسلامي 1391).
صقر، أحمد حسين صقر، **من أخلاق الدعاة** (ـ:ـ ـ).
صقر، عبدالبديع، **كيف ندعو الناس** (بيروت: المكتب الاسلامي 1979).
صيني، سعيد اسماعيل، **شروط القائم بالاتصال عند المسيحيين والمسلمين: دراسة مقارنة** (رسالة دكتوراه مقدمة الى المعهد العالي للدعوة الاسلامية، فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالمدينة المنورة 1408).
صيني، سعيد اسماعيل ، **مفاهيم اعلامية اسلامية في الميزان** (بحث مقدم في ندوة بكلية الدعوة والاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية 1410).
صيني، سعيد اسماعيل ، **مناهج التأهيل الاعلامي والأبعاد الخمسة للمعرفة** (بحث مقدم في الندوة السادسة لأساتذة التدريس الاعلامي في الوطن العربي المنعقدة في الجزائر للفترة 22-25 يولية 1989).
صيني، سعيد اسماعيل ، **فلسفة التأهيل الاعلامي وأهدافه بجامعات المملكة العربية السعودية** (بحث مقدم في الملتقى العلمي الأول لرؤساء أقسام الاعلام بالجامعات السعودية المنعقد في الرياض للفترة 10-11 شعبان 1410).
طاش، عبد القادر، الاعلام الذي نريد، **مرآة الجامعة** (الرياض: كلية الدعوة والاعلام 1/3/1407).
طاش، عبد القادر، الاعلام الاسلامي وفلسفته المميزة، **مجلة المجتمع** (عدد 22/5/1408).
الطحان، محمود، **أصول التخريج ودراسة الأسانيد** (بيروت: دار القرآن الكريم 1399).
الطهطاوي، محمد عزت اسماعيل، **النصرانية والاسلام: عالمية الاسلام ودوامه الى قيام الساعة** (القاهرة: دار الأنصار 1977).

ظاظا، حسن، اللسان والانسان: **مدخل الى معرفة اللغة** (القاهرة: دار المعارف بمصر 1971).
العجلوني، اسماعيل محمد، **كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس** (بيروت: مؤسسة الرسالة----).
عبد الظاهر، حسن، **فصول في الدعوة والثقافة الاسلامية** (الكويت: دار القلم 1401).
عبدالكريم الخطيب، **الدعوة الى الاسلام** (بيروت: دار الفكر العربي 1402).
عبود، عبدالغني، **في التربية الاسلامية** (القاهرة: دار الفكر العربي 1977).
عثمان، حسني شيخ، أباطيل الأباطيل: نقد كتاب أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ (الطائف: مكتبة الصديق 1409).
عرجون، محمد الصادق، **القرآن الكريم: هدايته واعجازه** (القاهرة: دار الاتحاد العربي للطباعة 1386).
عزت، محمد فريد، **بحوث في الاعلام الاسلامي** (جدة: دار الشروق 1403). ----------، **دراسات في فن التحرير الصحفي: في ضوء معالم قرآنية** (جدة: دار الشروق 1404).
العسقلاني، أحمد بن حجر، **فتح الباري**، تحقيق محب الدين الخطيب (ـ المكتبة السلفية ---).
علوان، عبد الله ناصح، **حكم الاسلام في وسائل الاعلام** ط 7 (القاهرة: دار السلام 1407).
----------، **أخلاقيات الدعاة** (القاهرة: دار السلام 1405).
----------، **صفات الداعية النفسية** (القاهرة: دار السلام 1405).
العنزي، عبد الله، الاسلام سبق كل نظريات وسائل الاعلام (**صحيفة الشرق الأوسط**، عدد 4024 في 1989).
العويني، محمد علي، **الاعلام الاسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق** (أبو ظبي: ---- 1403).
الغلابيني، محمد موفق، **وسائل الاعلام وأثرها في وحدة الأمة** (جدة: دار المنارة 1405).
فائز، أحمد، **طريق الدعوة في ظلال القرآن** (ـ:ـ1977).
الفتياني، تيسير محجوب، **مقومات رجل الاعلام الاسلامي** (عمان: دار عمار 1408).
فريد، أحمد، **تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ** (المدينة المنورة: دار البخاري ـــ).
فلاح، عادل عبد الله، **البرامج الاسلامية في الاذاعة الكويتية** (رسالة دكتوراه مقدمة الى المعهد العالي، فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالمدينة المنورة 1407).
قاسم، محمد زكي الدين مجمد، **رجال ومناهج في الفقه الاسلامي: الائمة الاربعة** (الكويت:وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية1405).
قاسم، يوسف محمد، **ضوابط الاعلام في الشريعة الاسلامية وأنظمة المملكة العربية السعودية** (الرياض: جامعة الرياض 1399).
قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (بيروت: دار الشروق 1977).
قطب، محمد، **منهج الفن الاسلامي** (جدة: دار الشروق 1961).
القرضاوي، يوسف، **الحلال والحرام في الاسلام** (القاهرة: مكتبة وهبة 1400).
----------، **عوامل السعة والمرونة** (أمريكا الشمالية: رابطة الشباب المسلم العربي 1988).
----------، **ثقافة الداعية** ط2 (بيروت: مؤسسة الرسالة 1399).
قسم الاعلام بكلية الدعوة والاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، **البرامج الدينية المقدمة من تليفزيونات الخليج** (الرياض :ندوة الرامج الدينية المنعقدة في 1407هـ).

كحيل، عبد الوهاب، **الأسس العلمية والتطبيقية للاعلام الاسلامي** (بيروت: عالم الكتب 1406).
كريم، بدر أحمد، **نشأة وتطور الاذاعة في المجتمع السعودي** (جده:تهامة 1402هـ).
كساب، محمود حنفي، السينما الاسلامية (**مجلة الأمة**، عدد 1402).
الكيلاني، ماجد عرسان، **تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية** (دمشق: دار ابن كثير 1407).
الكيلاني، نجيب، **حول المسرح الاسلامي** (بيروت: مؤسسة 1406).
لاوند، محمد رمضان لاوند، "السياسة الاعلامية في القرآن بين التاريخ والمعاصرة" في **الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية: النظرية والتطبيق** (الرياض : الندوة العالمية للشباب الاسلامي).
لاوند، رمضان، **من قضايا الاعلام في القرآن** (الكويت: ----1979).
المباركفوري، محمد عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي: بشرح جامع الترمذي**، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان (المدينة المنورة: المكتبة السلفية 1387).
المجتمع، مجلة، **وسائل الاعلام والدعوة الاسلامية** (الكويت: جمعية الاصلاح الاجتماعي عدد 800 في 1407).
----------، **كيف تخدم وسائل الاعلام المختلفة الدعوة الاسلامية** (مجلة المجتمع، عدد 801 في 1407).
----------، **حوار مع اسماعيل الشطي** (مجلة المجتمع، عدد 936 في 1410).
----------، **فضيلة الشيخ بن باز ينبغي على الشباب...** (عدد 954 في 1410).
المجذوب، محمد، **نظرات تحليلية في القصة القرآنية** ط2 (بيروت: مؤسسة الرسالة 1391) .
المجلي، عبد الله، الاعلام الاسلامي: قضية وحوار، **مجلة الدعوة** (الرياض: مؤسسة الدعوة عدد 1079، 1080 في 1407).
محفوظ، علي، **هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة** (المدينة المنورة: المكتبة العلمية 1395).
محمد، سيد محمد، **المسئولية الاعلامية في الاسلام** (القاهرة: مكتبة الخانجي 1403).
----------، الاعلام الاسلامي، **مجلة الأمة** (عدد 1405).
محي الدين عبدالحليم، **الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية** (القاهرة: مكتبة الخانجي 1979).
المديرية العامة للاذاعة، **نبذة عن اذاعة المملكة العربية السعودية** 1408هـ.
مدكور، مرعي، الدعوة الاسلامية: من الاعلام الشفهي حتى الاتصال الجماهيري، الحلقات من 1 -4، **صحيفة الشرق الأوسط** (عدد22، 24، 26، 31 /8 /1984).
----------، **الاعلام الاسلامي الطباعي في الدول غير الاسلامية** (القاهرة: دار المعارف 1985).
المسلمون (جدة: الشركة السعودية للابحاث والتسويق).
مصطفى، يحيى بسيوني، **الاذاعة الاسلامية** (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية 1986).
----------، وعماد الصيرفي، **التلفزيون الاسلامي ودوره في التنمية** (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع 1405).
مصطفى، محمود يوسف، **العلاقات العامة والاعلام في الاسلام** (جدة: مكتبة مصباح 1409).

المطيعي، محمد نجيب، **أحكام التصوير في الاسلام بين الاباحة والحظر** (ـــ مكتبة المطيعي 1987).
المودودي، أبو أعلى، **تذكرة دعاة الاسلام** (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1966).
نجيب، عمارة، **فقه الدعوة والاعلام** (القاهرة: مكتبة سعيد رأفت 1986).
ـــــــــــ، **الاعلام في ضوء الاسلام** (الرياض: مكتبة المعارف 1400).
النحلاوي، عبدالرحمن، **أصول التربية الاسلامية** (دمشق: دار الفكر العربي 1977).
الندوة العالمية للشباب الاسلامي، **الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية: النظرية والتطبيق** (الرياض: منظمة الندوة العالمية للشباب الاسلامي 1399).
النشمي، عجيل، **معالم في التربية** (الكويت: مكتبة المنار الاسلامية 1980).
نصر، محمد ابراهيم، **الاعلام وأثره في نشر القيم الاسلامية وحمايتها** (الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع 1398).
نوفل، عبد الرزاق، **القرآن والعلم الحديث** (القاهرة: دار المعارف بمصر 1378).
النووي، يحي بن شرف الدين، **آداب العالم والمتعلم** (طنطا: مكتبة الصحابة 1408).
النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار احياء الكتب العربية 1374).
هادي، محمد حسن، **التمثيلية التلفازية**، بحث تكميلي للماجستير (مقدم الى المعهد العالي للدعوة الاسلامية، فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في المدينة المنورة 1406).
الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي حجر، **كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع** (بيروت:دار الكتب العلمية 1406).
وافي، علي عبدالواحد، **نشأة اللغة عند الانسان والطفل** (القاهرة: مكتبة غريب ، 1971).
الوكيل، محمد السيد، **الترويح في المجتمع المسلم** (المنصورة: دار الوفاء 1984).
يكن، فتحي، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية** (بيروت: مؤسسة الرسالة 1403).
ـــــــــــ، **قوارب النجاة في حياة الدعاة** (بيروت: مؤسسة الرسالة 1401هـ).
ـــــــــــ، **مشكلات الدعوة والداعية** (بيروت: مؤسسة الرسالة 1981).
يوسف، محمد خير رمضان، **صفات مقدمي البرامج الاسلامية في الاذاعة والتلفزيون** (الرياض المؤلف نفسه 1406).

سعيد اسماعيل صيني 20/8/1411هـ

قائمة المراجع الأجنبية

Abul Fadl, Mona, Islamization as a Force of Global Renewal, **The American Journal of Social Sciences**, Vol 5: 2 (1988): 163-179.

Ahmad, Khurshid and Z. I. Ansari, (eds.) **Islamic Perspectives: Studies in Honor of Mawlana Sayyed Abul A'la Mawdudi**, Jeddah: Saudi Publishing House, 1979.

Ali, Ausaf, An Approach to the Islamization of Social and Behavioral Siences, **The American Journal of Social Sciences** Vol 6: 1 (1989): 37-58.

Anderson, Kenneth Persuasion: Theory and Practice, 2nd. ed. Boston: Allyn and Bacon, Inc., 1978.

Berlo, David, **The Process of Communication: An Intorduction to Theory and Practice**, New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1960.

Borthwick, Bruce M. "The Islamic sermon as a channel of political communication." **The Middle East Journal** (1967): 299-313.

Budd, Richard W. and Brent D. Ruben, **Byond Media: New Approaches to Mass Communication**, Rochelle Park,N.J.: Hayden 1979.

Carter, David. "The changing face of life's advertisement." **Journalism Quarterly**, 46 (1969): 84-93.

Chomsky, Noam, **Syntactic Structres**, The Hague: Mouton, 1967.

Chomsky, N., **Language and Mind**, New York: Harcourt Brace Jovanrich, Inc., 1972.

Chomsky, N. **Topics in the Generative Grammar**, Paris: mouton, 4th. ed. 1975.

Dance, F.X. "Toward a Theory of Human Communication" In Dance, (ed.) **Human Communication Theory** Dance, (ed.) **Human Communication Theory: Original Essays** New York: Holt Rinehart and Winston, Inc. 1967.

Danilov, Victory J. "The transmission of cultural heritage: museums." In R. Budd and B. Ruben (eds.) **Beyond Media: New Approaches to Mass Communication**. pp. 160-173.

De Fleur, Melvin and S. Ball-Rokeach, **Theories of Mass Communication**, 3rd ed., New York: David McKay Co. Inc 1975.

Deutsch, Karl "On communication models in the social sciences", **Public Openion Quarterly**, (1952): 356-80.

Fabre, Maurice, **An History of Communication**, New York: Hawthorn Books, 1964.

al-Faruqi, Lois Lamya, Islamization Through the Sound Arts **The American Journal of Social Siences** Vol 3: 2 1986.

Festinger, Leon , "Information social communication" in
Festinger, L. et. al. **Theory and Experiment**
Festinger, L. et. al. **Theory and Experiment in Social**
Communication, Ann Arbor: University of Michigan 1950.
Fischer, H. and John Merrill, **International and Intercultural**
Communication, New York: Hastings House Publishers 1976.
William, **Introduction to Mass Communications** Francois, **and**
Mass Media, Colombus, Ohio: Grid Inc. 1977.
Fromkin, Victoria and Robert Rodman, **An Introduction to**
ed. **Language**, New York: Halt, Rinehart and Winston 3rd. `
1983.
communication", Gerbner, George , "Towad a general model of **Audio-**
Visual communication Reviw, 4 (1956): 171-99.
New York: Henry Holt
2nd. ed. New Jercy: Englewood Cliffs 1976. **Introduc**t
Schramm, W. , "Information theory and mass communication" **Journalism**
Quarterly, (1955): 131-46.
Wilbur, **Men, Messages and Media: A Look at** Schramm,
Communication, New York: Harper & Publishers,**Human**
. 1973
Schramm, W. "World distribution of the mass media."
in Fischer and Merrill, **International and Intercultural**
Communication, New York: Hastings House Publishers 1976.
and William Porter, Men, Women, **Messages**, Shcramm, Wilbur **and**
Media, 2nd. ed.New York: Harper & Row, Publishers 1982.
, in "Humans The Nature of Communication between"Schramm,
Wilbur Schramm and Donald Roberts, eds. **The Process**.
Schramm, Wilbur and Donald F. Roberts, ed. **The Process and**
Effects ofMass Communication, Urbana,IL: University
Press 1971. Illinois of
Severin, Warner and James Tankard,Jr. **Communication**
Theories: Origins, Methods and Uses, New York: Hastings
House Publishers, 1979.
Shannon, Claude and Warren Weaver, **The Mathmatical Theory of**
Communication, Urbana: The University of Illinois Press 1949.
Sieni, Syeed, An Islamic Concept of News, in **The American** .
Journal of Islamic Social Siences, December 1986
pp. 277-289.
Sieny, Said E. Sieny, **The Islamic Principles of Communication**,
a paper presented in a siminar at California State
pp. 54-58. University, Chico 1979.
Stone, V. and Chaffee. "Family communication patterns and
source-message orientation." **Journalism Quarterly**, 47
(1970) 239-46.

Alexis S., **Mass Communication: theories and Research** Tan, Columbus,Ohio: Grid Publishing, Inc. 1981.

Westley, B. and M. Mc Lean, Jr., "A conceptual model for Communication Research" **Journalism Quarterly**, 34 (1957): 31-38.

Real, Michael R., Mass Mediaated Culture, Englewood, NJ Printice-Hall, Inc. 1977.

Wiener, Norbert, **Cybernitics: Or Control and Communicatuion in the Animal and Machine**, New York: John Wiley and Sons, Inc. 1948.

Zimbardo, Philip G. and Christina Maslash, **Influenceing** Attitudes and Changing Behavior, Reading, Mass.: Addison-Wesley Publishing Co. 1976.

سعيد اسماعيل صيني/8/1411هـ/20